تقديم

بقلم الدكتور

علي القاسمي

تواجه اللُّغة العربية هجمة شرسة متواصلة منذ أكثر من قرن، في دِيارها ومن قِبَل أبنائها قَبل أعدائها؛ إذ أخذت الدُّول الغربية، في بداية استعمارها الأقطار العربية، تنصح العرب بضرورة التخلّي عن اللُّغة العربية الفصيحة المشتركة وإحلال اللَّهجات العامية الدَّارجة محلَّها، من أجل تحقيق الحداثة والتَّقدم، كما زعموا.

ثم اهتدى الغرب إلى وسيلة أفضل لتحقيق غاياته، ألا وهي إشاعة مقولة: إن التَّقدم يتمُّ بتعليم العِلْم بلغة العلم (ويقصدون بها لغة المستعمر الفرنسية أو الإنجليزية).

وراح الغرب ينشر المدارس الأجنبية لأبناء النُّخب العربية، فيدرسون منهجًا أجنبيًّا بلغة أجنبية، ويتخرَّجون ليحكموا بلدانًا عربية وهم غرباء عنها، لا يتقنون لغتها، ولا يعرفون تاريخها، ولا يقدِّرون تراثها، بل يميلون إلى احتقار أهلها وثقافتهم.

واستمرت البلدان العربية بعد الاستقلال في استخدام لغة المستعمِر القديم (الإنجليزية أو الفرنسية) في الإدارة، والتعليم الجامعي، والمؤسَّسات المالية

والتجارية، والحياة العامة؛ لأن المستعمِر استطاع أن يكوِّن نخبة عربية تؤمن بتوجُّهاته وأطروحاته.

وتزايدت المدارس الأجنبية، وتصاعدت الدَّعوات المشبوهة إلى إحلال اللَّهجات العامية الدَّارجة محلَّ العربية الفصيحة المشتركة، وتكاثرت المؤتمرات والنَّدوات الَّتي تُنظِّر لكتابة العاميات، وانتشرت في أقطار العروبة الإذاعات والمحطات التِّليڤزيونية التي تبثُّ باللَّهجات العامية الدَّارجة،أو بالإنجليزية أو الفرنسية، أو بخليط من إحدى هاتين اللُّغتين والعامية الدّارجة بصورة مستهجَنةُ منافية للذَّوق السَّليم، إمعانًا في تجهيل الشُّعوب العربية التي تنوء أساسًا تحت وطأة الأُمِّية المتفشِّية، والمرض، والفقر؛ لأن اللُّغة هي الفكر، و وضوح الفكر من امتلاك لغة سليمة و وضوحها.

كلُّ ذلك من أجل القضاء على اللُّغة العربية الفصيحة المشتركة، لِئلّا تكون أساسًا لأي تكامل أو اتحاد محتمل بين البلدان العربية في المستقبل، ومن ثَمَّ وضع حدٍّ لتعلُّمها من لَدُن الملايين من المسلمين في الهند وباكستان وإندونيسيا وماليزيا وأمريكا وأوربا وغيرها، وهم الذين يتعاطفون مع قضايانا العربية.

وتتصاعد اليوم صيحات خافتة على استحياء هنا وهناك للنُّهوض باللُّغة العربية. بيدَ أن النُّهوض الحقيقي بلغتنا يتطلَّب إرادة قيادية مُخلِصة مستقلَّة، ويستلزم سياسة لُغوية رشيدة تحتِّم تعميم استعمال اللُّغة العربية في وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، وفي المؤسَّسات المالية والتِّجارية والحياة العامة، وفي التَّعليم بجميع مراحله ومستوياته وتخصُّصاته، فتوضع مئات الآلاف من الألفاظ العلمية التي ولَّدتها المجامع اللُّغوية والعلمية العربية ومؤتمرات التَّعريب والجامعات والمنظَّمات العربية المتخصِّصة، موضع الاستعمال، فتنتشر وتصبح مصطلحات فعلية وألا تبقى مجرَّد مولَّدات عُرضة

للموت على رفوف تلك المؤسَّسات التي أنفقت السَّنوات الطَّويلة والأموال الطّائلة في وضعها.

كما يستلزم تعميم استعمال اللُّغة العربية التَّخلُّصَ، تدريجيًّا وبصورة منهجية، من الازدواجية اللُّغوية بين الفصيحة والعامية، بحيث تكون السِّيادة المُطلَقة للفصيحة المشتركة، لتصبح أداة النَّفاذ إلى مصادر المعلومات وتبادلها واستيعابها وتمثُّلها والإبداع فيها وإيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التَّنمية البشرية، وتخليص شعوبنا من الجهل والفقر والمرض. وهذا ما فعلته ألمانيا، مثلًا، الَّتي كانت في بداية القرن التّاسع عشر تتألَّف من حوالى ١٤ ولاية، بينها اختلافات دينية وثقافية كبيرة، وتستعمل ثلاث لُغات مختلفة ذات أصل ألماني واحد. وشكَّلت هذه الولايات اتحادًا كونفدراليًّا سنة ١٨١٥.

وعمل اللُّغويون على وضع لغة ألمانية فصيحة مشتركة؛ لتكون أساسًا لهُوية ألمانية واحدة لدولة ألمانية واحدة. وبفضل السِّياسات اللُّغوية والتَّعليمية والإعلامية الرَّشيدة التي اتَّبعتها الحكومات الألمانية المتعاقبة خلال أكثر من قرن ونصف، أصبح معظم السُّكان اليوم يتقنون لغة فصيحة مشتركة هي أداة التَّقدم العِلمي والتِّكنولوجي.

ومن ناحية أخرى يتطلَّب تعميم اللُّغة العربية الفصيحة المشتركة تطوير وسائل اللُّغة وأدواتها، وتيسير كتابتها وإملائها، وتحسين طرائق تعليمها لأبنائها ولغيرهم، وتطوير تقنيات القراءة الآلية للنُّصوص من أجل بناء المدوَّنات النَّصِّية الحاسوبية، وإنتاج البرامج الحاسوبية التَّحليلية والتَّركيبية للبحث فيها واستخلاص المادة المعجمية منها، وتوفير المعاجم المتنوعة التي تُلبّي حاجة المُستعملين على اختلاف أعمارهم، وتخصصاتهم، واحتياجاتهم.

فعلى الرَّغم من أن المعجمية العربية هي عميدة المعجميات في العالم وأقدمها وأثراها تراثًا، فقد صدر معجم «**العين**» للخليل بن أحمد في القرن الثّاني الهجري / الثّامن الميلادي، عندما لم تكن اللُّغة الإنجليزية ولا اللُّغة الفرنسية قد تشكلت لغة مستقلة بعد. ولكن المعجم العربي اليوم لا يلبي احتياجات المستعمِلين المختلِفين من حيث العمر والمستوى العِلمي والغرض. فمعاجمنا الحديثة هي مجرد نقل من المعاجم القديمة مع شيء من التَّنسيق والتَّيسير، ولم تستفد بعد من التَّطور العلمي الكبير في صناعة المعجم وطرائق تصنيفه اعتمادًا على المدوَّنات النَّصِّية الحاسوبية.

اللُّغة العربية في حاجة إلى معاجم ورقية وإلكترونية، للصِّغار وللكبار، للمثقَّف العام والعالِم المتخصص، للطّالب المتعلِّم والمهني الذي يزاول الطِّب أو الهندسة أو التَّعليم أو المحاماة أو غيرها. واللُّغة العربية في حاجة إلى معاجم، ومعاجم موسوعية، ومَعلمات، وموسوعات، ودوائر معارف متعددة الأحجام، مختلفة الأنواع، متباينة التَّخصصات؛ إذ تفتقد كل ذلك. وأحد الأسباب هو النَّقص الكبير في المُعجميّين العرب، كمًّا وكيفًا، فما زالت معظم أقسام اللُّغة العربية في جامعاتنا تقتصر في مناهجها على النَّحو والصَّرف، ولم تستوعب العلوم اللُّغوية التَّطبيقية الحديثة، كالمعجمية.

والمعجمية من أصعب فروع علم اللُّغة التَّطبيقي، ذلك لأنها تتطلَّب معرفة معمَّقة في **علم المعجم** (المعجمية النَّظرية) الذي يدرس الألفاظ في مبناها ومعناها واستعمالها، اشتقاقًا صرفيًّا في ذاتها لتكوين ألفاظ جديدة تشترك في المعنى العام وتختلف في المعنى الخاص، وتلازمًا مع غيرها لتأليف تعبيرات اصطلاحية يتباين معناها عن معاني الألفاظ المكوِّنة لها، ودخولاً في بِنيات معلومة لتكوين عبارات وجمل ذات دلالات متنوعة. ويشمل علم المعجم

دراسات في تاريخ المعجم، والأسس النَّظرية لتصنيف المعاجم، ونقدها، واللِّسانيات الحاسوبية، وكيفية إعداد المعجم الإلكتروني.

كما تستلزم المعجمية دِراية ودُرْبة في **صناعة المعجم** (المعجمية العملية)، أي تطبيق تِقنيات تصنيف معاجم ورقية أو إلكترونية متعددة طبقًا لاحتياجات الجمهور المستهدَف. وهذه الصِّناعة لا تستند إلى علم المعجم فحسب، وإنما تستلزم كذلك دراسات متخصصة في بناء المدوَّنات النَّصِّية وتقنيات الاستفادة منها في استخلاص الجذور والمشتقات، واستنباط دلالاتها، وانتقاء الشَّواهد عليها، وأخيرًا صياغة تعريفاتها الدَّقيقة.

وفوق ذلك كله، تستوجب صناعة المعجم فيمَن يمارسها ثقافة واسعة وإلمامًا كبيرًا بحضارة العرب وآدابهم وتراثهم. فالمعجم هو مستودع اللُّغة وثقافتها وتراثها. ولهذا فإن المعجمي في حاجة مُلحَّة إلى التَّزوُّد بدراسات نظرية كثيرة ومهارات عملية كبيرة، والتَّحلّي بالصَّبر والجِدّ، وروح التَّعاون مع الآخرين من أصحاب العلوم والفنون الَّتي تدخل في صناعة المعجم كالمصطلحيّين والتَّأثيليين والدَّلاليين والحاسوبيِّين والمؤرِّخين والنُّقّاد وغيرهم كثير، وأخيرًا وليس آخرًا ينبغي أن يمتلك المعجمي روحًا وطنية تأجِّج في أعماقه عشق لغته القومية، والشَّغف بها، والتَّفاني في خدمتها، وتيسير استعمالها، وتنميتها.

وصديقي العالِم الأديب الدكتور منتصر أمين من المعجميّين الجامعيّين الشَّباب الَّذين يُعوَّل عليهم في نجدة لغتنا العربية. فقد توافرت فيه كل الخِصال الخُلقية الرَّفيعة، وتجمعت له المعارف والخبرات المنشودة. فهو من أكثر العلماء الشَّباب وطنية، ومن أوسعهم ثقافة، ومن أرقاهم خُلقًا وتواضعًا.

وفي وسع القارئ الكريم أن يلقي نظرة سريعة على سيرته العلمية العطرة ليقف على كتبه المنشورة التي تتناول كُلًّا من **المعجمية النَّظرية والمعجمية العلمية**. كما أن الدِّراسات الَّتي يضمُّها هذا الكتاب الذي بين أيدينا تدلُّنا كذلك على تعدُّد اهتماماته المعجمية وتنوُّعها إبداعًا وترجمة، وعلى روحه المُفعَمة بحب الآخرين والتَّعاون معهم، وعشق المعرفة والتَّفاني في سبيل إبلاغها إليهم.

د. علي القاسمي

مراكش في ١١ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ

(١ / ١ / ٢٠١٥)

المقدمة

الحمد للَّه رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

هذا كتاب جعلت عنوانه «**دراسات معجمية واصطلاحية**» كي يفصح بصورة واضحة عن محتواه، فهو على قسمين:

القِسم الأول «دراسات معجمية»، وهو قسم خاص ببعض المعاجم التُّراثية والمعاصرة الَّتي تمثِّل بتصنيفها وموادِّها وطرائق صنعتها صِنفًا مميزًا من المعاجم، يشهد على ريادة المعجمية العربية في مختلف ميادين الصَّنعة المعجمية، وأزعم أن هذا القِسم من الكتاب يضع أيدينا على جوانب عديدة من معالم الصِّناعة المعجمية العربية في الماضي والحاضر.

وأبدأ هذا القسم مع معجم «**الإدراك للسان الأتراك**» **لأبي حيان الأندلسي (المتوفى عام ٧٤٥ هـ / ١٣٤٥م)**؛ والصادر بإستنبول عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١م، والذي يمثِّل معجمًا عربيًّا رائدًا في مجال تعليم اللُّغات، فهو معجم ثُنائي اللُّغة جمع بين اللُّغة العربية واللُّغة التُّركية المكتوبة بخط عربي، وستجد - في صنعة هذا المعجم - كثيرًا من معايير بناء المعاجم ثنائية اللُّغة الَّتي أسعى إلى بيانها من خلال بحث هذا المعجم.

ثم أقف عند معجم «**أساس الاقتباس**» **لاختيار الدّين الحسيني**، وهو من أوائل معاجم الاستشهادات في التُّراث العربي، وفيه من آليات هذه الصِّناعة الخاصة وأحكامها ما يجعله يشغل موقعًا مميزًا على صفحة المعجمية العربية بوصفه خطابًا تواصليًّا ذا أبعاد تداولية أحاول الكشف عنها هنا في هذا الكتاب.

أما المعجم الثّالث فهو «**معجم اللُّغة العربية المعاصرة**» **للدُّكتور أحمد مختار عمر** – رحمه الله – وأدرس فيه خطاب المقدمة والعناصر الَّتي يتكون منها هذا الخطاب و وظائفها الَّتي تؤديها داخل العمل المعجمي، فالمقدمة أداة تؤهِّل المعجم أن يقيم جسرًا تفاعليًّا بينه وبين المستخدم بحيث يطلع الأخير – فيما يخص هذا المعجم – على خطاب النَّقد وفاعلية التِّقانة ومفردات المنهج وغيرها من مقوِّمات هذا المعجم.

وفي نهاية هذا القسم أُقدمُ عرضًا لكتاب أستاذي الجليل الأستاذ الدُّكتور علي القاسمي المعنون «**صناعة المعجم التّاريخي للُّغة العربية**»، الصادر عن مكتبة لبنان ناشرون عام ٢٠١٤؛ حيث يتيح لنا هذا العرض التَّعرُّف على بعض ملامح واحدة من أهم الخطط العلمية للمعجم التّاريخي للغة العربية؛ إذ تبين لنا هذه الخطة الخطوات الإجرائية والتَّنفيذية في سبيل بناء هذا المعجم المنشود.

وفي القسم الثاني الخاص بالدِّراسات الاصطلاحية أقدم بحثًا يتناول **مصطلحات التَّصحيح الزّائف** pseudo-correction في نصوص اللُّغة العربية الوسيطة middle Arabic ؛ إذ تنطوي هذه المصطلحات على كثير من ظواهر التَّصحيح التي أعرض لها ولمفاهيمها ومصطلحاتها المختلفة، وأفرِّق بينها على ضوء ما تطرحه الدِّراسات الاستشراقية واللِّسانيات المعاصرة.

كذلك يتضمن هذا القسم ترجمة لمقدمة (**فهرس مصطلحات الفرّاء في تفسيره «معاني القرآن»**) للمستشرق نفتالي كينبرج ١٩٩٦ م، الذي يعرض فيها لملامح المصطلح النَّحوي في كتاب الفرّاء «معاني القرآن»، وبعض الإشكاليات التي تحيط باستعمال تلك المصطلحات، وخصائص هذا الاستعمال.

ثم أقدم ترجمة لأهم نتائج كتاب المستشرق كيس ڤرستيج الصّادر سنة ١٩٩٣ م الذي تناول العَلاقة بين التَّفاسير القرآنية الأولى والمصطلح النَّحوي العربي، والتَّرجمة بعنوان «**أصل الاصطلاح النَّحوي العربي**»، شاركت فيها أستاذي الأستاذ الدُّكتور عبد المنعم السَّيد جدامي.

وأخيرًا أختم هذا القسم بترجمة لمقالة المستشرق مايكل كارتر «**متى ظهرت الكلمة العربية (نحو) للمرة الأولى بمعنى (القواعد)؟**» التي يتتبع فيها بداية ظهور مصطلح النَّحو بالمعنى الفني داخل الثَّقافة العربية، وشاركت هذه التَّرجمة أيضًا الأستاذ الدُّكتور عبد المنعم السَّيد جدامي.

وفي هذا السِّياق أودُّ أن أتقدَّمَ بالشُّكر والتَّقدير إلى أساتذتي الأجلاء: الأستاذ الدُّكتور علي القاسمي، والأستاذ الدُّكتور عبد المنعم السَّيد جدامي، وسعادة البرفيسور كيس ڤرستيج، والأستاذ الدُّكتور جورج متري عبد المسيح، والأستاذ الدُّكتور عبد الرحمن بودرع، والأستاذ الدُّكتور عبد الغني أبو العزم.

كما أتقدَّم بالشُّكر والامتنان إلى أصدقائي الأعزاء: الأستاذ الدُّكتور حافظ إسماعيلي علوي، والدُّكتور سعودي صديق، والدُّكتور محمد إبراهيم الفيومي.

وأخيرًا أتمنى على الله – عزَّ و جلَّ – أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه

الكريم، وألّا يحرمني ومن شاركني فيه الأجر والثَّواب.

واللَّه ولي التَّوفيق.

الدكتور منتصر أمين عبد الرحيم

٣١/ ٨/ ٢٠١٥

القسم الأول

دراسات معجمية



الفصل الأول

المعجم ثنائي اللُّغة في التُّراث العربي [1]

«الإدراك للسان الأتراك»

لأبي حيان الأندلسي نموذجًا

مدخل

فرضت ظروف الاحتكاك المختلفة بين اللُّغتين العربية والتُّركية وجود مجموعة من الكتابات الَّتي تعكس اهتمامًا كبيرًا بتعلُّم اللُّغة التُّركية وتعليمها لأبناء العربية، ويعدُّ كتاب «الإدراك للسان الأتراك»[2] أحد أهم الكتب الَّتي اهتمَّ فيها أبو حيان الأندلسي (٦٥٤- ٧٤٥ هـ/ ١٢٥٦- ١٣٤٥ م) باللُّغة التُّركية بالإضافة إلى تأليف عدد لا بأس به من الكتب الأخرى الَّتي اتخذت من اللُّغة التُّركية موضوعًا لها.

وقد عدَّ ڤرستيج هذا الكتاب من أوائل الكتب الَّتي قصدت إلى تطبيق

(١) نُشر هذا المقال بمجلة اللِّسان العربي الَّتي تصدر عن مكتب تنسيق التَّعريب، العدد ٢٧.

(٢) لهذا الكتاب غير نسخة، وله كذلك ترجمة باللُّغة الإنجليزية، وسوف أعتمد في هذا البحث على النسخة الَّتي نشرها مصطفى بن حافظ حسين خسرو بن مصطفى بن عثمان بن محمد بن إبراهيم الشهير بمنلا زاده رادويشي- بإستانبول ١٣٠٩ هـ.

نموذج النَّحو العربي على لُغات أخرى غير العربية [٣]، كما يمثِّل هذا الكتاب لمرحلة مهمة من مراحل تطوُّر اللُّغة التُّركية على ضوء احتكاكها باللُّغة العربية، فيشتمل على وصف لُغوي دقيق للتُّركية المكتوبة بالأبجدية العربية، ويتكوَّن هذا الكتاب من أقسام ثلاثة: الأول ويمثله المعجم، والقسم الثّاني عبارة عن دراسة مورفولوجية (صرفية) لأبنية الكلمات التُّركية، والقسم الأخير عبارة عن دراسة لتراكيب التُّركية وقواعدها، وفي هذا القسم يبدو تطبيق النِّظام النَّحوي العربي واضحًا على تراكيب اللُّغة التُّركية في هذا القسم.

المعجم في كتاب الإدراك

وما يعنينا في هذا البحث هو المعجم أو القسم الأول من الكتاب بوصفه معجمًا ثُنائي اللُّغة، يهدف إلى تعليم التُّركية لأبناء العربية، وهو من وجهة نظري من أقدم المعاجم الثُّنائية في التُّراث العربي وأهمها، وأقصد من وراء هذا البحث إلى بيان بنية هذا المعجم ومصادره، والتِّقنيات المستخدمة فيه قصد تقريب اللُّغة التُّركية وتعليمها، وبيان مجموعة الضُّروب اللِّسانية الَّتي اعتمد عليها في تعريف مداخله، ذلك من أجل التَّنبيه على مؤلَّف مُهمّ من المؤلَّفات العربية الرّائدة في هذا المجال، وبيان طريقته وتِقنياته الموظَّفة بغرض تعليم التُّركية بصفة خاصة، وتأكيد فاعلية مثل هذا النَّهج في بناء المعاجم ثنائية اللُّغة عامة.

كذا يسعى البحث إلى التَّأكيد على أن الدَّعوة إلى استقلال المعجمية عن اللِّسانيات في العصر الحديث بحجة أن الصِّناعة المعجمية أمر مختلف عمّا يشتغل عليه النُّحاة من صياغة الفرضيات والنَّظريات الَّتي تبتعد عن

(3) See C. H. M. Versteegh 2006: *Arabic Linguistic Tradition*, p.438.

الحقائق اللُّغوية أو المعاني الملموسة[٤] دعوة تحتاج إلى مناقشة جادة يجب تقديمها وإدارتها على ضوء ما تطرحه أعمال معجمية جُلُّ صُناعها من النُّحاة واللُّغويين.

١ - أقسام كتاب الإدراك

ورد في مقدمة كتاب الإدراك تفصيل يتعلق بكيفية ضبط اللِّسان واللُّغات على اختلافها والمعارف المختلفة الرّافدة لهذا الضَّبط، هذا التَّفصيل يتبين منه على حَدِّ تعبير أبي حيان أن «ضبط كل لسان يحصل بمعرفة ثلاثة أشياء، أحدها معرفة مدلول مفردات الكلم ويُسمى علم اللُّغة، والثّاني أحكام تلك المفردات قبل التَّركيب، ويُسمى عِلْمَ التَّصريف، والثّالث أحكام حالة التَّركيب، ويُسمّى عند المتكلِّمين على اللِّسان العربي علم النَّحو[٥].»

ويتَّضح من النَّص السّابق أن تعلم/ تعليم لغة ثانية إنما يتم من خلال فهم المتعلِّم لمعاني مفردات اللُّغة الهدف، وأصولها واشتقاقاتها (التَّصريف) وطرق نظمها وانتظامها في تراكيب دالة (التَّركيب/ النَّحو)، كما يُشير النَّص السّابق أيضًا إلى أن معرفة مفردات اللُّغة الهدف وتحصيل معانيها هي الخطوة الأولى في سبيل تعلُّمها وإتقان المعرفة بها واستعمالها.

والحقيقة أن هذا النَّص يمثل طريقة ومنهجًا يتبعه أبو حيان في جُلِّ كتاباته النَّحوية المهمة، ودليل هذا بالإضافة إلى التَّعميم الَّذي يتضح من عبارة أبي حيان السّابقة أن نرى العبارة نفسها موجودة أيضًا في مقدمة كتاب من أهم

---

(٤) انظر لمزيد من الاختلافات بين اللِّساني والمعجمي:

Pawley, A. 1985: *Lexicalization,* in: Georgetown University Roundtable on Language and Linguistics, pp. 98-120. (D. Tannen, ed.) Georgetown University Press, p. 99; Frawley, W. 1992-1993: Introduction. Dictionaries (14): 1 -3. p.1

(٥) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص ٨.

كتب أبي حيان ألا وهو «ارتشاف الضَّرب من لسان العرب[٦]»، فهذه الفِقرة تبيِّن منهجًا تعليميًّا مقترحًا يتدرج هرميًّا من الأبسط إلى المعقَّد، من الكلمات إلى التَّركيب، ومن ثَمَّ فقراءة المعجم (القسم الأول من الكتاب) لا تنفصل بحال من الأحوال عن بقية أقسام الكتاب (التَّصريف والتَّركيب)، فكل منها يغني الآخر ويعزز صيرورة تعلُّم اللُّغة الهدف المنشودة. ويرى روبرت إيرمرز R. Ermers أن تقسيم كتاب «الإدراك للسان الأتراك» إلى أقسام ثلاثة هي: اللُّغة، والتَّصريف، والنَّحو يُشبه بصورة كبيرة التَّقسيم الَّذي اتَّبعه أبو حيان في كتابه «ارتشاف الضَّرب»، ويرى أيضًا أن هذا التَّقسيم يقوم على ذلك التَّرتيب الَّذي خَصَّ به سيبويه كتابه[٧].

٢- حجم المعجم في كتاب الإدراك

إن صناعة معجم ثُنائي اللَّغة تختلف عن صناعة معجم أُحادي اللُّغة من حيث الحجم أو الحيِّز، أو يجب أن تكون مختلفة، والحقيقة أن هذا الأمر يتوقف على عدة عوامل، من أهمها: العَلاقة بين اللُّغتين «المصدر والهدف» ودرجة ارتباط كل منهما بالأخرى، هذا بالإضافة إلى مستوى متعلِّم هذه اللُّغة، وغيرها من العوامل الأخرى.

---

(٦) أبو حيان الأندلسي: انظر مقدمة ارتشاف الضَّرب من لسان العرب، تح مصطفى أحمد النَّحاس، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

(7) See Ermers, R. 2000: *The Description of Turkic with the Arabic Lingustic Model*, p. 326, inn An Internationaal Handbook on the Evolution of the Study of Language from the Beginnings to the Present/ Manuel International sur l'Évolution de l'Étude du Langage des Origines à Nos Jours / Ein internationales Handbuch zur Entwicklung der Sprachforschung von den Anfängen bis zur Gegenwart, edited by Sylvain Auroux, E. F. K. Koerner, Hans-Josef Niederehe & Kees Versteegh, Berlin/ New York, Walter Gruyter, 2000, p. 325 - 329.

وفي حالة معجم الإدراك قصد أبو حيان إلى ما أسماه جملة غالبة من خصائص لغة التُّرك، يقول أبو حيان: «والغرض في هذا الكتاب ضبط جملة غالبة من لسان التُّرك لُغةً وتصريفًا ونحوًا[٨]». إن عبارة أبي حيان (جملة غالبة من لسان التُّرك) تبين لنا أن معجمه لن يتناول كل ما في اللُّغة التُّركية من ألفاظ ومفردات، إنما يتناول فقط ما يحتاج إليه المتعلِّم، وهذا شي مهمٌّ في بناء المعجم الثُّنائي، فعلى الصّانع أن يراعي في معجمه حاجات المتعلِّمين ومستواهم، وفي ظل عَلاقة احتكاك لُغوي موجودة بالفعل بين اللُّغة الهدف (التُّركية) ولغة المتعلم (العربية) زمن وجود أبي حيان في مصر، يمكن لنا تبرير هذا النَّهج.

ويشغل المعجم في هذا الكتاب من الصفحة العاشرة (١٠) إلى الصَّفحة الرّابعة والعشرين بعد المائة (١٢٤)، وهذا يعني أنه يشغل ما يزيد على نصف الكتاب؛ إذ يبلغ هذا الكتاب ثلاث عشرة ومئتي صفحة.

٣- الاختصارات والتَّنبيهات

عُني أبو حيان بوضع مجموعة من الاختصارات الَّتي قصد بها ضبط التَّشكيل الصَّوتي/ النُّطقي للكلمات التُّركية وحروفها، وهذه الاختصارات إشارة مهمة من إشارات المعجم تنمُّ عن فهم أبي حيان و وعيه بمخاطر الانحراف النُّطقي الَّتي قد تتعرض له الكلمات؛ مما يؤثر سلبًا على دلالتها أو يؤدي إلى التباس معناها بمعاني كلمات أخرى، فجاءت هذه الاختصارات زيادة في الضَّبط والإحكام. يقول أبو حيان: « و وضعتُ علامة للمرقَّق (ق)، وللمفخَّم (خ)، وللمشوب (ش)[٩]»، والحقيقة أن اختيار هذه الاختصارات

---

(٨) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص ٨، ٩.
(٩) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص ٩.

يتميز بالبساطة؛ مما يسهل على المتعلِّم استخدام المعجم، ويساعده في ضبط التَّطريز التَّصويتي للكلمات.

وإلى جانب قائمة الاختصارات السّابقة ثَمَّة مجموعة أخرى لا تتعلق بالتَّصويت، إنما تتعلَّق بمصادر المعجم، أي: باللُّغات والضُّروب اللَّهجية الَّتي استقى منها أبو حيان ألفاظ معجمه ومداخله، يقول: « وللمنقول من لسان الفرس (ف)، ومن لسان التُّركمان (ت)[١٠]»، وما قيل عن بساطة مختصرات التَّصويت والنُّطق ينطبق على هذه القائمة أيضًا.

كذا نبَّه أبو حيان إلى أن الضَّبط الموجود في معجمه هو الضَّبط الصَّحيح، وأنه إذا كان هناك ضبط آخر يخالف ما جاء في معجمه، فإنه صادر عن الاحتكاك اللُّغوي بين التُّركية وغيرها من اللُّغات الأخرى والذي قد يتسبب في فساد الكلام واللَّحن فيه، يقول: «وما وجدته في كتابي هذا مضبوطًا ورأيت من يتكلم بلسان التُّرك يخالفه في زيادة حرف، أو نقصه، أو تغيير حركة بحركة، أو تحريك مُسَكَّن، أو تسكين مُحَرَّك، أو غير ذلك، فلتعلم أن ذلك منه لحن في هذه اللُّغة؛ إذ قد تغير كثير منها في هذه البلاد لمخالطة المستعرِبة وغيرهم من الأعاجم[١١].»

ترتيب المعجم

بالنِّسبة لترتيب مواد المعجم يقول أبو حيان: «وقد ضبطت هذا اللِّسان حرفًا حرفًا، ورتبت الكلام في اللُّغة على حروف المعجم باللِّسان التُّركي، فأذكر اللَّفظة التُّركية وأتبعها بمرادفها من العربية[١٢].»

---

(١٠) المرجع السّابق.
(١١) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص ٩.
(١٢) المرجع نفسه، ص ٩.

وكان أبو حيان قد ذكر في القسم الخاص بالتَّصريف مجموعة الحروف/ الأصوات التُّركية، فقال: «وحروف المعجم في هذا اللِّسان ثلاثة وعشرون حرفًا وهي: الهمزة، والباء الخالصة، والباء المشوبة، والتّاء، والجيم الخالصة، والجيم المشوبة، والدّال، والرّاء، والزّاي، والسّين، والشّين، والصّاد، والطّاء، والغين، والقاف، والكاف الخالصة، والكاف البدوية، واللّام، والميم، والنّون الخالصة، والنّون الخيشومية، والواو، والياء[١٣]»، وعليه نجد أن التَّرتيب المتبع في هذا المعجم هو التَّرتيب الألفبائي، حيث بدأ بحرف الهمزة وانتهى بالياء مرورًا بالحروف الَّتي بينهما.

مصادر المعجم

لكل معجم ثُنائي اللُّغة مصادره الَّتي يعتمد عليها، وهذه المصادر تختلف عن مصادر بناء المعجم الأحادي بطبيعة الحال، وينبغي أن تكون للمُتصدّي لهذا النَّوع من الصِّناعة معرفة كافية باللُّغة المصدر موضع التَّعلُّم، هذا بالإضافة إلى معرفته بضروب هذه اللُّغة وتنوُّعاتها اللَّهجية الفاعلة في تغيير دَلالة كلماتها وطرق استخدامها، علاوة على إمكانية الإفادة من معاجم أخرى سبقته إلى هذه اللُّغة، أو الاعتماد على أشخاص يحيطون بهذه اللُّغة ويجيدون استعمالها، ومن ثَمَّ أَعْرِض هنا للمصادر الَّتي اعتمد عليها أبو حيان في بناء معجم الإدراك، وأُبينُ مجموعة التَّنوُّعات والضُّروب اللُّغوية الواردة في معجمه.

بداية يشير روبرت إريرمرز إلى أن هناك من يرى أن كتاب «ديوان لغات التُّرك» لمحمود الكاشغري (الصّيني) [١٤] قد يمثل أحد المصادر الَّتي اعتمد

---

(١٣) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

(١٤) لعرض جيد حول هذا الدّيوان ومحتوياته وأهميته انظر: فريد لي قواتغيين ٢٠٠٧: ديوان لغات =

عليها أبو حيان في كتابه، وأن أبا حيان قد رأى هذا الكتاب واعتمده مصدرًا من مصادره، ولكن - بحسب إيرمرز - هناك مجموعة من الاختلافات بين الكتابين يُستبعد معها تأثر أبي حيان بكتاب «ديوان لغات التُّرك»، وأن هذه الاختلافات تتمثل في نوع المقاربة، والبنية الخاصة بالكتابين، والمصطلحات المستعملة فيهما، وكذلك تنوُّعات اللُّغة التُّركية [١٥].

(أ) بيلك وفخر الدّين

ورد في معجم الإدراك اسمان اعتمد أبو حيان على كل منهما في بيان بعض معاني الكلمات أو ضبط طريقة لفظها في لغتها، وهاتان الشَّخصيتان هما: بيلك وفخر الدّين، وقد أشار أبو حيان إلى الأخير بقوله: (شيخنا)، ونسب إلى الأول منهما كتابًا ظاهر أمره أنه معجم ثنائي اللُّغة يهتم باللُّغة التُّركية، فقال: وفي كتاب بيلك، و ورد ذكرهما معًا في قوله عند الحديث عن (أُيا) = «العش، كذا في كتاب بيلك، وقال شيخنا فخر الدّين: لا أعرفه إلا (يوا)، وقد ذكرناه في حرف الياء.»

والحقيقة أن كتاب الإدراك يخلو من الإشارات الَّتي قد تساعدنا في تحديد هاتين الشَّخصيتين تحديدًا دقيقًا، ولكن هناك من يرى أن فخر الدّين هذا هو (أبو طاهر إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن برتق بن برغش بن هارون القوصي الفقيه الحنفي المصري)، وهو الملقَّب جلال الدّين توفي في السَّنة السّادسة من سلطنة النّاصر محمد الثّالثة سنة (٧١٥ هـ/ ١٣١٥ م)، وهو شيخ

= التُّرك، أول معجم للتُّركية العربية قبل ألف سنة، مجلة مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، العدد ١١٠ ، ص ١٨٣ - ١٨٨.

(15) See: Ermers, R. 2000: *The Description of Turkic with the Arabic Linguistic Model*, p. 326.

أبي حيان؛ إذ تعلَّم على يديه القراءات القرآنية السَّبع(١٦).

أما بيلك هذا فالرّاجح أنه غير معروف، ولكن هناك ثلاثة أسماء مطروحة من أجل تحديد شخصيته، هذه الأسماء هي: علاء الدّين بيلك القفجاقي، وبيلك بن عبد الله القبجاق، وبيلك الخازندار، ويبدو أن إيرمرز R. Ermers يرجِّح أن يكون بيلك هذا هو بيلك الخازندار الذي اشتُهر بمعرفته للغات أجنبية كثيرة فضلًا عن درسه للتّاريخ والحديث ومعرفته بهما، حيث ذُكِر هذا الاسم أيضًا في كتاب «البُلْغة» (ويقصد به «إرمرز» كتاب «بلغة المشتاق في لغة الأتراك والقبجاق» لجمال الدّين التُّركي)(١٧)، ولبيلك هذا كتاب يُسمّى «الأنوار المضيئة»، غير أن محتوى هذا الكتاب غير معروف(١٨)؛ مما يصعب معه القول إنه الكتاب المقصود في المعجم الذي نقل عنه أبو حيان.

وعلى أية حال فالواضح أننا إزاء مصدرين: أحدهما يمثل رواية شفهية عن طريق شيخ أبي حيان، أي: فخر الدّين، والآخر يعد مصدرًا مكتوبًا؛ إذ دائمًا ما يحيل إليه أبو حيان بقوله: «وفي كتاب بيلك»، وأغلب الظَّنِّ أنه معجم في اللُّغة التُّركية مفقود لم يصل إلينا، وقد تتبعت مواضع ذكرهما في المعجم فوجدت لبيلك ستة وعشرين موضعًا، ولفخر الدّين خمسة مواضع فقط.

*** بين بيلك وأبي حيان**

يهمنا هنا أن نعرض للعَلاقة الَّتي ربطت بين بيلك وأبي حيان داخل

(16) See: *Ermers, R. 1999: Arabic Grammars of Turkic: The Arabic Linguistic Model Applied to Foreign Languages and Translation of Abu Hayyan al Andalusi's Kitab al-Idrak li-Lisan al-Atrak*. Leiden: E. J. Brill, p. 26.

(17) See: Ermers, R. 1999, op. cit. p. 26, 39

(18) Ibid, p. 45

المعجم، ومن أشكال هذه العَلاقة ما يلي:

■ أن يتفقا حول معنى كلمة ما ولفظها، يقول أبو حيان: ين = الريش في كتاب بيلك.

■ أو أن يتفقا حول معناها ويختلفا في لفظها، يقول أبو حيان: قُلَق = الأذن، وفي كتاب بيلك (قُلَع).

■ أو أن يتفقا على لفظها ويختلفا حول معناها، يقول أبو حيان: يمشى = الفاكهة، وفي كتاب بيلك الثَّمرة.

■ و ورد مثال يبين أنهما اختلفا في اللَّفظ والمعنى، يقول أبو حيان: أُودى = فتّ، وفي كتاب بيلك (أُودو) = طحن،

■ وفي أمثلة واضحة يبدو أن كتاب بيلك يطرح مجموعة من المعاني أكثر من الَّتي يطرحها أبو حيان، يقول: بُزَوُ = العجل الصَّغير، ويقال (بُزَغُو) بالواو والغين، وفي كتاب بيلك ولد الأيل وفيه أيضًا العجل الصَّغير. ويقول: بَصا = يقال عند الاستزادة من الحديث نحو إيه في اللِّسان العربي، وقال بيلك: بصا = كلمة يجيء في أثناء كلامهم فاصلة وهي لفظة بصا = فتارة يكون بمعنى ثم، وتارة بمعنى إلا، وتارة بمعنى أيضًا.

*** بين فخر الدّين وأبي حيان**

العَلاقة بين أبي حيان وشيخه فخر الدّين فيما يتعلق بمداخل المعجم لا تختلف كثيرًا عن الأشكال السّابقة للعَلاقة بينه وبين بيلك، فهما في أحيان

■ يتفقان في اللَّفظ ويختلفان حول المعنى، يقول أبو حيان: صَلجا = المحفة، وقال شيخنا فخر الدّين: صَلَجا = عود الجنازة.

■ أو يتفقان حول المعنى ويختلفان في اللَّفظ، يقول أبو حيان: كبكُك =

الشَّديد الزُّرقة، وقال شيخنا فخر الدّين: هو بالميم بدل الباء.

ولكن ثمة إشارة وردت عند حديث أبي حيان عن (اِشْكِك) يتبين منها صدقه في النَّقل، يقول: اِشْكِك = المجدف، ولم يعرف شيخنا فخر الدّين هذه اللَّفظة.

*** بين بيلك وفخر الدّين**

ورد في المعجم الخلاف بين فخر الدّين وبيلك حول بعض الكلمات على النَّحو التّالي، يقول أبو حيان:

اُيا = العش كذا في كتاب بيلك، وقال شيخنا فخر الدّين: لا أعرفه إلا (يوا)، وقد ذكرناه في حرف الياء.

ومن الواضح أنهما اتفقا في هذا المثال حول معنى الكلمة واختلفا في لفظها. أما المثال التّالي فقد اختلفا فيه حول اللَّفظ والمعنى معًا، يقول أبو حيان:

صِزدِردى= أذاب هكذا في كتاب بيلك، وقال شيخنا فخر الدّين: ليس بجيد، بل أذاب (اَرِتى) لأن ذاب (اَرِدى) وأما (صِز) فأنضج، و(صِزْدى) نضج في نفسه.

(ب) الضُّروب اللُّغوية واللَّهجية في المعجم

وردت في المعجم مجموعة من الضُّروب اللهجية للغة التُّركية الَّتي أخذ عنها أبو حيان بعض الألفاظ والمعاني، وهي اللُّغة القبجاقية[١٩]،

(١٩) ورد هذا الضرب اللغوي في الصفحات التالية من كتاب الإدراك: ١٥ (٢)، ٢٢ (٣)، ٢٣ (٢)، ٢٥ (٢)، ٣١، ٣٤ (٢)، ٣٥، ٣٨، ٤٣، ٤٥ (٣)، ٤٦ (٢) ٤٧ (٢)، ٤٨، ٤٩، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٦ (٢)، ٧٩، ٨٠ (٢)، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ١٠٢، ١٠٥، ١١٠ (٢)، ١١١، ١١٤ (٢)، ١١٦، ١٢١.

والتّركمانية[٢٠]، ولغة البلغار[٢١]، ولغة التُّركستان[٢٢]، ولغة طقصبا[٢٣] كما ورد في المعجم مجموعة أخرى من المفردات المترَّكة عن العربية أو الفارسية[٢٤].

والنّاظر إلى هذه المجموعة يرى أن أبا حيان اعتمد في بناء هذا المعجم على صِنفين من اللُّغات والضُّروب اللَّهجية (وإن كان يُسمّي بعضها لغات شأنه شأن كثير من النُّحاة العرب وعلى رأسهم سيبويه؛ إذ ترد اللُّغة في كتابه ويراد بها اللَّهجة)، أول هذين الصِّنفين هو مجموعة الضُّروب اللَّهجية الَّتي تنتمي إلى لغة واحدة (التُّركية)، وتُسمّي في مجال احتكاك اللُّغات intrafamily contacts ، والصِّنف الآخر تمثله مجموعة من الضُّروب الَّتي تجمعها عَلاقة احتكاك بلغات أخرى(كالألفاظ المترَّكة عن الفارسية أو العربية)، وتُسمّى interfamily contacts [٢٥]، ولا يخفى تأثير هذا الاحتكاك بنوعيه، ليس فقط على المستوى المعجمي للغة موضع الاعتبار، بل على المستوى التَّركيبي الخاص بها أيضًا، وهذا ما يجب على واضع المعجم أن يعيه تمامًا ويضعه نُصب عينيه.

---

(٢٠) و ورد ذكرها في الصَّفحات: ١١، ١٧، ١٨، ٢١، ٣٠، ٣١، ٣٥، ٤٥، ٤٦، ٤٧ (٢)، ٤٨ (٢)، ٤٩، ٦٨، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٧٩ ، ٨٠ (٤)، ٨٧، ٨٩ (٣)، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٢ (٢)، ١٠٣، ١٠٥ (٣)، ١١٣ (٢)، ١١٤ (٣)، ١٢١، ١٢٢.

(٢١) و وردت في الصَّفحات: ١٣، ١٦.

(٢٢) وردت في الصَّفحات: ٣٤، ٤٩.

(٢٣) و وردت ص ٢٠.

(٢٤) ورد القول بالنقل عن الفارسية صراحة في الصَّفحات: ١٢، ٣٦، ٤١ (٢)، ٤٢، ٤٤ (٢)، ٤٥، ٤٩، ٥٦، ٧٣ (٢)، ٧٤، ٧٦، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ١٠٦ (٢)، ١٠٧، ١١٢، ١١٥. وورد لفظ التَّتريك سواء عن العربية أم الفارسية في الصفحات: ٣٧، ٥٨، ٦٠، ٧٤، ٩٢، ٩٥ (٢)، ٩٧، ١٠١، ١١٢ (٣).

(٢٥) لمزيد من التفاصيل حول هذين الصِّنفين انظر:

Lars Johanson 2010: *Turkic Language Contacts*, p. 652-653, in Raymond Hickey (ed.): The Handbook of Language Contact. Wiley-Blackwell, pp. 652 - 672.

معلومات المعجم

(أ) المعلومات الصَّوتية في المعجم

من المهم أن يعرض المعجم ثنائي اللُّغة لمجموعة من المعلومات الصَّوتية الَّتي تمكِّن المتعلِّم من النُّطق السَّليم للغة الثّانية، لا سيما إذا كانت هذه اللُّغة قد استمدت مفرداتها من لهجات مختلفة، وقد عرض أبو حيان في مواضع متفرقة من الكتاب مجموعة من المعلومات الصَّوتية المتعلقة بطريقة نُطق المفردات في اللُّغة التُّركية، فنجده على سبيل المثال:

■ يعرض في المعجم لمجموعة الأصوات والحروف وبعض سماتها في اللُّغة التُّركية، فقال عن اتصال الباء بأختها على سبيل المثال: الباء مع الباء = لا يوجد أول كلمة باء مشوبة إلا قولهم: ببج «ش»، فإن أولاهما مشوبة. وقال عن حرف اللّام والكلمات الَّتي يدخل فيها: (حرف اللّام) وهو قليل في الأسماء، وأما في الأفعال فلا يكاد يوجد، وأما في الحروف فلا يحفظ منه إلا قولهم: لي بمعنى ذو.

وهذا العرض يرتبط بما جاء في القِسم المستقلِّ الخاص بالتَّصريف حيث ذكر الحروف التُّركية، فقال: «وحروف المعجم في هذا اللِّسان ثلاثة وعشرون حرفًا وهي: الهمزة، والباء الخالصة، والباء المشوبة، والتّاء، والجيم الخالصة، والجيم المشوبة، والدّال ، والرّاء ، والزّاي، والسّين، والشّين، والصّاد، والطّاء، والغين، والقاف، والكاف الخالصة، والكاف البدوية، واللّام، والميم، والنّون الخالصة، والنّون الخيشومية، والواو، والياء»[٢٦]، ولم يكتفِ أبو حيان بهذا بل نبَّه أيضًا إلى أنه «متى وجِد في بعض الكلم حرف غير هذه فيعلم أن تلك الكلمة

(٢٦) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص ١٢٥.

غير تركية، بل منقول من لغة غير هذه اللُّغة، مثل (اَخْشَم) و(فَرَمَنْ)[٢٧].»

■ يضع الرُّموز الخاصة بطريقة نُطق بعض الأصوات وحالاتها النُّطقية من تفخيم أو ترقيق وغير هذا، واستخدام هذه الرُّموز داخل المعجم، قال أبو حيان: «و وضعت علامة للمرقق (ق)، وللمفخم (خ)، وللمشوب (ش)[٢٨]»، ومن أمثلة استخدامه لهذه العلامات داخل متن المعجم قوله: أَبْجى = «ش» المرأة يعني عورت، أوج = «خ» الثَّأر، دزدى = «ق» نظم الشيء.

■ ينبِّه على الضَّبط الصَّحيح للكلمات داخل معجمه وللصّورة الأخرى الَّتي قد تبتعد عن هذا الضَّبط، وفي هذا يقول: «وما وجدته في كتابي هذا مضبوطًا ورأيت من يتكلم بلسان التُّرك يخالفه في زيادة حرف، أو نقصه، أو تغيير حركة بحركة، أو تحريك مُسَكَّن، أو تسكين مُحَرَّك، أو غير ذلك، فلتعلم أن ذلك منه لحن في هذه اللُّغة؛ إذ قد تغير كثير منها في هذه البلاد لمخالطة المستعرِبة وغيرهم من الأعاجم[٢٩].» وقال أيضًا: « جِين = النَّقش بالحرير، وجميع ما أوله جيم هي فيه مشوبة.»

■ يعرض لصور الكلمات إذا كانت تنتمي إلى ضروب لهجية مختلفة، ونَصَّ على تسمية كل ضرب منها، وما يصاحب هذا الانتماء من طرائق النُّطق المختلفة باختلاف هذه الضُّروب، ومن أمثلة هذا: أويدى = نام وإبدال الياء ذالًا لغة تركستانية قالوا: أزيدى، وقد ذكرناه قبل.

■ يشكل ويضبط أغلب كلمات المداخل في المعجم.

■ يبيِّن أصول الصِّيغ وما حدث لأصواتها من تغيرات، ومن أمثلة هذا

(٢٧) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ٩.

(٢٩) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص ٩.

قوله: اغردى = شاب وابيضّ، وأصله اَقْردى فأبدلت القاف غينا. وقوله: اُنّدَى = تأصل، الندردى = أَصل، ولن إنما دخلت على تأصل ثم وجدت في أصل، واللام قبل النّون زائدة أدغمت فيها لام ال.

■ يربط بين تصويت الكلمات وبعض وظائفها المختلفة داخل نظام اللُّغة، ومن أمثلة هذا: بُغْدى = خنق، وهو علم ، وترقَّق باؤه إذا كان علمًا.

■ يوضِّح كيفية نطقها في الكلام المرسل الواقعي، ومن أمثلة هذا: اُل = هو، وبمعنى ذاك، وبمعنى الأصل، ويقال بمعنى التَّحسين، يقال في المدح: اُل صَغا ، ويقال اُلي (خ) أي: أحسنت، واُلى اُلى.

(ب) المعلومات الصَّرفية في المعجم

أفرد أبو حيان في كتابه فصلًا كبيرًا تحدث فيه بعناية عن المستوى الصَّرفي للُّغة التُّركية، وعرض فيه لأبنية الأفعال السَّماعية والقياسية، وتحدث عن التَّصغير، والنَّسب، والجمع، ثم عن اسم الفاعل، والمبالغة، والتَّفضيل، واسم المفعول، والمصدر، واسم المكان، والآلة، والهيئة، ثم عن الأعداد، وحرف النَّقل والتَّعدية، وحروف المطاوعة، والاتحاد، والمشاركة، والمضارعة، والمضي، ثم حروف الزِّيادة وأماكنها، ثم الحديث عن البدل، والحذف، والإدغام، وبيَّن خلال هذا الفصل بعض الخصائص الَّتي تميز التُّركية عن العربية، ورغم هذا لم يَخْلُ المعجم من بعض المعلومات الصَّرفية، ومن أمثلة هذا:

*** بيان دلالة أجزاء الكلمة وأثر تفاعلها في معنى الكلمة**

يتي = السَّبعة، وأصلها (يدي)، وينطق أيضًا بالأصل (يتمش)= سبعون التّاء بدلًا من الدّال، لأن (يدي) سبعة، و(مش) صار بها تدل على السَّبعين.

كُرُشْدى= أي: صافحه، والشّين فيه للمفاعلة، وهو منقول من ناصره إلى صافحه.

*** عرض بعض الصِّيغ الفعلية والتَّغيرات الَّتي تحدث فيها**

تِرِلدى = عاش وحقيقته أُحيي واللّام لحقت لأجل بناء الفعل للمفعول.

كِرتو = صادق، ولا يأتي منه فعل، بل إذا أرادوا معنى صدق قالوا: كِرتوسُزلَدى، أي: تكلم صادقًا.

بس = هي التربية، بسلدى = ربّى، بسلندى = تربّى، بسى يخشى در = أي: تربية جيدة ويمندر أي: رديئة.

*** عرض للصِّيغ المشتقة وبين دلالاتها**

آز = القليل، ازيلدي = صار قليلًا بمعنى قل، ازلدى = بمعنى انقل، أي: صار قليلًا.

*** عرض لمعاني الصِّيغ المصاحبة للكلام وبين دلالتها**

دُر = لفظ يصحب الخبر وغيره للتَّوكيد، وتبدل داله طاء في بعض المواضع.

*** عرض لمعاني الحروف وحروف المعاني**

أُطْلق: الزِّناد، ولحقت (لق) للإعداد.

دردو: الأربعة المجتمعة، ودرد هو الأربعة، وهذه الواو دالة على هيئة الاجتماع.

سُرْتُندى = امسح، والنّون للمطاوعة ثم استُعمل بمعنى زحف.

سِز = لفظ يلحق الأسماء فتدل على انتفاء ما دخلت عليه عن المحكوم

عليه به فيقولون: (تلسز) أي: بلا لسان، أي: أخرس.

صَمَصَن = أي: لجَّ، ولحقت النّون زائدة فرقًا بين الاسم والفعل.

طبجي = الخادم، و(جي) للنِّسبة.

(ج) المعلومات النَّحوية في المعجم

على الرَّغم من أن التَّركيب أو القواعد شكَّلَت قسمًا مستقلًّا من أقسام كتاب الإدراك عالج فيه أبو حيان وضع المفردات داخل الجمل والأساليب مطبقًا النَّموذج النَّحوي العربي على اللُّغة التُّركية، إلا أن معجمه لم يخلُ من إشارات مهمة تتعلق بالجانب التَّركيبي لبعض الكلمات، وأحسب أن مثل هذه المعلومات مهمة في التَّعريف بالكلمات ومعانيها، ومن أمثلة هذه الإشارات قوله:

ترِلك = الحياة، ترِلدى = عاش، وحقيقته أُحيّي، واللّام لحقت لأجل بناء الفعل للمفعول.

تُزَلْدى = استوى، ولا يقال (اَشْ تزلدى)، إنما يقال (اش بشتي) استوى الطَّبيخ، ويجوز (تزلدى اشلر) أي: استوى أمورها.

دِن = النَّفس، يقال (دِنِنْ اَلِشْتي)، أي: تنفس، و(الشتي) معناه عاط وآخذ مأخوذا من(الَدْى) أي: أخذوا، والشّين للمشاركة، والنّون في (دنن) للمفعولية، والكسرة في النّون الأولى للإضافة.

سِز = اسم مضمر بمعنى أنتم، و(سِز) لفظ يلحق الأسماء، فتدل على انتفاء ما دخلت عليه عن المحكوم عليه به فيقولون: (تُلْسز) أي: بلا لسان بمعنى: أخرس، و(كُزسِز) أي: بلا عين بمعنى: أعمى، و(اَطْسِز) أي: بلا فرس.

طُطْماج = عجين يلقى في مرقة اللحم معناه الممسك للجوع، (طُطْما)

أي: لا تمسك و(آج) جائعا، فيسمى بالجملة.

قَجْ = كلمة يستفهم بها بمعنى كم.

كِرتو = صادق، ولا يأتي منه فعل، بل إذا أرادوا معنى صدق قالوا: كِرتوسُزلَدى، أي: تكلم صادقًا.

والحقيقة أن بعض هذه المعلومات التَّركيبية أو الوظيفية – كما يتبين لنا من خلال الأمثلة السّابقة – ركن أساسي في تعريف بعض المفردات، و وجودها في معجم ثنائي اللُّغة أمر مهمٌّ وضرورة مبرَّرة من أجل استعمال هذه اللُّغة في التَّواصل بطريقة سليمة.

ويمكننا القول: إن أبا حيان في معجمه لم يكتفِ بذكر المعلومات الخاصة بالسُّلوك التَّركيبي للكلمات في لغتها فقط، بل حاول أن يفيد من آلية المقارنة بين سلوك بعض الكلمات في التُّركية وفي العربية تقريبًا للمسألة وإلحاحًا على تحقيق الفائدة، يقول على سبيل المثال:

دكما = هذه جاءت كما جاءت (كل) في اللِّسان العربي، يضاف إليها ما بعدها، وذلك (تيم) و(بر) و(انَجا) بمعنى (بعض) كذلك بخلاف المضاف والمضاف إليه في هذا اللِّسان، و(بر) معناه واحد، و(انجا) مثله، ثم استُعمل مجموع ذلك بمعنى بعض.

(د) المعلومات الدَّلالية في المعجم

بيَّن أبو حيان معاني الكلمات التُّركية باستخدام بعض المفاهيم العربية المتعلِّقة بالدَّلالة، فاستخدم مفاهيم كالأصل، والمشترك، والتَّرادف، والنَّقل، والضِّد، والكناية، أما عن طريقته في عرض دَلالات الكلمات والمعلومات الدَّلالية الخاصة ببعض المفردات فيمكن لنا أن نلخِّصها في العناصر التّالية:

■ اعتماد الأصل في بيان معنى الكلمة ودلالة التَّحوُّل عن هذا الأصل، ومثال هذا: ابَطْرَا = علم يُسمّى به أبو الأم، وأصله للجدة، ويقال للأم على طريقة التَّحنن.

■ بيان المعاني المشتركة والتَّفريق بين استعمالاتها في بعض الحالات، ومثال هذا: اِدِى = مشترك بين أرسل وكان، فإذا كانت بمعنى أرسل كانت متصرفة، وإذا كانت بمعنى كان لم يتصرف فيها تغير المضي. وآرو= مشترك بين النَّحل والزُّنبور، وإذا أرادوا النَّحل بعينه قالوا: بالْ اَرِيسِى. وقُر = الوقت والسن يعني العمر، مشترك، بغدى = القمح، وبالقبجاقي بيدى ويوصف به بمعنى أسمر.

■ اعتماد الضِّد والمقابل، ومثال هذا: اَرْكَك = الذَّكر مقابل الأنثى. يُرقا = الرَّقيق المقابل للغليظ من قماش أو غيره.

■ وضع الكلمات في أمثلة حية لبيان معانيها، ومثال هذا: اُرْقن = رفقًا، يقال: ارقن ارقن كَلُر ـ أي: يجيء رِفْقًا رِفْقًا.

■ شرح معاني المكافئات منعًا للالتباس، ومثال هذا: اطلو= الفارس، أي: ذو الفرس. واطلندى = ركب أي: اتخذ فرسًا. واَغِرْلَدى = استثقله بمعنى احترمه وأكرمه.

الطَّريقة التَّواصلية ودورها في المعجم

من المعروف بل الشائع في اللِّسانيات التَّطبيقية الَّتي تهتم بتعليم اللُّغات التَّركيز على ما يُسمّى الطَّريقة التَّواصلية في تعليم اللُّغات، وتشديدها على أهمية تلك الطَّريقة ومدى نجاحها، وهنا أعرض لبعض إشارات أبي حيان فيما يخص هذه الطَّريقة وأثرها في بيان المعاني وطُرُق استخدامها في سياقات

تواصلية حقيقية، يقول:

أَنُق = الحاضر، يقال:

أَنُق لاغِل، أي: احضره.

ويقال إذا طلب الإنسان الهدية يقول لصاحبه:

ارمغن فني، فيجيبه صاحبه:

انق طُرْ ، أي: حاضر.

ويقول أيضًا:طنلا = معناه وقت الصُّبح،

يقول : طنلا كلدم، أي: جئت وقت الصُّبح،

وإذا قال: أجيء في الصُّبح ، قال: طندا كلكمن.

وإذا كانت هذه الإشارات تمثِّل نِسبة قليلة حيث وردت فقط مع بعض المداخل، إلا أنها تؤكد لنا فطنة أبي حيان لأهمية هذه الطَّريقة، وتضرب لنا مثالًا جيدًا يمكن أن نفيد منه في صياغة المعجم الثُّنائي الحديث. كذلك وردت بعض الإشارات الخاصة بالعادات التَّواصلية في التُّركية وأعدُّها هنا متمًّا للطَّريقة التَّواصلية، ومثال هذا:

بَصا = يقال عند الاستزادة من الحديث نحو (إيه) في اللِّسان العربي، وقال بيلك: بصا = كلمة يجيء في أثناء كلامهم فاصلة وهي لفظة بصا = فتارة تكون بمعنى ثم، وتارة بمعنى إلا، وتارة بمعنى أيضًا.

دُب دُز = «ش» يعطي معنى التفضيل وهي مبالغة في الاستقامة.

دُر = لفظة يصحب الخبر وغيره للتَّوكيد وتبدل داله طاء في بعض المواضع.

دَلِم = الكثير، يقال: (بودلم در) أي هذا كثير ويقال عند استكثار الشَّيء.

معرفة اللُّغة والمعجم الثُّنائي

النّاظر في مجموعة مؤلَّفات أبي حيان يجد عددًا لا بأس به من الكتابات الَّتي اهتم فيها أبو حيان باللُّغة التُّركية خاصة، فمن هذه المؤلَّفات: «الأفعال في لسان التُّرك[٣٠]»، و«زهو الملك في نحو التُّرك»، بالإضافة إلى كتابه «تحفة المسك في سيرة التُّرك»، وإذا كانت هذه المؤلَّفات تدل دلالة واضحة على معرفة أبي حيان بالتُّركية، إلا أن من المعروف عنه أيضًا أنه كان صاحب اهتمام كبير بلغات أخرى غير العربية كالفارسية والإثيوبية والقبطية، بالإضافة إلى اهتمامه بالقرآن والتَّوراة.

إن قراءة القسم الثّاني المخصَّص للتَّصريف، وكذلك القِسم الثّالث المخصَّص للنَّحو والتَّركيب من هذا الكتاب كفيلة ببيان معرفة أبي حيان بهذه اللُّغة، الأمر الَّذي مكَّنَه من تطبيق النَّموذج النَّحوي العربي كاملًا على نحو هذه اللُّغة، ولكن المُهمَّ بالنِّسبة لنا هنا أن نؤكد على أن مثل هذه المعرفة ضرورة لكل مهتمٍّ بإنشاء معجم للغة من اللُّغات سواء أكان أحادي اللُّغة أم ثنائي اللُّغة.

وأودُّ أن أشير هنا إلى بعض الإشارات الَّتي وردت في هذا المعجم دلالة على معرفة أبي حيان باللُّغة التُّركية، وأثر هذه المعرفة في المنهج الَّذي اتَّبعه في التَّعامل مع مواد معجمه، وطريقته في تعريفها وبيانها، وذلك للتَّأكيد على أنه يجب على المتصدّي لصِناعة معجم ثنائي اللُّغة أن تكون لديه هذه المعرفة بوجوهها المختلفة، فلا يغني ذكر المرادف غفلًا عن معرفة المعاني وامتلاك الكلمات أو امتلاك أسرارها، ولا يغني منفردًا شيئًا في فَهمنا منطق اللُّغة المصدر وطريقتها في بناء معانيها وطرق استعمال تلك المعاني، ومن الوجوه الَّتي تتبين لنا من خلالها هذه المعرفة ما يلي:

(٣٠) ذكره أبو حيان: الإدراك، ص ١٥٨.

*** معرفة الكثير والقليل والشّائع والمشهور، يقول :**

اوُزَرا = بمعنى على، وهي في لغة التُّركمان أكثر.

دِلْنَق = الحجة، ويقال بالتّاء وهو أكثر.

*** معرفة المهجور والمستعمل والغريب، يقول:**

اشنغ يل = عام، العام الأول، ويقال: اشنغيل، والمستعمل اليوم كَشْكَنيل.

انط طي = حزن وهي لغة غريبة جدًّا والمستعمل الآن لغة التُّركماني قَبْغُردي بمعنى حزن.

*** معرفة الاستخدام الحقيقي والمجازي، يقول:**

اِشِك = عتبة الباب، ويُكنى به عن الباب.

اُطَق = يُعبر به عن الخيمة والوطن في البرية، يقولون: اُطْقنْقَني. أي: أين منزلك؟

اقجا = الأبيض، وغلب على الدِّرهم.

كن = الشَّمس واليوم، وهو مجاز في اليوم.

كَنُش = يُطلق على الشَّمس مجازًا، وحقيقته للشُّعاع.

*** معرفة العام والخاص من المعاني، يقول:**

اُكُو = المهد، ويسمى أيضًا (بشك)، والفرق بينهما أنه يتخذ من الخشب والحديد سريرًا للصَّغير و(اُكُرْمَك) أعمُّ من ذلك، وهو كل ما يتحرك الصَّغير فيه من سرير وغيره، ويطلق أيضًا على أرجوحة الصَّغير (اُكُرْمَك) .

*** معرفة ما يستقبح ذكره من الألفاظ، يقول:**

بُزْدي = ضيق ... ومنه قيل للدُّبر بُزُكْ وهي مما يستقبح ذكره.

*** معرفة مراتب الاستخدام وسياقاته، يقول:**

أُل = هو، وبمعنى ذاك، وبمعنى الأصل، ويقال بمعنى التَّحسين، يقال في المدح: أُل صَغا ، ويقال أُلي (خ) أي أحسنت، وأُلى أُلى.

*** معرفة التَّلازم اللَّفظي ودلالاته، يقول:**

تُزَلْدى = استوى، ولا يقال (اَشْ تزلدى)، إنما يقال (اش بشتي) استوى الطَّبيخ، ويجوز (تزلدى اشلر) أي: استوى أمورها.

دُر = لفظة تصحب الخبر وغيره للتَّوكيد، وتبدل داله طاء في بعض المواضع.

صَرى شِن = أشقر اللَّون بصهوبة، ولا يستعمل (اشن) إلا مع (صرى).

قر يغز = أسود اللَّون، وأكثر ما يستعمل (يغز) مع (قرا)، وقد ينفرد.

*** معرفة أصل الوضع، يقول:**

ببا : يدعو الصَّغير أباه، والكبير أيضًا يدعوه كذلك،وأصله للصَّغير.

*** معرفة المنقول من معنى إلى آخر، يقول:**

يُزْلَدى = عتب ولام وكأنه منقول من ضرب وجهه.

كُرُشْدى= أي: صافحه، والشّين فيه للمفاعلة، وهو منقول من ناصره إلى صافحه.

*** معرفة الصُّور النُّطقية المختلفة للكلمة الواحدة، يقول:**

الطّرقج = الكرسي، ويقال بالغين مكان القاف.

*** معرفة الظَّواهر الصَّوتية المختلفة وعَلاقتها بدلالة الكلمات، يقول:**

بُغدى = خَنَق، وهو علم، وتُرقَّق باؤه إذا كان علمًا.

*** معرفة المكوِّنات الدَّلالية للكلمة ومعاني مورفيماتها، يقول:**

اِلْكُن = الدَّولة، وهو مركَّب من (ال) بلد و(كن) الشَّمس، فجعلوا ذلك

عبارة عن الدَّولة.

دردو = الأربعة المجتمعة، و(درد) هو الأربعة، وهذه (الواو) دالة على هيئة الاجتماع مع المرقَّق، ويخلفها مع المفخم (الغين)، وتستعمل (الكاف) أيضًا موضع (الواو)، و(الكاف) هي الأصل.

يَتْمُز = الذي ما له قدرة، (مز) معناها بلا و(يت) القدرة، فكأنه قال: بلا قدرة.

كل هذه الصُّور المختلفة للمعرفة بلغة من اللُّغات تتيح لصاحبها بناء معجم ثنائي ذي تكوين جيد وعرض حسن، والحقيقة أن هذه المعرفة لم تكن لتتوفر في معجم إلا وصاحبه لُغوي أو نحوي بارع مثل أبي حيان، فالعمل المعجمي على اختلاف صوره يقوم - بطريقة واعية أو غير واعية - على نظرية لسانية محددة تفيد من معطيات التَّحليل اللُّغوي على اختلاف مستوياته، وفي هذا أبلغ الرَّد على دعاوى الفصل بين عمل اللِّساني وعمل المعجمي، فهما متكاملان يفيد كلاهما من الآخر.

المعجم والمجتمع

من الأمور الَّتي لا جدال فيها أن اللُّغة ترتبط بالمجتمع وثقافته ارتباطًا وثيقًا، وأحسب أن هذا الارتباط ينسحب على جميع مستويات اللُّغة وبخاصة المعجم، فمن الجيد أن يشتمل المعجم وبخاصة المعجم ثنائي اللُّغة على الألفاظ والمفردات ومجموعة الأمثال الَّتي تعكس لنا هذا الارتباط، ونجد هنا في معجم أبي حيان مجموعة كبيرة من مثل هذه المفردات منها: الألفاظ الَّتي تتعلَّق بأسماء القبائل، وأسماء الأعلام، وألفاظ القرابة، وأسماء بعض المهن والوظائف والآلات، وعدة الحرب وألفاظ الرُّتب، والألفاظ الدَّالة على الطَّعام والوجبات، بالإضافة إلى بعض الألفاظ الدَّالة على بعض العادات

الاجتماعية الخاصة بهذا المجتمع في ذلك الزَّمان.

ملحوظات على المعجم

١ - التَّرتيب

الملاحظة الأولى هنا تتعلق بالتَّرتيب ولغة التَّعريف والتَّداخل بينهما، ففي أمثلة غير قليلة جمعت لغة التَّعريف بين العربية والتُّركية، ومن أمثلة هذا:

إِ = أرسل «الإرسال»، كندى باشنه وكندى حالنه قومق معنا سنه يقال: أرسله إذا أهمله لسانمزده إِإِ دنلو ركه براق يتشور معنالرينى ادا ايدر.

وهذا التعريف:

١ - يقدم لنا مرادف الكلمة باللُّغة العربية: أرسل «الإرسال».

٢ - ثم يسوق على هذا المعنى مثالًا من التُّركية : كندى باشنه وكندى حالنه قومق [أي تركه وشأنه].

٣- ثم يوضح معنى هذا المثال أو يترجم معناه باللُّغة العربية: معنا سنه [بمعنى] يقال: أرسله إذا أهمله.

٤ - ثم يذكر بعض الأفعال الَّتي تؤدي هذا المعنى في التُّركية: لسانمزده إِإِ دنلو ركه براق يتشور معنالرينى ادا ايدر [وفي لغتنا (أي: التُّركية) تقول:إِإِ دنلو ركه = اترك، يكفي يؤدي هذه المعاني]

ويمكن تبرير صورة هذا التَّعريف بأن أبا حيان قد استعمل مترادفًا يختلط معناه في ذهن المخاطبين، فتعريفه (إِ = أرسل «الإرسال») يشترك مع عديد من الأفعال العربية في أداء معنى غير معنى التَّرك والإهمال المصاحب للحرف (إِ) في التُّركية، فجاء التَّعريف يوضح المعنى المراد بشرح هذا المعنى بطريقة مفصلة من خلال استخدامه اللُّغتين للشَّرح.

والحقيقة أن الكلمات التُّركية المستخدمة في التَّعريف السّابق ليست لها مداخل في المعجم، بل إن أبواب بعض هذه الكلمات ليست موجودة، فلم أعثر - على سبيل المثال - على باب بعنوان (الميم مع العين)، والسَّبب في هذا أن أبا حيان لم يعتمد العين حرفًا من حروف الهجاء التُّركي السّابق، وهنا نأتي إلى قضية أخرى، وهي قضية حقيقة الحروف التُّركية وعددها، فإذا رجعنا إلى قِسم التَّصريف وجدنا أبا حيان يؤكد على أن عدد الحروف التُّركية ثلاثة وعشرون حرفًا، وأنه عدَّ الحروف المختلفة عن هذه الحروف غير تركية، ولكن هل لأبي حيان أن يستخدم في معجمه حروفًا وكلمات - وفق رؤيته - غير تركية؟ وهل يمكن أن يستعمل في تعريفه بعض الكلمات ألفاظًا ليست لها مداخل خاصة في معجمه؟

في الحقيقة ثمة حاشية للنّاشر في القِسم الخاص بالتَّصريف تفيد أنه نقل عن كتاب «القوانين الكلية لضبط اللُّغة التُّركية» أن الحروف التُّركية ثمانية وعشرون حرفًا في اللَّفظ و واحد وعشرون في الصّورة منها العين المهملة الخالصة[٣١] الَّتي لم يجعلها أبو حيان من بين حروف اللُّغة أو المعجم على السَّواء، وما أريد قوله بعيدًا عن الخوض في مسائل لا مجال لبحثها هنا: إننا أمام تعريف إما أن يكون من وضع النّاشر، وهذا ما أؤيده لأسباب أذكرها، وإما أن يكون أبو حيان قد استعمل في معجمه لغة غير الَّتي عدها تركية خالصة، وهذا مُستبعد بسبب أن أغلب من قام بتأليف عربي يتناول اللُّغة التُّركية كان ينص على التُّركية الخالصة - إن جاز هذا الوصف - دون غيرها، هذا بالإضافة إلى أن هذه النُّسخة من الكتاب الَّتي انتهى أبو حيان من تأليفها في يوم الخميس الموفي عشرين من رمضان سنة ٧١٢ هـ (١٥ يناير ١٣١٣ م)

(٣١) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص ١٢٥.

بمدرسة الملك الصّالح بالقاهرة وهي الَّتي اعتمد عليها النّاشر هنا هي نسخة منقولة عن النُّسخة الموجودة بإستانبول الَّتي وصفها إرمرز R. Ermers بأن أغلب كلماتها ليست مضبوطة الشَّكل، وأن قارئها تعوقه تعليقات كثيرة توجد على هامش الصَّفحات وبين سطور الكتاب[٣٢].

ناهيك عمّا ورد في التَّعريف السّابق من نِسبة هذا التَّعريف إلى النّاشر؛ إذ جاء في التَّعريف قوله: لسانمزده [لغتنا]، فقوله:لغتنا، يدل – بوضوح – على أن صاحب هذا التَّعريف شخص غير أبي حيان، بالإضافة إلى عدم اعتبار أبي حيان حرف العين حرفًا من حروف التُّركية، كما وردت في التَّعريف كلمة معنالريني، ومن أصواتها العين، وليس لها مدخل في المعجم.

وكذلك يؤيد ما ذهبت إليه هنا التَّرتيب المتَّبع في المعجم، فالتَّرتيب كما ذكرت من قبل ترتيب ألفبائي، ولكن المتأمل في الصّورة الَّتي جاء عليها هذا التَّرتيب يجد أن ثمة تداخلًا في ترتيب الكلمات بين المداخل والكلمات أو الأمثلة التُّركية الواردة في التَّعريف، انظر على سبيل المثال:

تركي	عربي	وأزعم أن الأصل فيه أن يكتب هكذا	
اب يب	الحبل بالقبجاقي	اب	الحبل، و(يب) بالقبجاقي
آرو بال آريسى	مشترك بين النَّحل والزُّنبور، وإذا أرادوا النَّحل بعينه، قالوا	آرو	مشترك بين النَّحل والزُّنبور، وإذا أرادوا النَّحل بعينه، قالوا: (بال آريسى).

(32) See: Ermers, R. 1999: op. cit. p. 24.

ولا أدلَّ على التَّداخل بل والتَّدخُّل أيضًا من قوله:بَزَر : السّوق، وهي منقولة من الفارسية أيضًا، لسانمزده ألف ممدودة وباء مشوبة ايله بازار دينلور.

فهنا ترى أن كلمة (بَزَر) هي عينها (بازار) بمعنى السّوق الواردة في المثال (ايله بازار دينلور)، ولكنَّ أبا حيان لو أراد (بازار) لأتى بها، ولكن هذه الكلمة (بازار) الواردة في التَّعريف من وضع النّاشر أو من الملحوظات والتَّعليقات الموجودة في مخطوطة الكتاب بيدٍ غير يد أبي حيان، وأحسب أن تعريف أبي حيان يقف عند قوله: وهي منقولة من الفارسية أيضًا. أما ما جاء بعد هذا الكلام من ملحوظات وأمثلة فهو للنّاشر أو لغيره.

٢- التَّكرار

من أمثلة التَّكرار كلمة (بِسْ) حيث وردت في باب (الهمزة مع الياء) وتكررت في باب (الباء مع السّين)، قال: بِسْ = هي التَّربية، بَسْلَدى = ربّى، بَسْلَنْدى = تربّى، يقال: بسى يخشى در أي: تربية جيدة و(يمندر) أي: رديئة.

٣- عدم ضبط بعض الكلمات التُّركية

ورد في تعريفه كلمة (اشلق) = القمح يعني (بغداى). و ورد في تعريفه كلمة (بُغْدَى) = القمح وبالقبجاقي بيدى ويوصف به بمعنى أسمر.

وهنا لا تدري مكافئ كلمة (القمح) العربية أهي بغدى أم بغداى؟ وأحسب أن الأخيرة موضوعة، وأن تعريف أبي حيان لكلمة اشلق ينتهي عند قوله: القمح.

٤- عدم اكتمال التَّعريف

ومن أمثلة عدم اكتمال التَّعريف وغموضه في بعض الأحيان قوله: برجلق = نوع من النبات، وقوله: بَغْر = المس، وقوله: بِقِن: الحاضرة، وقوله: بلدرن = نوع من النَّبات.

الخُلاصة

إن المعجم في كتاب الإدراك من أقدم المعاجم العربية ثُنائية اللُّغة، ويمثل من وجهة نظرنا مصدرًا مهمًّا من المصادر الَّتي تؤكد على ريادة العمل المعجمي العربي، ويحتوي رغم حجمه الضَّئيل على عديد من المظاهر الَّتي يجب أخذها بعين الاعتبار حال وضع معجم ثُنائي، من أهمها:

* معرفة اللُّغة الثّانية معرفة وافية تمكننا من صياغة معجم ثُنائي محكم ودقيق.

* معرفة عَلاقة هذه اللُّغة بغيرها من اللُّغات، وأثر هذا في المعجم الخاص بها.

* أن يقترن المعجم ثُنائي اللُّغة بموجز وافٍ عن أصوات اللُّغة وصرفها وقواعدها.

* أن نفيد من المصادر المتعددة الَّتي يمكنها أن تعطينا صورة واضحة عن كلمات هذه اللُّغة واستخداماتها وعلاقاتها.

* أن نعتمد الطَّريقة التَّواصلية آلية مهمة قادرة على بيان معاني الكلمات ودلالاتها المختلفة.

* أن يعكس المعجم صورة عن المجتمع اللُّغوي صاحب هذه اللُّغة.

المصادر والمراجع

أبو حيان الأندلسي:

ارتشاف الضَّرب من لسان العرب، تح مصطفى أحمد النَّحاس، مطبعة المدني، ١٩٨٧.

الإدراك للسان الأتراك، نشره مصطفى بن حافظ حسين خسرو. - إستانبول، ١٣٠٩ هـ.

فريد لي قواتغيين ٢٠٠٧:

ديوان لغات التُّرك؛ أول معجم للتُّركية العربية قبل ألف سنة، مجلة مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، العدد ١١٠، ص ١٨٣ - ١٨٨.

Ermers, R. 1999:

Arabic Grammars of Turkic: The Arabic Linguistic Model Applied to Foreign Languages and Translation of Abu Hayyan al Andalusi's Kitab al-Idrak li-Lisan al-Atrak. **Leiden: E. J. Brill.**

Ermers, R. 2000:

"The Description of Turkic with the Arabic Linguistic Model". **In: An International Handbook on the Evolution of the Study of Language from the Beginnings to the Present/ Manuel international sur L'évolution d'étude du langage des origines à nos jours/ Ein internationales Handbuch zur Entwicklung der Sprachforschung von den Anfängen bis zur Gegenwart, edited by Sylvain Auroux, E. F. K. Koerner, Hans-Josef Niederehe & Kees Versteegh, Berlin/ New York, Walter de Gruyter, p. 325 - 329.**

Frawley, W. 1992/1993:

Introduction. Dictionaries **(14): 1 - 3.**

Lars Johanson 2010:

Turkic Language Contacts. **In: Raymond Hickey (ed.): The Handbook of Language Contact. Wiley-Blackwell, pp. 652 - 672.**

Pawley, A. 1985:

Lexicalization. **In: Georgetown University Roundtable on**

Language and Linguistics, (D. Tannen, ed.). Georgetown University Press, pp. 98 - 120.

Versteegh , C. H. M. 2006:

***Arabic Linguistic Tradition.* In: Brown, K. (ed.) Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol. (1): 434 - 40. Amsterdam: Elsevier.**

الفصل الثاني

«أساس الاقتباس» لاختيار الدّين الحسيني والأُسس التَّداولية لمعجم الاستشهادات

أقف في هذا البحث عند واحد من الكتب المهمة في تاريخ المعجمية العربية، وإن كان غير ذي صيت كبير في هذا المجال، هذا الكتاب هو «أساس الاقتباس» للقاضي اختيار الدّين بن السَّيد غياث الدّين الحسيني الَّذي كان قاضيًا في زمن السُّلطان حسين على إقليم هراة [غربي أفغانستان اليوم]، وقد ألف معجمه هذا سنة ٨٩٧ هـ. قال **الزِّركلي**: «الحسين بن غياث الدّين الهروي، اختيار الدّين الحسيني: أديب، من أهل هراة، ولي قضاءها وتُوفِّي بها، له كتب منها: المقامات وأساس الاقتباس ومجالس الملوك[1]»، ولم يذكر **الزِّركلي** سنة ميلاده إنما ذكر سنة وفاته وهي ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م.

ولعلَّ السَّبب في عدم شهرة هذا الكتاب بوصفه معجمًا يرجع إلى ما لحق بعنوانه من زيادة بيان لمضمونه، فتجد أن هناك مَن يسميه «أساس الاقتباس»

(١) خير الدّين الزِّركلي: الأعلام، لبنان: دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢، ج٢/ ص ٢٥١.

على أصل تسميته[٢]، وتجد مَن يزيد في عنوانه فيطلق عليه «أساس الاقتباس في المعاني والبيان» أو «أساس الاقتباس في الإنشاء والبيان»، ويمكن أن تكون هذه الزِّيادة بسبب وجود مصنَّف آخر يحمل الاسم عينه «أساس الاقتباس»، ولكنه مؤلَّف في المنطق بالفارسية **لنصير الدّين الطّوسي** ترجمه إلى العربية **منلا خسرو التُّركي**، وهذا ما تراه لدى الشَّيخ **آقا بزرك الطِّهراني** في كتابه «الذَّريعة إلى تصانيف الشّيعة[٣]» فكانت الزِّيادة في عنوان الأول منهما رفعًا للُّبس وتفريقًا بينهما.

والنّاظر في «أساس الاقتباس» يرى أنه يضم عديدًا من الشَّواهد القرآنية والحديثية والحِكَم والأمثال والنَّوادر والأشعار، وأن ابن غياث يُقسِّم هذه الشَّواهد حسب الموضوعات الَّتي تتصل بها،فإذا اتفقنا مع تعريف الدُّكتور **علي القاسمي** لمعجم الاستشهادات على أنه ذلك المعجم الذي يضمُّ الشَّواهد النَّثرية والشِّعرية مُرتبة ترتيبًا معينًا مع بعض المعلومات عن هذه الشَّواهد[٤]، فإن هذا التَّعريف ينطبق - بصورة تكاد تكون تامة - على كتاب «أساس الاقتباس» الذي بين أيدينا بصورة تجعلنا نصنِّف هذا التَّأليف على أنه معجم استشهادات عام غير مخصوص بموضوع أو مصدر معين، هذا بالإضافة إلى تلبية معجم «أساس الاقتباس» لمجموعة من شروط الصِّناعة المعجمية من حيث المداخل والمصادر والتَّرتيب، غير أن ثمة تفاصيل أخرى تتعلَّقُ بمواد المعجم وطرق ترتيبها تختلف في معجمنا هذا عن غيره من

(٢) انظر تحقيق ناصر محمدي محمد جاد، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٩.
(٣) انظر آقا بزرك الطِّهراني: الذَّريعة إلى تصانيف الشّيعة، بيروت: دار الأضواء، دت، الجزء الثّاني، ص٥.
(٤) انظر د علي القاسمي: معجم الاستشهادات، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ص١٤.

معاجم الاستشهادات تجعله يشغل موقعًا متميزًا بينها، وهذا ما سوف أتبينه في المحاور التّالية.

مستخدم المعجم وأهدافه

يتفق معجم ابن غياث من حيث الهدف وطبيعة المستخدمين مع عديد من المعاجم العربية الَّتي اتخذت من شريحة الكتاب وأصحاب الإنشاء هدفًا ومقصدًا لها، كي يضع تحت أيديهم عديدًا من الشَّواهد الَّتي ربما يحتاجونها في تفصيل موضوعاتهم أو يستشهدون بها على قضاياها، كما لا يبتعد عنها من حيث سبب التَّأليف من حيث إيعاز الأمراء وحثهم أو إهداء المؤلِّف كتابه إليهم، وهذا أمر كان شائعًا في كثير من الأعمال العربية المهمة، ولعل تعيين شريحة المستخدمين وتحديدهم يعد لدى كثير من المهتمين بالصِّناعة المعجمية علامة مهمة من علامات جودة التَّأليف المعجمي. وإذا عدنا إلى معجم «أساس الاقتباس» نجد ابن غياث يبين سبب وضع هذا المعجم وفائدته وشريحة مستخدميه؛ إذ يقول :« أشار [السُّلطان] إليَّ بإنشاء كتاب لأصحاب الإنشاء، بل لجمهور الكتّاب والخطباء(٥)»، ويقول في موضع آخر: «فإنه الذي يحوج الأديب البارع إلى إدماجه في أثناء المنشآت، والخطيب المنشئ إلى إدراجه في طي المخاطبات(٦).»

مصادر المعجم

تتمثل مصادر هذا المعجم في القرآن الكريم، والحديث الشَّريف، والحِكَم، والأمثال، والنَّوادر، والشِّعر، يقول ابن غياث: «في كل باب منه آيات بينات من أم الكتاب، ومنه أحاديث مناسبة لحال التَّكلم والخطاب،

(٥) ابن غَيّاث: أساس الاقتباس، إستانبول: مطبعة مهران ١٢٩٨ هـ، ص٤.
(٦) المرجع نفسه، ص٦.

ومن الأمثال والأشعار ما هو منخرط في سلك الحِكَم والآداب[٧]»، ويقول تحت عنوان (رقعة في تعريف ما يؤلّف منه الكتاب، وتوصيف ما تركّب من الأبواب): «اعلم أن كل مقام من هذه المقامات مركب من أربع مقالات، أحدها القرآن، والثّانية الأحاديث، والثّالثة الحِكَم والأمثال والنّوادر، والرّابعة الأشعار[٨].»

ومن الأمور الجيدة لدى ابن غياث أنه فصَّل القول في طبيعة هذه النُّصوص مشيرًا إلى بعض مميزاتها الَّتي تؤهِّلها لأن تكون مصدرًا للاقتباس، فقال عن **القرآن**: « فأما القرآن فوحي أوحاه اللَّه – تعالى وتقدَّس – إلى الرَّسول – صلّى اللَّه عليه وسلم – مع روح القدس بلسان عربي مبين، وهو كلام اللَّه وقوله وتنزيله مفصلًا فيه مصالح للعباد في المعاش والمعاد[٩].»

وعن **الحديث** قال: « والحديث في الأصل ضد القديم، واستعمل في قليل الخبر وكثيره، ويشمل مقول النَّبي صلى الله عليه وسلم، وقول الرّاوي عنه عليه الصَّلاة والسَّلام، وقيل الأول فقط، ولا يصح؛ لأن السُّنة إما قول أو فعل أو تقرير، والسَّلف مجمعون على إطلاق الحديث على ذلك كله[١٠].»

وعن **الحكمة** قال: «والحكمة أن يكون صنع كامنًا في مصنوع، فيستنبط فيودع لفظة تشتمل عليه[١١].»

وعن **الأمثال** قال:« والمثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثّاني بالأول، وترضاه الخاصة والعامة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه

(٧) المرجع نفسه، ص٥
(٨) المرجع نفسه، ص ٧.
(٩) ابن غيّاث: أساس الاقتباس، إستانبول: مطبعة مهران ١٢٩٨ هـ، ص ٧.
(١٠) المرجع نفسه، ص ٧، ٨.
(١١) المرجع نفسه، ص ٨.

فيما بينهم، وفاهوا به في السَّراء والضَّراء، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن النّاس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النِّفاسة، قال إبراهيم **النَّظام**: يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللَّفظ، وإصابة المعنى، وحسن التَّشبيه، وجودة الكناية، وهو نهاية البلاغة[١٢].»

وعن **النّادرة** يقول: «حكمة صحيحة تؤدي عما يؤدي عنه المثل، إلا أنها لم تشع في الجمهور، ولم يختزنها إلا الخواصّ، وليس بينها وبين المثل إلا الذُّيوع والاختزان[١٣].»

وعن **الشِّعر** قال: « والشِّعر سبيله سبيل الكلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح على ما رواه العلماء حسن؛ لأنهم تصفحوه بعقولهم، ونظروا فيه بعيون آرائهم على كثرته واختاروا منه الأبلغ والأفصح، والأنفع والأصح[١٤].»

ولعل ابن غياث يسير في ترتيبه هذه المصادر وفق تراتُبية بلاغية فيجعل القرآن أعلاها، ومن بعده الحديث، والحكمة، والمثل، والنّادرة، ثم الشِّعر، وهكذا يختلف هذا المعجم على سبيل المثال عن كتاب «الاقتباس من القرآن الكريم» الَّذي خصَّه الثَّعالبي بمصدر واحد يستقي منه مواده واقتباساته وهو القرآن الكريم.

ولعل تنوعُّ خطابات ونصوص الاستشهاد في البيئة العربية يعكس أمرًا مهمًّا يتعلق بمدى كفاءة هذه النُّصوص و وفائها بمتطلبات الموقف التَّواصلي، وهنا يشير **دو بوجراند** R. de Beaugrande إلى مصطلحين هما: كفاءة النَّص،

---

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) ابن غيّاث: أساس الاقتباس، إستانبول: مطبعة مهران ١٢٩٨ هـ ص٨.

(١٤) المرجع السابق.

وتأثيره، و«تأتي كفاءة النَّص من انتفاعه في الاتصال بأفضل نتائج الاقتصاد في الجهد حتى يصل إلى سهولة متزايدة، وأما تأثير النَّص فيتوقف على قوة وقعه عند مستقبليه[١٥]»، وهنا لا يمكننا – بحال من الأحوال – تجاهل إمكانية أن يكون ما يتم التَّعبير عنه بواسطة نصٍّ معين قد يُتاح في نصوص أخرى غير أن طابع كل نص ومدى انتشاره مقرونًا في هذا بسلطة خاصة لهذا النَّوع من النُّصوص ومكانة عالية داخل المجتمع، قد يتيح له نِسبة تكرار عالية إذا قورنت بنسبة نصوص أخرى لا تتمتع بمثل هذه الميزات.

ومأتى هذه الميزة نجده عند كثير من البلاغيين العرب فنرى الجاحظ على سبيل المثال يشير إلى أنه «متى كان اللَّفظ كريمًا في نفسه، متخيرًا في جنسه، وكان سليمًا من الفضول، بريئًا من التَّعقيد، حُبِّب إلى النُّفوس، واتَّصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهَشَّت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخَفَّ على ألسنة الرُّواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعَظُم في النّاس خطره[١٦].»

فإذا كانت نصوص القرآن الكريم والأخبار النَّبوية وأشعار الفحول هي سجلّات ذات مدى بلاغي خاص وصبغة أسلوبية تجعلها تصنف أعلى السُّلم البلاغي، فإن الاقتباس من هذه السِّجلات أحد أهم طرائق التَّدرج على هذا السُّلَّم.

ويعد بيان النُّصوص والمصادر الَّتي استقى منها ابن غياث مواد معجمه والتَّعريف بها أمرًا مهمًّا في الصِّناعة المعجمية.

ترتيب المعجم

---

(١٥) روبرت دو بوجراند: النَّص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨)، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى ص ١٠٦.

(١٦) الجاحظ : البيان والتَّبيين، بيروت: دار الكتب العلمية، ج ٢ ص ٣ – ٤.

يقول ابن غياث: «وقد جعلت هذا الكتاب مناسبًا للكُتّاب مشتملًا على عنوان، وافتتاح، وتسعة أسطر، واختتام، وفصل بالخير، أوائلها مترجمة بما فيها تيسيرًا وتسهيلا(١٧).»

ويتكون الافتتاح من خمس كلمات(١٨):

الكلمة الأولى: فيما يتعلق بثناء الله وتحميده وصفاته وتمجيده.

الكلمة الثّانية: فيما يناسب كتاب اللَّه الكريم وكلامه القديم.

الكلمة الثّالثة: فيما يتعلق بمدايح النَّبي وصفات كماله صلوات الله عليه.

الكلمة الرّابعة: في ذكر الخلفاء وآل العبادة وسائر الأصحاب والأولياء.

الكلمة الخامسة: في وصف العلم والعلماء وذكر فضائل هؤلاء العظماء.

ولكل كلمة من هذه الكلمات شواهدها الَّتي رتَّبها صاحب المعجم كما ذكر في مقدمته على أربعة مقالات هي: القرآن، والحديث، والحكم والأمثال والنَّوادر، والأشعار، وبذلك يكون التَّرتيب يسير وفق تراتبية انتقائية يعتمدها المؤلِّف في ترتيب معجمه، وهذه التَّراتُبية مبرَّرة بلاغيًّا وَفْق ما شاع بين أصحاب البلاغة في عصره من الاعتداد بهذه النُّصوص والشَّواهد على التَّرتيب نفسه.

وبعد الافتتاح بهذه الكلمات تأتي السُّطور، ولها من الشَّواهد ما للكلمات السّابقة من ترتيب شواهدها وأمثلتها، وهي تسعة(١٩):

* السَّطر الأول: في ذكر السَّلاطين والملوك العِظام، وما هو أكثر مناسبة بأحوال هؤلاء الكِرام.

---

(١٧) ابن غياث: أساس الاقتباس، ص٦

(١٨) المرجع نفسه، ص ٨، ٩.

(١٩) انظر ابن غياث: أساس الاقتباس، ص ٩: ١٤.

* السَّطر الثّاني: في القضايا السَّماوية، والحكم السُّبحانية.
* السَّطر الثّالث: في الأفعال المرضية والأحوال الزَّكية.
* السَّطر الرّابع: في الصِّفات الذَّميمة والسِّمات الذَّميمة.
* السَّطر الخامس: في ذِكر قرابة الولاد، وما يليق بحال الأخوة والأصحاب.
* السَّطر السّادس: فيما يتعلق بالفصاحة والفِراسة والتَّدبير والكِياسة.
* السَّطر السّابع: في ذِكر الأرض وبعض ما فيها من المضار.
* السَّطر الثّامن: فيما يتعلق بأحوال الزَّمان.
* السَّطر التّاسع: في المتفرقات.

ولكل سطر من هذه السُّطور مجموعة من الحروف ذات الصِّلة، فعلى سبيل المثال تنقسم الحروف الَّتي تتعلَّقُ بالسَّطر الأول وهو «في ذِكر السَّلاطين والملوك العظام، وما هو أكثر مناسبة بأحوال هؤلاء» إلى خمسة عشر حرفًا على النَّحو التّالي[٢٠]:

* الحرف الأول: فيما هو للخلافة موافق ولألقابها مناسب ومطابق.
* الحرف الثّاني: فيما يُقال في نُواب السَّلاطين وأرباب الدُّول وأهل المنصب وأصحاب الأعمال.
* الحرف الثّالث: في العدل والرِّفق بالرعايا، والشَّفقة على كافة البرايا.
* الحرف الرّابع: في الظُّلم وشأمته والعُدوان و وخامته.
* الحرف الخامس: في الجهاد وكرامة الشُّسهداء، والحَثِّ على القتال، وما يتعلق بهذه الأحوال.
* الحرف السّادس: في النَّهي عن قتل أهل الإسلام، وسفك الدَّم بالحرام.

(٢٠) انظر ابن غياث: أساس الاقتباس، ص ٩، ١٠.

* الحرف السّابع: في الغدر والمكر والحيلة وما هو من هذه القبيلة.

* الحرف الثّامن: فيما يناسب الشُّجعان والأسلحة والقِلاع.

* الحرف التّاسع: في ذِكر الهيبة والصَّلابة والهلاك والخراب والغرق والاستيصال، وسائر ما يُناسب بثوابر القتال.

* الحرف العاشر: في ذكر الفرار وعدم القرار.

* الحرف الحادي عشر: فيما يتعلق بالمكافآت والمجازات والانتقام، وما يليق بهذا المقام.

* الحرف الثّاني عشر: في العداوة والبغضاء وتحقير العدو، والاعتماد على الأعداء.

* الحرف الثّالث عشر: في الكتابة والرِّسالة، وما يليق بهذه المقالة.

* الحرف الرّابع عشر: في الصُّلح بين الفريقين، وإصلاح ذات البين.

* الحرف الخامس عشر: في الفتح والنُّصرة، وما يتعلق بالقلة والكثرة.

ولكل حرف من هذه الحروف شواهده المرتبة على المقالات الأربع؛ أي: القرآن الكريم والحديث، والحكم والأمثال والنَّوادر، والأشعار. فمن الشَّواهد المتعلقة بالحرف الأول من الأحرف السّابقة ما يلي:

السَّطر الأول: في ذِكر السَّلاطين والملوك العِظام، وما هو أكثر مناسبة لأحوال هؤلاء الكرام، مشتمل على خمسة عشر حرفًا؛

الحرف الأول: فيما هو للخلافة موافق ولألقابها مناسب ومطابق[٢١]؛

(القرآن)[٢٢] : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ﴾. (الملك ١:)

(٢١) ابن غياث: أساس الاقتباس، ص ٢٢.

(٢٢) المرجع نفسه.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾. (آل عمران: ٦٢)

﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾. (آل عمران: ٢٧٤)

﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ ﴾. (الشورى:

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾. (الأنعام: ١٦٥)

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾. (يوسف: ٨٠)

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾. (آل عمران: ٧٤)

﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾. (البقرة: ٢٤٧)

﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾.(البقرة: ٢٥١)

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾. (ص: ٢٦)

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۚ ﴾. (القصص: ٥٤)

....

(الأحاديث) [٢٣]: السُّلطان ظِل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم.

إن الله ليبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من ينصر هذا الدّين.

لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى أن تقوم السّاعة.

....

(الحكم والأمثال) [٢٤]: الملك والدّين توأمان.

---

(٢٣) ابن غياث: أساس الاقتباس، ص ٢٣.

(٢٤) المرجع السابق.

ظل السُّلطان كظل اللَّه.

طاعة الولاة بقاء العز.

الإمارة حلوة الرَّضاع مرة الفطام.

لا يجتمع سيفان في غمد.

....

(الأشعار) [٢٥]:

إن الملوك هم كواكبنا الَّتي * تخفى وتطلع أسعدا ونُحوسا

آخر

هو الشَّمس قدرًا والملوك كواكب * هو البحر جودًا والكرام جداولا

آخر

إن الملوك بأدنى الدّين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدّون

فاستغن بالدّين عن دين الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدّين

....

ويسري هذا التَّرتيب وتلك الطِّريقة في إيراد الشَّواهد على جميع السُّطور التِّسعة وحروفها الَّتي اشتمل عليها هذا المعجم.

خصوصية التَّرتيب الموضوعي

إذا اتفقنا على أن هذا المعجم يمثل معجم استشهادات، فإنه بصورته هذه وترتيبه ذاك يشغل موقعًا مميزًا بين هذا النَّوع من المعاجم من حيث طريقة ترتيب المواد، فالمعروف أن معاجم الاستشهادات ترتب فيها المواد ترتيبًا أبجديًّا أو ترتب حسب المؤلِّف، وفي هذه الحالة الأخيرة نوعان من التَّرتيب: التَّرتيب الأبجدي حسب أسماء المؤلِّفين، والتَّرتيب التّاريخي حسب تاريخ

(٢٥) المرجع نفسه، ص ٢٤.

ميلادهم أو وفاتهم، ويتفق كل ترتيب مع وظيفة المعجم والغرض منه[٢٦]، ولعل التَّرتيب الموضوعي هنا في معجم أساس الاقتباس بصفة عامة كان معمولًا به في المراحل الأولى من تطور صناعة معاجم الاستشهادات[٢٧].

ولكن هل الحال في هذا المعجم أشبه بحال معاجم المعاني الَّتي قد تتخذ من تشريح العالم إلى كياناته المختلفة الَّتي يتكون منها أساسًا لبنائها وحصر مداخلها وبيان موادها رغم صعوبة الاجتماع على تلك الكيانات؟ والإجابة هنا بالنَّفي، فعلى الرَّغم من أن أغلب معاجم المعاني قد تستند إلى نظرية دلالية مثل نظرية المجالات الدَّلالية، فإن الأمر هنا في حال التَّرتيب الموضوعي لمعجم أساس الاقتباس مختلف، فالموضوع حسب طبيعة المداخل (أي: السُّطور والحروف حسب تسميتها عند ابن غياث) الَّتي تتصل بها أقرب إلى سياق تواصلي منه إلى مجال دلالي عام، فهي أقوال تم اقتباسها من خطابات سابقة، أي: من سياقات تواصلية معينة، أو تم جمعها بناء على تلك السِّياقات وأشباهها، ومن هنا تأتي خصوصية هذا التَّرتيب وفرادته.

التَّرتيب الموضوعي المركَّب

ولكن ممّا يزيد من صعوبة مثل هذا التَّرتيب أن الموضوع في معجم «أساس الاقتباس» موضوع مركَّب، بمعنى أن الحرف الواحد له أكثر من موضوع، فإذا قرأنا على سبيل المثال (الحرف التّاسع: في ذكر الهيبة والصَّلابة

(٢٦) لمزيد من التفاصيل انظر د. علي القاسمي: مقدمة معجم الاستشهادات، ص ٤١.
(٢٧) انظر حول هذا:

E. Knowles 2009: -*Dictionaries of Quotations*. In: A. P. Cowie (ed.):The Oxford History of English Lexicography. Vol. 2: Specialized Dictionaries. Clarendon Press, Oxford, pp. 245-68, p. 247ff

والهلاك والخراب والغرق والاستيصال، وسائر ما يناسب بثواير القتال [٢٨])، نجد أن هذا الحرف ينطوي على عدة موضوعات كما هو مبيَّن في عنوان الحرف، ولكن بالإضافة إلى كون الموضوع مركبًا جاءت الشَّواهد غير موزَّعة على أطراف هذا الموضوع المختلفة مما يزيد من صعوبة هذا التَّرتيب.

ولكن الرَّبط بين هدف المعجم وشريحة مستخدميه يمكِّننا من النَّظر إلى تعقيد الموضوعات وعدم توزيع الشَّواهد عليها، فالمتصدي للكتابة والإنشاء - وهم الصِّنف المستهدف بهذا المعجم- قد لا يلجأ إلى الكتابة في موضوع ما بطريقة مباشرة، بل تهمهم أمور أخرى تتصل بهذا الموضوع بصورة أو بأخرى، ولا ينفي هذا أن التَّرتيب الموضوعي داخل المعجم، وكذلك تعقد الموضوعات وتركيبها، أمر يشكل صعوبة في البناء التَّنظيمي للعمل المعجمي.

المعجم والتَّداولية

لا شك في أن المتصدي لصناعة معجم ما ينبغي أن يمتلك نظرية أو رؤية محددة تجاه هذا المعجم: موضوعه ومواده وجمهوره المستهدف، وعليه فإن تخصيص معجم حول الاقتباس وشواهده وتعيين موضوعاته ومقاماته الَّتي قد يذكر فيها الشّاهد يشي لنا بخلفية تداولية تتضح في كثير من الأمور المتصلة بهذا المعجم الَّتي سأحاول بيانها. إن الهدف الذي يسعى وراءه صاحب المعجم - وهو تمكين أصحاب الإنشاء من الكتابة في موضوعات مختلفة، بل الاستشهاد على قضاياها بأدلة من نصوص وخطابات مختلفة - ليدل دلالة واضحة على فهم صاحب المعجم للبعد التَّداولي للاقتباس، والأمر نفسه نجده في تعيين مصادر الكتاب الَّتي تُستقى منها هذه الشَّواهد، وفي ذكر المقامات أو الموضوعات الَّتي تُقال فيها هذه الشَّواهد، بل في تشريح هذه

(٢٨) انظر ابن غياث: أساس الاقتباس، ص ٣٧.

المقامات إلى مقامات متصلة، أو تشريح السُّطور إلى حروفها المختلفة إذا استخدمنا ألفاظ صاحب المعجم.

ولعل الفرق بين معجم استشهادات يتَّبِع التَّرتيب الأبجدي وآخر يتبع التَّرتيب الموضوعي يتساوى من وجهة نظرنا بصورة متماثلة مع الفرق بين معجم لمفردات اللُّغة ومعانيها داخل هذه اللُّغة ومعجم آخر سياقي لتلك المفردات عينها، بمعنى أن معجم التَّرتيب الموضوعي يبين لنا الموضوع الذي يمكن أن يساق بشأنه اقتباس ما، في حين يُترك المعجم ذو التَّرتيب الأبجدي الأمر لحرية المستخدم وَفْقَ ما يراه مناسبًا لموضوعه الذي يريد التَّحدث فيه أو الكتابة عنه.

وهنا يمكن لنا أن نقول: إن وضع أيدينا على شاهد ما داخل موضوع محدد يجعلنا نقرؤه في ظل عَلاقة واضحة محددة إذا وثقنا في مناسبة هذا الشّاهد لموضوعه، وإلا فإننا نتأوَّل هذه العَلاقة، بمعنى أننا نحاول أن نُعمل الفكر فيما يصل بينهما من أواصر اللِّياقة والمناسبة.

المعجم والخطاب

هل يمكن لنا قراءة معجم أساس الاقتباس بوصفه معجمًا له بنية هيكلية محددة نستطيع من خلالها تصنيفه على أنه معجم استشهادات؟ أم يمكن لنا كذلك أن نقرأه على أنه خطاب؟ الحقيقة أن هذا التَّساؤل - وإن كان خاصًّا في هذه الورقة بمعجم أساس الاقتباس - قد شكَّل مناقشة جادة أجراها **روبرت دو بوجراند**، ولعل أهم ما تم طرحه في هذه المناقشة يخص تفاصيل العَلاقة بين الدَّلالة واللِّسانيات النَّصية ودراسات تحليل الخطاب وبين المعجمية، وأثر النَّظر إلى المعجم بوصفه خطابًا في تطوير بعد مُهِمٍّ وجديد من أبعاد المعجمية، واقترح **دو بوجراند** كذلك أن يتم وصف مراحل تطور المعجمية

من خلال مراحل أربعة تخصنا منها - في هذه الورقة - المرحلة الأخيرة حيث أكد على ضرورة أن يعمل المتصدي لصناعة معجم ما من معاجم هذه المرحلة على دعم وتفعيل إستراتيجيات خطابية لمجموعة المستخدمين بوصفها أساسًا لتقديم مجموعة من التَّفاصيل المتعلقة بمعلومات استعمال العبارات أو المفردات للمواد والمداخل الَّتي يتشكل منها معجم ما [٢٩].

والحقيقة أن **دو بوجراند** يتمثل مفهومًا محددًا للخطاب يتلخص في كونه تطبيقًا عمليًّا لنظرية اللُّغة الَّتي يمتلكها كل منا عن اللُّغة، وبالتّالي فليس ثَمَّة تناقض بين المعجم بوصفه قائمة من الكلمات المستعملة في ظروف التَّواصل الفعلي لها بنية تنظيمية تختلف باختلاف نوع المعجم ومستخدميه وبينه بوصفه خطابًا أو نوعًا مميزًا من الخطابات، فالتَّناقض هذا يتراجع إذا ما اعتبرنا الخطاب فعلًا تواصليًّا بين مجموعة من الشُّركاء[٣٠].

إن جوهر فكرة **دو بوجراند** هذه - كما أفهمها - يعتمد على تسييق contextualization مواد المعجم و وضعها في خطاب يضمن للمستخدم سهولة الوصول إلى مراده من هذا المعجم أو ذاك، كذلك يشدد على ضرورة مراعاة الحاجات التَّواصلية للمستخدمين، وهذا ما نجده بدرجات مختلفة في معجم «أساس الاقتباس».

المعجم والمدوَّنة النَّصية

إن جمع عديد من الشَّواهد المختلفة وتقسيمها على موضوعاتها

---

(٢٩) انظر لتفاصيل أكثر بهذا الشأن:

du Beaugrand, R. 1997: *Text Linguistics, Discourse Analysis, and the Discourse of Dictionaries*. In: Ad Hermans (ed.), Les dictionnaires specialisés et l'analyse de la valeur. Louvain-la-Neuve: Peeters, p. 72ff.

(٣٠) انظر : du Beaugrand, R. 1997: ibid., p. 57.

ومقاماتها يجعل المعجم يمثل ذخيرة نصية أو احتياطيًّا متسعًا من الأقوال الَّتي تمكِّن مستخدمه من توجيه التَّواصل وضمان الفهم والإفهام، ولعل الحاجة إلى الاقتباس والاستشهاد تأتي كما يذكر **ياكبسون** R. Jacobson – فيما نُقل عنه – من أنه «يستحيل الاقتصار في المحاورات على ما يعيشه المتكلم من أحداث؛ فننقل كلام غيرنا وننقل كلامًا لنا كان قد سبق»[٣١]، إن هذه العودة إلى شواهد المعجم ترتبط بخطة تعبر عن الضُّروب المختلفة الَّتي يتمثلها المتكلم من أجل إنجاز مقصد تداولي محدد يكون مشفوعًا بدليل يشكل جزءًا من الخلفية الثَّقافية المشتركة الَّتي يشترك فيها مع متلقّيه.

إن معجم «أساس الاقتباس» بهدفه ومادته ومصادره وطريقة ترتيبه هنا يقوم على المزاوجة بين السِّياقات والأقوال، يقول ابن غياث: « في كل باب منه آيات بينات من أم الكتاب، ومنه أحاديث مناسبة لحال التَّكلم والخطاب[٣٢]»، والحقيقة أن لدى **دو بوجراند** نصًّا مهمًّا يوضح لنا بعض العوامل الَّتي توجه عملية الانتفاع بمثل هذا الاحتياطي الواسع من الأقوال والنُّصوص، من بين هذه العوامل: التَّفريق بين الأوضاع الاجتماعية وأدوار المشاركين في التَّواصل الذي يؤدي إلى التَّمييز بين أنواع المواقف، هذا التَّمييز بين أنواع المواقف يولد الاعتداد بأنواع النُّصوص الَّتي تعدُّ مناسبة لتلك المواقف، وفي ظل المعلومات الواقعية عن المواقف والنُّصوص تنشأ توقعات المتكلم لما يكون مقبولًا منها أو مؤثرًا في موقف ما[٣٣] . وأحسب أن هذه الثُّلاثية الَّتي استقيناها من كلام **دو بوجراند** لا تمس المتكلم وحده، بل تشكِّل كذلك بعض

---

(٣١) انظر: الأزهر الزناد ١٩٩٣: نسيج النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الدّار البيضاء: المركز الثَّقافي العربي، ص٢٢ .

(٣٢) ابن غياث: أساس الاقتباس، ص٥ .

(٣٣) انظر دو بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، ١٩٩٨، ص ٢١٤ .

الأسس النَّظرية الَّتي قد ينطلق منها صانع معجم من معاجم الاستشهادات خاصة المعاجم الَّتي تلتزم التَّرتيب الموضوعي لشواهدها وموادها.

فالاقتباس عملية تقوم بالأساس على ما يمكن تسميته المسار الاستكشافي، فصاحب المعجم في محاولته التقاط نقاط الالتقاء بين وحدات هذه الثُّلاثية بطريقة أو بأخرى إنما يضطلع بمهمة تتعلق بفحص تلك الأسباب الَّتي تؤثر بعمق في عملية انتخاب نصٍّ محدد دون غيره.

هذه العوامل تطرح عملية الانتخاب وكأنها عملية معرفية واعية، ففي بعض الحالات ربما لا يكون المتكلم على وعي بكل نقاط الالتقاء الَّتي تجمع ثلاثية (المواقف – النُّصوص – الوقائع) الحال الَّتي يمكن أن يساق فيها نص ما على نحو حدسي من قِبَل المتكلم إزاء الواقعة الَّتي يعالجها، وربما تقبع الممارسة الاجتماعية الخاصة باستخدام بعض النُّصوص في وقائع محددة خلف هذا الموقف الَّذي قد يتخذه المتكلم.

وفي بعض الحالات يميل المتكلمون الذين يؤمنون بنصوص محددة إلى تَكرار هذه النُّصوص في مناسبات عديدة؛ ذلك أنه «حين يتوقف المتكلم مع ألفاظ معينة، أو لنقل يختارها أو يقع عليها، فإنه بلا شك يستشعر منها أمنًا؛ لأنها تحمل ما عنده من الطّاقة الذِّهنية والعاطفية[٣٤]»، وقد يغلب على هذه النُّصوص أن تكون نصوصًا دينية، وربما تحكم العادة بعض استخدامات هذه العبارات بمعنى أن تكون هي السَّبب وراء تمييز عناصر الثُّلاثية الَّتي ساقها **دو بوجراند.**

الطَّبيعة التَّداولية للاقتباس

(٣٤) د. مصطفى مندور: اللُّغة والحضارة، القاهرة: مكتبة الشباب، د.ت.، ص ٦٢.

اهتمَّ بعض الفلاسفة واللُّغويين في العصر الحديث بالاقتباس لمجموعة من الخصائص اللُّغوية المميّزة له على مستوى الدَّلالة، و وضعوا في بيان سلوك المفردات داخل علامتي الاقتباس عديدًا من النَّظريات، ولكن الأمر الأكبر أهمية هنا هو الجانب التَّداولي الكامن خلف الطَّبيعة الاقتباسية للعبارة، إذ يتضح مع هذا الجانب كيفيات التَّوظيف وشروطها، وهذا الأمر كما يهم المتكلم داخل سياق محدد من السِّياقات التَّواصلية له كذلك أثر بيِّن في صناعة معجم الاستشهادات والغرض منها، فتجد صاحب المعجم يقدم لأهمية الاستشهاد بالنِّسبة للمتكلِّمين أو المؤلِّفين، وذلك ما يكون له من عظيم الأثر في التَّأكيد على المعاني وتقريبها من الأفهام بصورة مؤكدة إذا تمت مراعاة مجموعة من الشُّروط الَّتي تضمن وصول المعنى إلى المخاطب بصورة سليمة، والمعجم دليل واضح على ما للشَّهادة القولية من أثر في نفوس المتلقّين.

والاقتباس فعل كلامي نبَّه إليه **أوستن**، فعبارة: «اقتبس كذا» هي بالنِّسبة له مجموعة من الكلمات الَّتي يطلق عليها أقوال تفسيرية أي: تستخدم في أفعال التَّفسير الَّتي تنطوي على تفسير وجهات نظرنا، وسوق حججنا، وتوضيح استعمالاتنا للألفاظ ومرجع إحالتها [٣٥].

فالاستشهاد عبارة مُقتبسَة تُساق في الموقف بغرض الإقناع، وربما قد يشير هذا الإقناع إلى فعل المحاججة، والتَّأكيد على صحة قضية ما من خلال الشَّهادة المأثورة، فالشّاهد يمثل لبعض الحُجج الجاهزة غير الصِّناعية الَّتي قد يعبر عنها في الخطابة العربية من طريق «تضمين الآيات القرآنية والأحاديث

---

(٣٥) انظر أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة «كيف ننجز الأشياء بالكلمات» ترجمة عبد القادر قنيني ١٩٩١، ص ٩٩، ١٨٣.

وأبيات الشِّعر والأمثال والحكم، وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة النّاس عليها وتواترها[٣٦].»

الشّاهد بين الملاءمة والاقتضاء

بيَّن الدُّكتور علي القاسمي أن مهمة توزيع الشّواهد على موضوعاتها و وجود شواهد تصلح لأن تقع تحت عدة موضوعات من المهام الَّتي تشكل صعوبة تحيط ببناء معجم يلتزم مثل هذا التَّرتيب الموضوعي[٣٧]، ولكننا إذا نظرنا إلى معجم «أساس الاقتباس» نجد أن صاحبه قد حاول أن تكون ثمة مناسبة بين الموضوع وشواهده واستعمل في بيان العَلاقة الَّتي تربط بينهما مجموعة من الألفاظ المهمة منها:

- «**يوافق**» ونجدها في الحرف الأول من السَّطر الأول.
- «**مناسب**» ونجدها في الحرف الأول والحرف الثّامن والحرف التّاسع.
- «**يتعلق**» ونجدها في الحرف الخامس والحرف الحادي عشر مقرونة بـ «يليق».
- «**يليق**» ونجدها في الحرف الحادي عشر مقرونة بـ «يتعلق».

إن هذه الألفاظ بمجملها وبمفهوماتها المختلفة تتعلق بأمر ملاءمة relevance الشَّواهد للموضوعات الَّتي تضمنتها، بمعنى أن صاحب المعجم يرى أن ثمة ارتباطًا يجب أن يقوم بين الموضوع وشواهده المختلفة، ولا نحسب أننا نبالغ إذا قلنا: إن مثل هذه الألفاظ (المناسبة واللِّياقة والتَّعلق) هي بالأساس مفاهيم تداولية تقترب من مفاهيمها لدى **جرايس** P. Grice

(٣٦) د. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، سلسلة الدِّراسات النَّقدية (٥)، الدّار البيضاء: دار الثَّقافة، ١٩٨٦، ص ٦٥.

(٣٧) انظر لمزيد من تفاصيل صعوبات التَّرتيب الموضوعي لمعجم الاستشهادات: د. علي القاسمي: مقدمة معجم الاستشهادات، ص ٥١.

و **ويلسون وسبربر** D. Wilson & D. Sperber، بل نحسبها كذلك تؤدي في نهاية المطاف - إذا ما تحققت - إلى فكرة «المقبولية» acceptance حتى وإن اختلفت درجات ارتباط هذه العبارات المقتبسة بالموضوع الذي يتشكل منها.

فوجود بعض الشواهد تحت موضوع معين لا يعني في جميع الأحوال أن الارتباط بينهما واضح؛ ومن ثَمَّ تجد صاحب المعجم يستعمل لهذه العَلاقة مفاهيم متعددة نحسبها تختلف باختلاف درجة الارتباط بين الموضوع وشواهده، ومن ثَمَّ يعتمد تبرير وجود شاهد ما على فهم مستخدم المعجم وقدرته على تأويل تلك العَلاقة ودرجتها من حيث التَّعلُّق أو اللِّياقة أو المناسبة وغيرها من الألفاظ الَّتي استعملها صاحب المعجم، ومن ثَمَّ يغدو المعجم خطابًا يحاور ثقافة المستخدم وقدرته على التَّأويل.

فبعض الشَّواهد تتصل اتصالًا مباشرًا بموضوعها، وبعضها الآخر يحتاج إلى إعمال الفكر فيه لتصور المناسبة والملاءمة، وبعضها الآخر يصلح لأن يتصل بأكثر من موضوع، وهنا تأتي قضية مهمة من قضايا الدَّرس التَّداولي وهي قضية الاقتضاء implicature، فإعمال النَّظر في ملاءمة الشَّواهد لموضوعاتها - خاصة تلك الشَّواهد الَّتي لا تتصل بالموضوعات الَّتي وُضِعَت في إطارها بصورة واضحة - لا يتعلق بمعنى المنطوق (الاقتباس) بالقدر الذي يجعله متصلًا بمعنى المتكلم الكامن وراء هذا المنطوق.

إن هذا الأمر يتعلق بما يمكن أن نطلق عليه إعادة بناء المسرح اللُّغوي، بمعنى أن صاحب المعجم في توزيعه لشاهد ما على مقام محدد دون غيره مراعيًا في هذا مناسبة الشّاهد وملاءمته لهذا المقام، إنما يشكل سياقًا تواصليًّا - يتصوره واضع المعجم - يكون فيه هذا الشّاهد دون غيره أو مع غيره ملائمًا بدرجة كافية لأن يصدر في مثل هذا المقام أو يتصل بهذا الموضوع.

موضوع الشّاهد والقوة الإنجازية

قلت: إن من الصُّعوبات الَّتي تلازم التَّرتيب الموضوعي لمعجم الاستشهادات ارتباط الشّاهد بأكثر من موضوع، والأمر هنا وإن كان متعلقًا بآداب الصِّناعة المعجمية ومنهجيتها الَّتي تتحاشى التَّكرار والإطالة، إلا أنه ذو بعد تداولي من الأهمية بمكان؛ إذ إن وجود شاهد ما يمكن أن يساق في أكثر من موضوع من الموضوعات داخل المعجم يطرح لنا قضية تداولية مهمة هي قضية القوى الإنجازية illocutionary force للشّاهد، فالشّاهد الَّذي يستخدم في أكثر من موضوع أكثر عرضة لتغير قوته الإنجازية من الشّاهد الَّذي يرتبط بموضوع واحد، والسَّبب في هذا أن وجود الشّاهد في إطار موضوع ما يؤثر بطريقة مباشرة على المحتوى الدَّلالي semantic content الخاص بهذا الموضوع ومن ثم تتأثر بهذا قوته الإنجازية[٣٨]، فكلما تغير المحتوى الدَّلالي لمنطوق ما كان هذا كفيلًا بتنوع قوته الإنجازية، وعلى هذا فوجود الشّاهد في أكثر من موضوع مُبرَّر من النّاحية الدَّلالية والتَّداولية؛ لأننا في كل موضوع سوف نقرأ الشّاهد بطريقة مختلفة أو قل: سيكون معنى المتكلم الكامن وراء الشّاهد في كل موضوع مختلفًا على المستوى الدَّلالي ومستوى القوى الإنجازية، وهذه الرُّؤية قريبة من ملاحظة أنه ما إن يوضع لفظ من ألفاظ اللُّغة العادية بين مُزدوِجين حتى يكشف عن تغير في منهج معرفة تتعلق بميدان جديد للتجربة[٣٩].

---

(٣٨) لمزيد من العَلاقة بين المحتوى الدَّلالي والقوة الإنجازية، انظر: دراسة متشل جرين:
Green, M. S. 2000: *Illocutionary Force and Semantics Content*. Linguistics and Philosophy 23: 435-73.

(٣٩) انظر باشلار ضمن كتاب (اللُّغة) إعداد وترجمة عبد السلام بنعبد العالي ومحمد سبيلا ١٩٩٤، ص ٤٦.

فعلى سبيل المثال ورد في معجم «أساس الاقتباس» الشّاهد القرآني ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾.(الزخرف: ٦٧) في الحرف المتعلق بالعداوة والبغضاء والاعتماد على الخصوم وتحقير الأعداء[٤٠]، و ورد الشّاهد عينه في الحرف المتعلق بذكر الأحباب ومراعاتهم و وصف الأصحاب وحالاتهم[٤١]، وعلى الرّغم من التّضاد الذي قد يبدو بين الحرفين، إلا أن وجود الشّاهد فيهما مبرَّر باعتماد كل موضع على موضوع الجملة الذي يتم تحديده – حسب ڤان دايك van Dijk – بناء على توزيع المعلومات داخل الكلمات المكونة لها[٤٢]، فالشّاهد ينطوي على موضوعين: الأول هو (الأخلاء)، والآخر هو (عدو)، ومن ثَمَّ يمكن للشّاهد أن يتوزع على هذين الموضوعين، والفرق بين وجوده في موضوع ما و وجوده في موضوع مختلف له أثر على القوة الإنجازية لهذا المنطوق؛ إذ تختلف باختلاف كل من الموضوعين.

ولكن المثال السّابق لا تتبين معه هذه العَلاقة؛ لذا سنضرب المثال التّالي؛ إذ ورد في الحرف الثّاني عشر من المعجم – المتعلق بالعداوة والبغضاء والاعتماد على الخصوم وتحقير الأعداء – الشّاهد القرآني المتمثل في قوله تعالى ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[٤٣]، والحقيقة أن هذا الشّاهد لا يتعلق بموضوعه بصورة مباشرة، وقد يرى البعض أن مكانه هنا غير صحيح ظنًّا منه أن دلالة

(٤٠) ابن غياث: أساس الاقتباس ص ٤١، والآية من سورة الزخرف رقم ٦٧.
(٤١) المرجع نفسه، ص ١١٨.
(٤٢) انظر:
Van Dijk, T. A. 1977: *Sentence Topic and Discourse Topic*. Papers in Slavic Philology (1): 49 - 61.
(٤٣) السّابق ص ٤١، والآية من سورة الكهف رقم ٧٨.

الشّاهد في سياقه الأصيل ما زالت قائمة، وأن العَلاقة الَّتي ربطت سيدنا موسى - عليه السَّلام - بالخضر الرَّجل الصَّالح لم تكن لتتحول إلى عداوة أو بغضاء، وهذا ظن صحيح باعتبار السِّياق الأصيل للشّاهد، ولكن هذا الشّاهد في موضوع وموضع مختلف له أكثر من دلالة لعدة أسباب منها:

أولًا لأنه يؤكد أن قراءة الشّاهد في عَلاقته بموضوع ما قراءة تعتمد بصورة أساسية على معنى المتكلم ولا تعتمد على معنى المنطوق.

وثانيًا يُبين هذا الشّاهد - في هذا الموضع - أن وجوده ضمن موضوع محدد يجعل للموضوع أثرًا واضحًا في المحتوى الدَّلالي للمنطوق؛ ومن ثم تتغير قوته الإنجازية، فالموضوع في معجم أساس الاقتباس أشبه ما يكون بسياق يؤثر في المنطوقات الَّتي تتشكل في إطاره.

وأخيرًا: يبين هذا المثال قدرة الشّاهد على التَّخلص من سياقه الأصيل وقدرته أيضًا على أن يتكرر بمعنى ودلالة تختلف باختلاف الموضوع.

ولعل المثال الَّذي ساقه كل من **براون ويول** G. Brown & G. Yule يدعم بشكل جيد فكرة اختلاف القيمة الَّتي يكتسبها منطوق ما (الشّاهد) حينما يصدر في سياق مختلف، فمنطوق مثل «إنه جائع الآن» عندما أصدرته جوزفين للحديث عن نابليون سنة ١٨٠٦ يعبر عن قضية مختلفة عن المنطوق ذاته عندما صدر من كروبسكايا للحديث عن لينن سنة ١٩٢٠[(٤٤)].

ومن ثَمَّ فنحن إزاء ترتيب موضوعي لمواد المعجم راعى فيه **ابن غياث** أن تكون الشّواهد مما يتصل أو يليق بهذه الموضوعات، وفي ظل الهدف المراد

---

(٤٤) انظر براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي ومنير التِّريكي ١٩٩٧، الرِّياض: جامعة الملك سعود، ص ١٣٤.

من وراء هذا المعجم وهو تمكين أهل الإنشاء من تزيين كتاباتهم والاحتجاج لقضاياها بنصوص وشواهد لها حجيتها نجد أنفسنا أمام معجم استشهادات ذي خصوصية هيكلية مميزة، وإن كانت قد تتسبب في كثير من التَّكرار والخلط بين الشَّواهد والموضوعات المركبة. ولكن هذا التَّوزيع الموضوعي لمواد المعجم ومداخله يتفق وبعض الرؤى التَّداولية الَّتي تجعل للاقتباس مكانًا مميزًا داخل أي خطاب؛ ومن ثم يمكن تبرير تكرار الشَّواهد على موضوعات مختلفة، بل متضادة في بعض الأحيان؛ لأن الأمر - في النِّهاية - يتعلق بمراعاة الملاءمة أو تأويلها.

وإذا كان المعجم يتيح لنا رصيدًا كبيرًا من الاستشهادات فهو ليس عملًا صامتًا، إنه خطاب موجَّه يقرن الأقوال بالسِّياقات والموضوعات، وإن كان ينقصه عديد من الأمور المتعلقة بتفاصيل استعمال تلك الشَّواهد والتزام طريقة أبسط في توزيع الشَّواهد على موضوعاتها.

الفصل الثالث

المقدمة [1] في «معجم اللُّغة العربية المعاصرة» للدُّكتور أحمد مختار عمر

مدخل

إن المقدمة بصورة عامة أمُّ كل عمل، وخطاب كل كاتب إلى متلقّيه، وخارطة عمله ومنهجه، فهي خطاب واصف يطرح فيها الكاتب نظرته، بل نظريته الَّتي يصدر عنها عمله، وهي خارطة منظمة متماسكة نستطيع من خلالها تقديم المعايير والأهداف الخاصة بالعمل ومنهجيته. كما ترسم المقدمة صورة لقيمة هذا العمل من حيث مكانته في السِّياق المعرفي والثَّقافي العام الَّذي يتضمنه، ولكنها تختلف من حيث سماتها اللِّسانية والخطابية

(١) جاءت هذه الورقة استجابة لدعوة الجمعية المغربية للدِّراسات المعجمية للقاء العلمي الدَّولي التّاسع للقاموسية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة ابن زهر - أغادير ٢٢: ٢٤ مايو ٢٠١٤ م، وكان عنوان اللقاء «المعاجم اللُّغوية من خلال مقدماتها»، ورغم أنني لم أحضر هذا اللقاء إلا أن الشُّكر والامتنان موصولان للأستاذين الجليلين، الأستاذ الدُّكتور علي القاسمي، والأستاذ الدُّكتور عبد الغني أبو العزم، كذلك أقدم شكري وتقديري للأستاذ الدُّكتور جورج متري عبد المسيح الذي أفدت من ملحوظاته المهمة بشأن هذه الورقة.

تبعًا للموضوع الذي يعالجه العمل؛ فهي تتنوع في العمل المعجمي بتنوع مواده وأهدافه ومستخدمه ومنهجه ومكانته بين غيره من الأعمال المعجمية المشابهة له أو المختلفة عنه.

والمفترض أن مقدمة المعاجم تعرض لتصوُّر صاحب المعجم و وعيه بالسِّياق الَّذي يحيط بنشأة المعجم والحاجة إليه وعَلاقته بغيره من المعاجم اختصارًا وتهذيبًا وإضافة وتجسيرًا. ومن المفترض أيضًا أن تبيِّن جمهور القراء المستهدَفين بهذا المعجم، وترشدهم إلى كيفية الحصول على المعلومات الَّتي يبحثون عنها، وتوضِّح لهم المنهج الذي سار عليه بناؤه، وغيرها من أغراض الصَّنعة، بمعنى أن المقدمة بمجملها تقيم وسيطًا تواصليًّا بين الصّانع والمستخدِم يفصح عن أهداف الصّانع وحاجات المُستخدِم وطبيعة العمل.

وفي هذه الورقة أُقدِّمُ قراءة لمقدمة معجم يعد - من وجهة نظري - من أهم المعاجم العربية في العصر الحديث، وهو «معجم اللُّغة العربية المعاصرة» للمرحوم الأستاذ الدُّكتور أحمد مختار عمر (بمساعدة فريق عمل) الذي صدر بالقاهرة عن عالم الكتب، الطَّبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م.

وأزعُم أن أهمية هذا المعجم تتمثل في اختياره - رحمه اللَّه - لمستوى مهم من مستويات اللُّغة العربية وضَرْب من ضروبها الَّتي نستعملها في عصرنا هو اللُّغة العربية المعاصرة، أضف إلى هذه الأهمية مَدْعاة أخرى لهذا الزَّعم تتمثل في صدور المعجم في صورتين؛ صورة ورقية وأخرى إلكترونية بحيث يسهل وصوله إلى شريحة كبيرة من المُستخدِمين على هيئة برنامجية سهلة الاستعمال تتماشى مع تطورات العصر الحديث، وتزيل عن كاهل المُستخدِم معاناة البحث وتوفر له الاستجابة السَّريعة لموضوع بحثه.

١ - المقدمة وبنية المعجم

هناك اتفاق بين مُنظِّري المعجمية على أن التَّحليل المناسب لأي معجم يتمُّ عبر تحليل البِنى الَّتي يقوم عليها بالنَّظر إلى نوعين من البِنى؛ الأولى هي البِنية الكبرى macrostructure، والأخرى هي البِنية الصُّغرى microstructure [٢]. والبِنية الكبرى للمعجم عبارة عن المخزون الخاص بمجموعة المداخل وقوائم الكلمات الَّتي يتضمنها، وتنقسم هذه البنية حسب كيفية ترتيب هذه المداخل إلى ثلاثة أقسام هي: البنية الكبرى الألفبائية alphabetical macrostructure حيث ترتب المداخل ترتيبًا ألفبائيًّا، والبنية الكبرى الرَّمزية ideographic macrostructure، وترتب فيها المداخل حسب أنواع التَّشابهات الدَّلالية المختلفة، وهناك البِنية الكبرى القياسية analogical macrostructure وفيها يتم المزج بين النَّوعين السّابقين من البِنى الكبرى[٣].

أما البنية الصُّغرى microstructure فتشير إلى صيغ المداخل وأشكالها، وكيفية تقديم المعلومات الخاصة بالمداخل وطرق تمثيلها، ومدى مناسبة الخطاب الذي تنتظم فيه هذه المعلومات لحاجات المستخدم [٤].

ويشير إيجور بورخانوف I. Burkhanov إلى أنه يمكن أن يكون للمعجم الواحد أكثر من بنية كبرى بناء على عدد قوائم الكلمات داخل هذا المعجم؛ ومن ثَمَّ فهو يرى أن معجمًا ثنائ-للمعجم أحادي اللُّغة أن يتضمن أكثر من بِنية كبرى، ومثاله على هذا معجم Collins Paperback Dictionary and

(2) Adapted from R. R. K. Hartmann and Gregory James 1998: p. xii

(3) See: Igor Burkhanov 1998: p.146.

(4) Adapted from R. R. K. Hartmann and Gregory James 1998: p. xii, and see: Igor Burkhanov 1998: p.155.

Thesaurus (١٩٩٤) حيث تضمن هذا المعجم نوعين من البِنى الكبرى، إحداهما بنية ألفبائية والأخرى قياسية، احتلت الأولى منهما الجزء الأعلى من صفحات المعجم، والأخرى وردت أسفل صفحاته[٥].

أما هارتمان وجيمس R. R. K. Hartmann and G. James 1998 فيشيران إلى أن البنية الكبرى للعمل المعجمي تُستكمل بالنَّص الخارجي outside matter الَّذي يشتمل على: نص استهلالي front matter أو Fore-matter (المدخل ومرشد المستخدم، ... إلخ)، ونص وسيط matter middle (اللَّوحات والتَّخطيطات والتَّوضيحات، ... إلخ)، ونص ختامي back matter (قائمة الأسماء والمختصرات، ... إلخ)، ومجموعهما يشكل البنية العظمى megastructure[٦].

فالبنية العظمى للمعجم تتمثل – كما يرى هارتمان وجيمس – في مجموع كل من البنية الكبرى للمعجم والنَّص الخارجي بعناصره المختلفة (أي النص الاستهلالي، والوسيط، والختامي)[٧]، ويرى الدُّكتور جورج متري عبد المسيح أن البنية العظمى للمعجم تتكون من متن المعجم (بما يشتمل عليه من بنية كبرى وصغرى) مضافًا إليه النَّص الخارجي[٨].

والنَّص الاستهلالي front Matter أو fore-matter مكوَّن من مكونات النَّص الخارجي، وهو يشمل جميع العناصر السّابقة على قائمة الكلمات الَّتي يحتويها المعجم أو الموسوعة، ويتكون بصورة أساسية من (المدخل،

---

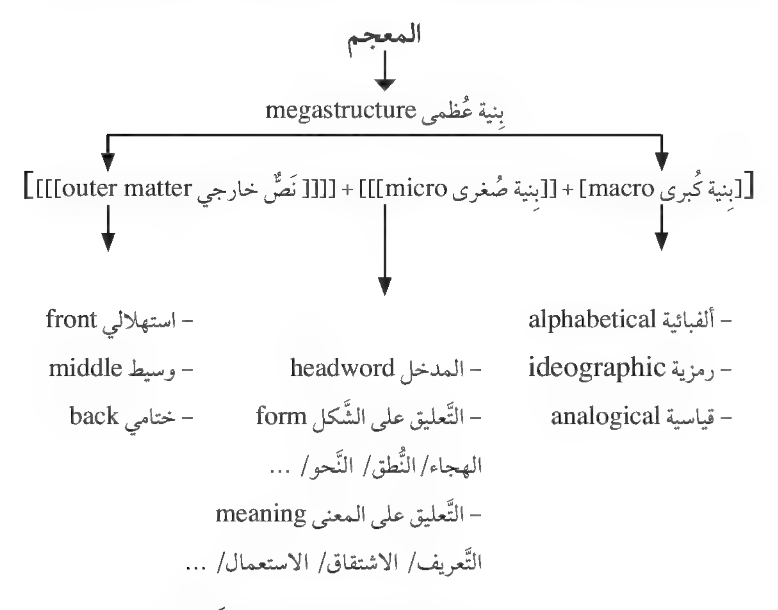
(5) See: Igor Burkhanov 1998: p.147.

(6) Adapted from R. R. K. Hartmann and Gregory James 1998: p. xii

(7) See R. R. K. Hartmann and Gregory James 1998: p. 92.

(٨) سجلت هذا الرَّأي عبر مراسلات إلكترونية مع الدُّكتور جورج عبد المسيح تناولت مكونات المعجم وبناه.

والغرض الأساسي من المعجم، و وظائفه، ومصادره الأساسية والثّانوية والمستخدم المنشود، وقائمة المختصرات، وقائمة الرُّموز النُّطقية)، وذلك في مقابل النَّص الختامي back matter الذي يأتي بعد قائمة الكلمات الَّتي يحتويها المعجم، ويتضمن من وجهة نظر صاحب المعجم جميع البيانات الَّتي تهم المستخدم ولا تشكل جزءًا من مواده أو مداخله، أما النَّص الدّاخلي inside matter أو النَّص الوسيط middle matter فيقع داخل قائمة الكلمات الَّتي يحتويها المعجم ولا يكون جزءًا منها، مثل: الرُّسوم التَّوضيحية، والصُّور، وغيرها من العناصر الَّتي يراها صاحب المعجم مفيدة بالنِّسبة للمستخدم(٩).



مِمّا سبق يمكن القول: إن المقدمة تكافئ مفهوم النَّص الاستهلالي الذي

(9) See: Igor Burkhanov 1998: p. 88, 28, 112, and R. R. K. Hartmann and Gregory James 1998: p. 91, 92.

يسبق قائمة الكلمات الَّتي يتضمنها المعجم، وإنها تشكل عنصرًا من عناصر البنية العظمى للمعجم، كذلك يتفق جميع العاملين بالحقل المعجمي – تنظيرًا وتطبيقًا – على أن لها دورًا مهمًّا في بيان طبيعة المعجم؛ لأنها مصدر أساسي من مصادر المعلومات في جميع أنواع المعاجم(١٠).

٢- نقد السّابق وخصائص اللّاحق

قبل الحديث عن النَّقد – وهو عنصر مهم من العناصر المكوِّنة لمقدمة المعجم موضوع هذه الورقة – أودُّ الإشارة إلى أنه على الرَّغم من أهمية هذا المعجم واعتباره من أهم المعاجم الَّتي ظهرت حديثًا نجد أن العنوان الذي تم اختياره لهذا المعجم أو لنقل موضوع هذا المعجم «اللُّغة العربية المعاصرة» يثير عديدًا من التَّساؤلات الخاصة بتحديد مفهوم «اللُّغة العربية المعاصرة» على المستويين التَّنظيري والتَّطبيقي، ومدى التَّوافق الَّذي قد يحققه المعجم بين الحدود النَّظرية لهذا المصطلح والعناصر الَّتي تشكل هذا المفهوم من المفردات الرّافدة لهذا المعجم(١١). وأحسب أن محاولة الإجابة عن هذه التَّساؤلات تخرج عن موضوع هذه الورقة الَّتي خُصِّصت لبحث خطاب المقدمة، ولكن هذا لا يمنعنا من الإشارة إلى أن تحديد مفهوم «اللُّغة العربية المعاصرة» لم يكن حاضرًا في المقدمة.

أما إذا عُدنا إلى النَّقد الكائن في المقدمة فسنجد أن حضور النَّقد في خطاب المقدمة يرتبط بصورة جوهرية برؤية صاحب المعجم للمتاع الوظيفي الذي يقدمه المعجم لمستعمله بعيدًا عن وظائف معاجم أخرى ترتبط أو لا ترتبط به؛ بمعنى أن النَّقد يمثل مجموعة الرِّهانات الَّتي يقوم عليها العمل

---

(10) After Hashan Al-Ajmi 2001: p. 60f.

(١١) انظر د. عبد العلي الودغيري ٢٠١٤: ص ٢٤.

ويطمح في تقديمها في صورة جيدة، وقد ينجح المعجم في تحقيقها أو لا ينجح، والمسألة هنا قائمة على فعل كلامي قوته الوعد، فنقد المعاجم السّابقة في بعض النَّواحي ينطوي بالأساس على وعد من صاحب العمل للمستعمل بتلافي أوجه القصور في جُلِّ هذه النَّواحي، وبالتّالي يضع خطاب المقدمة أيدينا على تصوُّر معين للسِّمات الَّتي يمكن أن تميز هذا المعجم في عَلاقته بالمعاجم السّابقة، ويوضح كذلك الوظيفة الَّتي سوف يؤديها في سياقه الثَّقافي العامّ.

وفيما يخصُّ «معجم اللُّغة العربية المعاصرة» نجد أن المقدمة بدأت بالتَّأكيد على فكرة الارتباط الوثيق بين المعجم واللُّغة، فالمعجم حياة اللُّغة وكتابها الذي يرصد حركتها في الثَّبات والتَّغير والتَّطور؛ ومن ثَمَّ يجب أن يكون ثَمَّة توازٍ بين ألفاظ هذه اللُّغة والعمل المعجمي الذي يرصد هذه الألفاظ وحركتها بحيث نقترب مع هذا العمل المعجمي أو غيره من البرهنة على صورة ذلك التَّكامل بين نمو المجتمع ونمو لغته، وقد جاء في المقدمة:

«والمتتبع الآن للغة المعاصرة - وما يصيب دلالة مفرداتها من تطور مستمر، بالإضافة إلى استحداث كلمات جديدة لمسايرة التَّقدم العلمي والتُّكنولوجي الهائل - يجد أن معظمها لم يثبت في المعاجم بعد، رغم وفرة عدد من المعاجم المعاصرة[١٢].»

إن الحاجة إلى معجم جديد للعربية المعاصرة أمر مرهون بتقييم الأعمال المعجمية السّابقة على ضوء عَلاقتها بالمواد اللُّغوية المعاصرة المتاحة ومدى اشتمالها على حيز كبير من هذه المواد، وكذا طريقة تحصيلها لهذه المواد؛ لذا

(١٢) د. أحمد مختار عمر: معجم اللُّغة العربية المعاصرة، ص٩ .

تجد مقدمة المعجم تسرد سِمات هذه المعاجم وأوجه القُصور الَّتي أصابتها، ومنها «الاعتماد الكلي على أعمال السّابقين واجترارها عامًا بعد عام، حيث تكتفي هذه المعاجم بالنَّقل أو الاختصار أو إعادة التَّرتيب أحيانًا [١٣].»

ولم تكتفِ المقدمة بهذه الوجوه، بل ذهبت تُعَدِّدُ مظاهر أخرى من القصور الذي شابَ هذه المعاجم، منها[١٤]:

* الخلط بين المهجور والمُستعمَل، وغياب كثير من المُستحدَث.
* الاعتماد على بعضها البعض، دون تمحيص أو تحقيق.
* القصور في تناول المعلومات الصَّرفية والدَّلالية لمداخلها.
* عدم إثبات معظم المصاحبات اللَّفظية الَّتي يكثر استخدامها، وكذلك التَّعبيرات السِّياقية الَّتي اكتسبت معاني جديدة زائدة على معاني مفرداتها.

إن النَّقد في خطاب المقدمة - وإن كان نقدًا إجماليًّا - يتعرض لأهم نقاط القُصور الَّتي قد تعانيها المعاجم الَّتي سبقت ظهور معجم اللُّغة العربية المعاصرة بصورة عامة، لكن يجب أن نلاحظ أن هذه النِّقاط قد تتفاوت وتختلف من معجم لآخر، والنَّقد هنا ليس من أجل النَّقد فقط، إنما ينطوي في مقدمة أي عمل معجمي - كما أشرت سابقًا - على وعد بالابتعاد عن هذه الوجوه وإكمال ما أصاب تلك الأعمال من نقص وإثبات ما لم تثبته من مُستحدَث الألفاظ ما لم يخرق هذا قواعد العربية، وبناءً عليه يؤسِّس هذا النَّقد للسِّمات المميزة الَّتي يختلف بها المعجم عن غيره من المعاجم المشابهة من ناحية، ويبيِّن الأسباب الَّتي دفعت إلى بناء هذا المعجم من ناحية أخرى.

ولعلَّ غالبية نقاط النَّقد السّابقة تدور حول مواد المعجم، المستعمل منها

(١٣) د. أحمد مختار عمر: معجم اللُّغة العربية، ص٩ .
(١٤) المرجع نفسه، ص ٩ .

والمهمل، فاعتماد المعاجم المعاصرة على معاجم أخرى موجودة، والخلط بين المهجور والمستعمَل، وعدم إثبات المصاحبات اللَّفظية والتَّعابير السِّياقية جميع هذه المظاهر يتصل بمحاولة المعجم الجديد إثبات ما هو مستعمل بالفعل في العربية المعاصرة وترك ما عاد منه مهجورًا، وهذا يتطلب من أصحاب هذا المعجم البدء من جديد، من نقطة بداية العمل المعجمي، وهي مرحلة الجمع، ولا مانع من الاعتماد على بعض ما جاء في المعاجم السّابقة ما دام يلبي شروط المنهجية الَّتي اختطها هذا المعجم، ولعل نظرة سريعة على مصادر التَّحرير الَّتي اعتمد عليها هذا المعجم تبيِّن لنا اعتماده على بعض هذه المعاجم في جمع المواد(١٥).

ولكنَّ البدء في إحصاء المواد اللُّغوية الجديدة وتلك الَّتي لا تزال مستعملة في العربية المعاصرة يحتاج إلى آلية فاعلة من آليات الجمع؛ ومن ثَمَّ اعتمد معجم اللُّغة العربية المعاصرة وفريقه البحثي على استخدام التِّقانة الحاسوبية من أجل الإحاطة بكثير من المواد اللُّغوية المستخدمة وتصنيفها وتقسيمها على مداخلها المختلفة، وَفْقَ الشُّروط الَّتي وضعها صاحب المعجم لهذه التَّصنيفات والتَّقسيمات والمداخل.

٣- التِّقانة والمعجم

بناء على ما سبق نجد أن المعجم يتَّبع منهجًا جديدًا في جمع مواده، ولقد جاء في مقدمته أن التَّفرد الذي وسم منهج هذا العمل قد ظهر «منذ لحظة البداية، وهي مرحلة جمع المادة؛ فلم يعتمد اعتمادًا كليًّا على معاجم السّابقين، إنما ضم إليها مادة غنية بالكلمات الشّائعة والمستعملة(١٦)»، ولعلَّ مِمّا يميز

---

(١٥) انظر د. أحمد مختار عمر: معجم اللُّغة العربية، ص ٣٣ وما بعدها .

(١٦) د. أحمد مختار عمر: المرجع نفسه، ص ١٠ .

هذا المعجم أيضًا استخدام التِّقانة الحاسوبية في جمع المواد الَّتي يشتمل عليها، وهذه الوسيلة قد باتت ضرورة مُلِحَّة في ظِل تطوُّر كبير شهدته العربية المعاصرة ينعكس من خلال حركية ألفاظها وتراكيبها وتعابيرها وثرائها. أما عن الإمكانات الَّتي يتيحها استخدام التِّقانة في بناء المعاجم اللُّغوية بصفة عامة، وكانت فاعلة في بناء معجم اللُّغة العربية المعاصرة بخاصة، فهي تتلخص في النِّقاط الآتية[١٧]:

* إجراء مسح لُغوي شِبه تامٍّ لمواد لُغوية مكتوبة ومسموعة.
* إمكانية الحكم على درجة شيوع كلمة ما وتَكرارها.
* التَّعرف على نظام المصاحبات اللَّفظية ومعدل تَكرار مكوناتها.

وعلى الرَّغم من أهمية هذه النَّتائج الَّتي يمكن التَّوصل إليها باستخدام البرامج الحاسوبية تجد أن مقدمة المعجم لم تقدِّم تفصيلًا دقيقًا للبرامج الحاسوبية الَّتي تم الاعتماد عليها في المسح والجمع، أو تبيِّن طريقة عمل هذه البرمجيات أو الصُّعوبات الَّتي واجهت استخدامها في بناء هذا المعجم.

ولم تَخُض المقدمة في طُرق هذا المسح اللُّغوي، أو الضَّوابط اللِّسانية أو حتى التِّقنية الَّتي يمكن من خلالها الحكم على درجة شيوع كلمة ما أو اقترانها بكلمة أخرى داخل تركيب اصطلاحي معين. كذلك لم يحاول الفريق بناء مدوَّنة لُغوية أو قاعدة شواهد خاصة بهذا المعجم، وأحسب أن إعداد هذه المُدوَّنة لنشرها على الشّابكة (الإنترنت) له فوائد جمة؛ إذ يمكننا من الرُّجوع إليها ومراجعتها والإضافة إليها أو الاعتماد عليها في بناء معاجم أخرى، لا سيما أن هذا الأمر الأخير كان هدفًا واضحًا نصت عليه المقدمة؛ إذ جاء في شأنه «من أجل هذا وضع صاحب المعجم – رحمه الله – منهجًا جديدًا ......

---

(١٧) د. أحمد مختار عمر: المرجع نفسه.

يسمح باستخلاص عدد من المعاجم منه [١٨].»

كذلك لم تكن المُدوَّنات الإلكترونية الخاصة باللُّغة العربية المتاحة على الشّابكة (الإنترنت) مصدرًا من مصادر المادة المسحية الَّتي قام عليها هذا المعجم[١٩].

٤- مصادر العربية المعاصرة

من العناصر المهمة الَّتي يجب أن تشتمل عليها مقدمة أي معجم المصادر الَّتي سيعتمد عليها بناء هذا المعجم، ومن ثَمَّ فإن استهداف اللُّغة العربية المعاصرة مادة أساسية في بناء المعجم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعدد كبير من المصادر الَّتي تمثِّل هذه اللُّغة تمثيلًا جيدًا؛ ومن ثَمَّ اتخذ معجم اللُّغة العربية المعاصرة المصادر التّالية رافدًا مهمًّا من روافده[٢٠]:

* الصُّحف والمجلات العربية واسعة الانتشار.
* المواد المسموعة المقدمة بالعربية الفُصحى.
* قصص الأطفال والنّاشئة.
* كتابات كبار الأدباء والكتاب والمفكرين.
* المواد التُّراثية: القرآن والحديث والحكم والأمثال وغيرها.
* بعض الأعمال المعجمية الصّادرة عن مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة ومراعاة قراراته.
* كتب التَّعبيرات السِّياقية والمعاجم المسحية.

إن هذه المصادر المتنوعة لجمع مواد المعجم تعكس بالضَّرورة وعي

---

(١٨) المرجع نفسه، ص ١٠.

(١٩) انظر مصادر المادة المسحية، ص ٤٤ إلى ص ٤٨.

(٢٠) د. أحمد مختار عمر: معجم اللُّغة العربية، ص ١٠-١١.

القائمين على العمل بالتَّطوُّر الحاصل في العربية المعاصرة من ناحية، و وعيهم من ناحية أخرى بحاجة المستعمل لمعجم يعكس هذا التَّطوُّر ويقيده في عمل معاصر يعد باستيعاب ألفاظها المستخدمة في خطاباتها المختلفة.

ولعل هذا التَّنوُّع في المصادر كَفَل للمعجم - حسبما يرى صاحب المقدمة - بعض الميزات حيث اشتمل على ألفاظ كثيرة تغطي «كافة مجالات المعرفة المختلفة، كالسِّياسة والاقتصاد والأدب والفن والدِّيانات والحضارة والرِّياضة والمرأة والطِّفل والأسرة ... إلخ؛ مما ساهم في احتواء المعجم على كلمات جديدة تتردد في لُغة الإعلام اليوم ولم ترد في المعاجم بعد [٢١].»

ولكن اللّافت في تعديد هذه المصادر أنه يفصح بصورة بيِّنة عن ضرورة وجود بعض الضَّوابط الَّتي يجب تطبيقها على المواد اللُّغوية الَّتي سيتضمنها العمل، فتلحظ هنا أن المواد اللُّغوية مشروطة بالاستعمال والشُّيوع والدَّوران على ألسنة أبناء اللُّغة، وهي مشروطة كذلك بما انتهت إليه جهود مجامع اللُّغة العربية في تقييس ألفاظ اللُّغة وإقرار بعضها واستبعاد ما يخالف قواعدها، وهكذا تجد أن المعجم يحاول أن يجمع بين المسموع من هذه الألفاظ والمَقيس.

والجديد في أمر الجمع بين المسموع والمَقيس أنه استلزم من أصحاب المعجم إجراءات قياسية محددة تتعلَّق ببعض الألفاظ والمركَّبات المعاصرة، وقد تمثلت تلك الإجراءات في توسُّع المعجم في جملة من الأقيسة قصد أن يتضمن مزيدًا من ألفاظ العربية المعاصرة، ومن صور هذا التَّوسُّع[٢٢]:

* الإكثار من توليد أفعال على وزن (فعَّل)، أو (فوعل)، أو (فعلن) لإفادة

(٢١) د. أحمد مختار عمر: معجم اللُّغة العربية المعاصرة، ص١١ .

(٢٢) د. أحمد مختار عمر: المرجع نفسه، ص١١ .

التَّعدية ونقل أثر الفعل إلى متأثر خارجي.

* الإكثار من استخدام المصدر الصِّناعي، وجمع الجمع.

* النَّسب بزيادة الألف والنّون، أو بزيادة الواو، أو إلى ألفاظ الجموع.

الاشتقاق من أسماء الأعيان والأسماء المزيدة.

* معاملة بعض المركَّبات الإضافية أو الوصفية معاملة الألفاظ المفردة ... إلخ.

٥- منهج المعجم

إن منهج معجم ما من أهم العناصر الَّتي يجب أن تتضمنها مقدمة هذا المعجم لما سينعكس على القارئ من تصور لكيفية قراءة هذا المعجم، ومدى الإفادة منه وطرائق البحث فيه، ليس هذا فقط، بل محاولة هذا القارئ - الرَّصين خاصة - مَوْضَعة هذا المعجم بين المعاجم الأخرى الَّتي تتناول المادة نفسها أو مادة شبيهة لا سيما إذا مثَّل المعجم مسارًا جديدًا في توظيف آليات الصَّنعة المعجمية بشكل فريد. في بعض الحالات لا يتعدى الحديث عن المنهج الفِقرة أو الفِقرتين من مقدمة المعجم، وفي حالات أخرى يستغرق المنهج مساحة كبيرة جدًّا من تلك المقدمة، وهذا يتوقَّفُ - في جزء منه - على جِدَّة المعجم أو جدة التَّعامل مع مواده أو التَّشكلات التَّمايزية الَّتي تطرحها طبيعة هذه المواد.

وأزعم أن التَّخطيط التّالي يبين لنا مجموعة من العناصر الفاعلة ذات التَّأثير المتبادل فيما يخص إنجاز معجم ما، فالمواد بداية مطروحة أمام واضع المعجم ينتقيها وَفْق هدف معين يؤثِّر في طريقة التَّعامل معها وفي وضع منهج محدد ينعكس - من ثمَّ - على بناء هذا المعجم الَّذي يقيم وساطة بين المواد وحاجات المستخدم:

[المواد < > الهدف < > المنهج < > البناء < > المستخدم]

وعليه فعرض المنهج داخل المقدمة تقليد يستثمر في قراءة هذه العلاقات والتَّرابطات المتَّصلة في مسار صناعة أي معجم، على أي حال شغل منهج معجم اللُّغة العربية المعاصرة مساحة ملحوظة من مقدمته، واشتغل على ثمانية عناصر مهمة من مفردات هذا المنهج هي:

أ- أنواع المداخل الواردة في المعجم

قسَّم المعجم مداخله إلى خمسة أقسام هي: الفعل، والاسم (المفرد، والمثنى، والجمع)، والكلمات الوظيفية (الَّتي تشمل حروف الهجاء، وحروف الجر، وأدوات الاستفهام، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وأدوات الشَّرط، ... إلخ).

ب- المعلومات الَّتي يقدمها المعجم

نَصَّت المقدمة على أن المعجم هدف: «إلى إثبات كافة المعلومات الَّتي ينتظرها مُستعمِل المعجم والَّتي تبتعد عنها المعاجم الأخرى إما تيسيرًا للوقت أو العجز عن تناولها[٢٣].» أما عن المعلومات الَّتي يعد المعجم بتقديمها فهي كالتّالي: «المعلومات الصَّرفية للكلمة، وكذلك المعلومات الدَّلالية للكلمة، وجميع أوجه استعمالاتها من خلال المسح الشّامل للكلمات والنُّصوص وإثبات الشَّواهد والأمثلة والتَّعبيرات السِّياقية[٢٤].»

وتوَّزعت المعلومات الصَّرفية على الفعل والاسم وخلت منها الكلمات

(٢٣) د. أحمد مختار عمر: المرجع نفسه، ص ١٠.
(٢٤) المرجع نفسه، ص ١٠.

الوظيفية، وتشتمل هذه المعلومات فيما يخصُّ الفعل (المضارع، والأمر، والمصادر، واسم الفاعل، واسم المفعول، ومفكوك المُضعَّف الثُّلاثي)، واشتملت بالنِّسبة للأسماء (المفرد، والمثنى، والجمع ، وجمع الجمع، والمذكر، والمؤنث) وارتبط توزيع هذه المعلومات بغير القياسي من صِيغ الأسماء ويظهر حين لا تفصح الصّيغة بذاتها عن تلك المعلومات.

أما المعلومات الدَّلالية فتوزعت على الأقسام الخمسة لمداخل هذا المعجم، وتبرز هذه المعلومات من خلال (المدخل في مثال، المعاني اللُّغوية أو الاصطلاحية، والأمثلة الإضافية، والتَّعليق على هذه الأمثلة، والتَّعبيرات السِّياقية والتَّعليق عليها، والإحالة من مدخل لآخر).

ج- اختيار مادة المعجم

إن الحديث عن اختيار مادة المعجم شيء مهم لا سيما داخل مصنف يخلي المجال أمام مجموعة كبيرة وجديدة من المداخل الَّتي تمثل بمجموعها العربية المعاصرة (بالمعنى الخاص لدى صاحب المعجم، وليس بالمفهوم اللِّساني لهذا المستوى من العربية)، ولا شك في أن هذا التَّقليد ينطوي على مجموعة من العناصر الَّتي تختلف من معجم لآخر على ضوء الهدف الذي ينشده أحدهم كما بيَّنت في التَّخطيط السّابق، وتوزع الحديث عن مادة هذا المعجم على خمسة عناصر مهمة هي:

١- المداخل

وفيه حديث عن معايير اختيار المداخل، والقواعد الخاصة بوضع هذه المداخل، وكان من أهم تلك المعايير الَّتي وضعها المعجم ما يلي[٢٥]:

(٢٥) د. أحمد مختار عمر: معجم اللُّغة العربية المعاصرة، ص ١٤، ١٥.

* أن تكون الكلمات حَيَّة مستعملة،
* أو تكون قابلة للاستعمال بين عامة المثقَّفين،
* أو تكون كلمات عصرية مُستحدَثة،
* أن تكون من كلمات الحضارة،
* مصطلحات العلوم والفنون الَّتي لم تعد - لشيوعها - حَكَرًا على أهل التَّخصص،
* الألفاظ المُعرَّبة والدَّخيلة الَّتي أقرتها المجامع اللُّغوية،
* ألّا يكون المدخل علمًا باستثناء الأعلام القرآنية والَّتي لها صلة بالتُّراث الإسلامي،
* التَّوسُّع في إثبات المداخل المتعلِّقة بالنَّبات.

فهذه المعايير تعكس حرص صاحب المعجم على انتماء كلماته إلى اللُّغة المتكلَّمة في العصر الحديث أو الفترة المعاصرة، ولعل هذا هو السَّبب وراء العنوان الذي تم اختياره لهذا المعجم. ولا شك في أن اختيار مثل هذه المعايير سوف ينعكس على المنهج، كما ينعكس أيضًا على المعلومات الخاصة بهذه المفردات، بل على قائمة الرُّموز المستخدَمة في المعجم، وذلك للارتباط الشَّديد الَّذي يجمع هذه العناصر.

أما عن القواعد الخاصة بوضع المداخل فتمثلت في أن يكون المدخل الفعلي على صيغة الماضي، وأن تكون المداخل الاسمية مفردة إلا إذا كان المثنى أو الجمع أكثر شيوعًا، وإثبات الحروف الَّتي تتعدى بها الأفعال مع ترتيب هذه الحروف ألفبائيًا، وإثبات الأفعال في مداخل مختلفة حال اختلاف معانيها، واعتبار الفعل المبني للمجهول مدخلًا مستقلًّا إذا كان ملازمًا لهذا البناء، والجمع بين صيغ الضَّبط المختلفة للاسم إذا اتحدت في المعنى،

ولعدم قياسية مصادر الثُّلاثي والصِّفات المشبَّهة أفردت في مداخل مستقلة. وتيسيرًا على المستخدم تم إفراد مداخل مستقلة للمشتقات القياسية حال حدوث إعلال أو اكتسابها دلالات جديدة، أو في حال وجود معلومات صرفية غير قياسية، وكذلك إذا وجدت معلومات صرفية مختلفة للأسماء أو الأفعال تكررت مداخلها. وحاول المعجم التزام صيغة التَّنكير مع المدخل الاسمي حتى لو كان ملازمًا للتَّعريف مع ذكره معرَّفًا عند وضعه في مثال. هذا مع الوضع في الاعتبار قرارات مجمع اللُّغة العربية المصري وإثبات الكلمات الَّتي أجازها كمداخل[٢٦].

وتعليقًا على هذه القواعد يمكننا بصورة مبدئية القول: إنه في حين كان من شأن بعض هذه القواعد أن تحافظ على التَّوازن بين المداخل ومعلوماتها تيسيرًا على المستخدم تجد في بعضها سببًا في تضخيم الحجم الذي يشغله هذا المعجم.

٢- وضع هذه المداخل في أمثلة، وقواعد هذا الوضع

بخصوص وضع المداخل في أمثلة حددت المقدمة تعريف «المدخل في مثال» على أنه «نص المعجم على قيد معين لا يستخدم المدخل بالمعنى المحدد إلا من خلاله[٢٧]»، ومن أمثلته الأسماء والأفعال المقيدة كاستخدام «يوم» مقيدًا بـ « التغابن، أو القيامة» أو «زأر» مع «الأسد»، ولهذا وضع المعجم بعض القواعد الحاكمة لوضع المدخل في مثال منها: ذكر التَّراكيب التُّراثية ذات المدلول القرآني، وذكر المدخل الفعلي المتعدي بنفسه وبحرف الجر إذا كان له المعنى عينه، وترتيب الأمثلة ألفبائيًّا، و وضع المدخل الاسمي

---

(٢٦) د. أحمد مختار عمر: معجم اللُّغة العربية المعاصرة، ص ١٥، ١٦، ١٧.

(٢٧) المرجع نفسه، ص ١٧.

المركب تبعًا للكلمات البارزة فيه وتَكراره وَفْقَ هذه الكلمات[٢٨]. وهنا نلمح أيضًا مَدعاة لتضخيم المعجم، لكنها تحافظ حقيقة على تيسير استخدام المعجم على المُستعمِل الذي قد لا يحيط بالأسس المدرسية للبحث في المعاجم.

٣- الأمثلة الإضافية وقواعد وضعها

كان هدف المعجم من هذه الأمثلة «أن تغطي كافة السِّياقات المختلفة الَّتي تقع فيها الكلمة ... حتى يتمكن المستخدم من الوقوف على جميع الاستعمالات، ولما في ذلك من الإفادة الكاملة[٢٩]»، ومن القواعد الَّتي حاول المعجم الالتزام بها في إيراد مثل هذه الأمثلة إعطاء الأولوية للأمثلة القرآنية لفصاحتها، وكذلك للأمثلة الشّائعة، وتجنب الأمثلة المُستهجنَة أو المتكلَّفة أو الَّتي تحقِّر بعض المهن، واختيار الأمثلة ذات المغزى الأخلاقي أو الثَّقافي، وتحديث الأمثلة الَّتي لا تزال حية في الاستعمال، والتَّعليق على المثال بعبارة موجزة، والاقتصاد في الاستشهاد بالشِّعر ومراعاة وضوحه[٣٠].

ورغم أهمية هذه القواعد، فإنني لا أرى بعضها يحقق فكرة الشُّمولية الَّتي يبتغيها المعجم، فاستبعاد أمثلة معينة رغم كونها عنصرًا من عناصر العربية المعاصرة أو الاقتصاد فيها يُعَدُّ إخلالًا بهذه الفكرة. كذلك أرى أن فكرة الاستبدال الَّتي اعتمد عليها المعجم (بمفهومها اللِّساني لدى دو سوسير أو حتى لدى هاليداي) قد تكون سببًا في أن يتضمن المعجم ما ليس مستعملًا، مثال هذا تحديث الأمثلة على نحو استبدال (السَّيارة) بـ (الدّابة) في المثال

(٢٨) المرجع نفسه، ص ١٧.
(٢٩) المرجع نفسه، ص ١٨.
(٣٠) المرجع نفسه، ص ١٨.

(ترجل عن الدّابة)[٣١]. و واضح هنا أن المقدمة لم تقدم لنا الفرق بين الشّاهد والمثال، بل خلطت بينهما. وعلى أية حال كان الحديث عن الأمثلة الإضافية و وضع قواعدها عنصرًا مهمًّا من العناصر الخاصة بمادة المعجم من ناحية ومكونًا من مكونات المقدمة من ناحية أخرى.

٤- التَّعبيرات السِّياقية والمصاحبات اللَّفظية والتَّراكيب

حرص المعجم على أن تكون هذه التَّعبيرات مُستعملَة بالفعل أو قابلة للاستعمال، كما حرص على وضعها أمام أقرب معنى لها، وتحت أبرز كلمة فيه، فإذا تعددت هذه الكلمات البارزة تكرر ذكر التَّعبير تبعًا لها، كذلك حرص المعجم على التَّعليق على بعض هذه التَّعبيرات لا سيما إذا كان معناها يتحصل بفهم أجزائها[٣٢].

٥- المعاني

كان من بين قواعدها عدم الاحتفاء بالمعاني الموسوعية لا سيما التّاريخية اللَّهمَّ إلا إذا كان المدخل مصطلحًا من المصطلحات أو كلمة من الكلمات الوظيفية، كما راعى الشُّمول و وحدة التَّناول والشَّرح بالنِّسبة للنَّظائر وكلمات المجموعات المُغلَقة، وعدم الاحتفاء بالمعاني غير الشّائعة، والإشارة إلى نوع المُشتقِّ وجنس الكلمة كلما كان هذا مفيدًا، وعدم تَكرار العَلاقة الصَّرفية الواحدة مع جميع المعاني في المدخل الواحد[٣٣].

د- طُرق الشَّرح الَّتي يتبعها المعجم

اتَّبعَ المعجم طُرقًا مختلفة للشَّرح حسبما يقتضي معنى المدخل أو معانيه

(٣١) المرجع نفسه، ص ١٨.
(٣٢) المرجع نفسه، ص ١٩.
(٣٣) المرجع نفسه، ص ١٩، ٢٠.

المختلفة، من بين هذه الطُّرق: الشَّرح بالمرادف، والضِّدّ، والتَّعريف (ويحاول المعجم أن يكون التَّعريف شافيًا كافيًا دون اشتماله على أي كلمة تعتمد على المدخل)، والتَّعريف الظّاهري أو التَّمثيل الواقعي (الذي يعطي مثالًا أو أكثر من الواقع الخارجي)[٣٤].

ومن القواعد الَّتي حاول المعجم الالتزام بها في الشَّرح: البُعد عن المصطلحات الفنية، وتحرّي الدِّقَّة في جمع المعاني المتقاربة والتَّمييز بين المعاني المتباينة، والابتعاد عن الوقوع في الدَّور (فلا يحال في الشَّرح على لفظ المدخل)، وكذلك الابتعاد عن التَّسلسل (عن طريق عدم تعدُّد الإحالات)، وعدم استخدام ألفاظ غريبة في الشَّرح، والابتعاد عن التَّعريفات العامة، وتصدير المصطلحات بأسماء العلوم الَّتي تنتمي إليها [٣٥].

ولعل الوقوف على أمثلة الشَّرح داخل المعجم وطرائقه، وتحرّي مدى التزامه بهذه القواعد يُعَدُّ من الأمور المهمة الَّتي تحتاج إلى بحث مستقل.

هـ- نظام الإحالة

اعتمد المعجم نظام الإحالة كلما وجدَ عَلاقة بين مدخلين مختلفين يتفقان في المعنى، وعند وجود أكثر من شكل للكلمة، وعندما يَرِد المدخل تحت أكثر من جذر، ويتضمن هذا أيضًا الكلمات الأعجمية الَّتي تشترك في المعنى والجذر أو الَّتي تشتمل على حروف زائدة، وكذلك عندما يشتبه في أصل المدخل[٣٦].

و- قواعد عامة

---

(٣٤) المرجع نفسه، ص ٢٠.
(٣٥) المرجع نفسه، ص ٢٠.
(٣٦) المرجع نفسه، ص ٢١.

حرص المعجم على بيان القواعد العامة الَّتي ينتهجها في التَّعامل مع مواده وطرق تقديمها وشرحها، فبيَّن أنه ملتزم بكتابة الجذور بحروف منفصلة، وتوحيد الرَّسم الإملائي، والجمع بين الجذور الواوية اليائية إذا لم يكن ثمة ترجيح لأحدهما، و ورود الكلمات الوظيفية في مداخل مستقلة، وتمييز مفاعيل الأفعال اللّازمة والمتعدِّية بأنواعها المختلفة، وإثبات فعل الأمر غير القياسي من الفعل المضعَّف بصورتيه (فكّ التَّضعيف وتركه)، والنَّص على ما شاع من شواذ النَّسب، والتَّمييز بين جموع الاسم إذا كان له أكثر من معنى أحدها مصدري، وعدم ذكر الجمع القياسي إلا في حال تعدُّده، وإثبات الصِّفة المشبَّهة على وزن (فعلان) بصورتيها مع المذكَّر والمؤنَّث[٣٧].

ز- قواعد التَّرتيب

حرص المعجم في بيان منهجه على توضيح جملة من القواعد الخاصة بالتَّرتيب الَّتي اتبعها، ومنها: ترتيب المواد ترتيبًا ألفبائيًّا حسب الجذور، وترتيب المداخل الفعلية (ثلاثي مجرد، ثلاثي مزيد، رباعي مجرد، رباعي مزيد)، وذكر الكلمة الأقل حروفًا أو الخالية من الضَّبط أولًا، واعتبار الحرف المشدد حرفين، وترتيب الحركات (سكون - فتحة - ضمة - كسرة)[٣٨].

أما ترتيب المعلومات الَّتي يمكن أن تتعدد في المدخل الواحد فقد استدعت ترتيبًا معينًا، ففي وصف الفاعل يتم ذكر (اسم الفاعل القياسي، ثم صيغ المبالغة، ثم الصِّفة المشبَّهة)، وفي وصف المفعول يتم ذكر (اسم المفعول، ثم الصِّفة الثَّابتة للمفعول)، والبدء بالجموع السّالمة[٣٩].

(٣٧) المرجع نفسه، ص ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٣٨) المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٣٩) المرجع نفسه، ص ٢٣، ٢٤.

أما المدخل في مثال فترتب الأفعال في المدخل الواحد بحسب التَّعدي واللُّزوم (اللّازم، ثم المتعدي، ثم المتعدي بحرف دونما اعتبار للحروف المصاحبة للمفعول الثّاني)، وفي الأسماء (البدء بالنَّكرة، ثم المعرَّف بأل، ثم المعرَّف بالإضافة)[٤٠].

أما قواعد المعنى والشَّرح، فمن الأسس الَّتي اتبعها المعجم البدء بالمعاني الأشهر في الاستخدام، وتقديم المعاني اللُّغوية على المعاني المصطلحية، وتقديم المعنى الأعمِّ على الأخصّ[٤١].

وقد تم ترتيب الأمثلة الإضافية حسب درجة الفصاحة من الأقل فالأعلى، فبدأ بالمثال العادي، ثم المثل والحكمة، ثم شطر الشِّعر، ثم البيت الشِّعري، ثم الحديث الشَّريف، ثم القراءة القرآنية، وأخيرًا الآيات القرآنية. أما التَّعبيرات السِّياقية فتم ترتيبها ألفبائيًّا.

وأزعم أن مُتَّصل continuum الفصاحة ذاك - إن جاز هذا التَّعبير - واعتبار شطر البيت - على سبيل المثال - على مدرج أقل فصاحة من البيت الكامل ينقصه مزيد من الإيضاح بشأن المعايير المحددة لفصاحة كل نقاط هذا المتصل.

ح- إرشادات الاستخدام

ذُكر تحت هذا العنوان أن المعجم على قسمين؛ الأول هو متن المعجم، وهو يقدم المعلومات التّالية بالتَّرتيب: «الجذر بحروف منفصلة مرتبة ألفبائيًّا، المدخل، النَّوع (عدا الأفعال)، المعلومات الصَّرفية، المدخل في مثال

---

(٤٠) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٤١) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(وهو خاص بجميع الأفعال وبعض الأسماء والكلمات الوظيفية)، معناه أو معانيه، والأمثلة الإضافية والتَّعليق عليها إن لزم الأمر، والتَّعبيرات السِّياقية إن وُجِدَت والتَّعليق عليها إن لزم ذلك[٤٢].» والقسم الآخر عن الفهارس، وتضم أربعة فهارس هي: فهرس المداخل في أمثلة، وفهرس المعلومات الصَّرفية، وفهرس التَّعبيرات السَّياقية، وفهرس المصطلحات، وهذه الفهارس جميعها مرتبة ترتيبًا ألفبائيًّا[٤٣].

الخاتمة

خلص الدُّكتور «العجمي» في بحثه عن دور المقدمة في العمل المعجمي إلى أنه على الرَّغم من الإحالات النّادرة إلى مقدمات الأعمال المعجمية ودورها داخل الأدبيات المعجمية يمكننا تقسيم آراء العلماء - فيما يخص المقدمة ودورها - إلى ثلاث مقاربات: الأولى ترى أن صانع المعجم عليه أن يمد مستخدمه بجميع المعلومات الَّتي يحتاج إليها في المقدمة، وجعل «العجمي» من بين القائلين بهذا الرَّأي (جيمسون Gimson, A. C. 1973، وستين Stein, G. 1984، و ويجند Wiegand, H. 1984، وبركوف Berkov, V. P. 1990)، والمقاربة الثّانية خاصة بالأعمال المعجمية ثُنائية اللُّغة، ولكنها في رأيي تصدق أيضًا على المعاجم أُحادية اللُّغة؛ إذ ترى أن هناك ضرورة لتشجيع مستخدمي المعجم على قراءة المقدمة وتدريبهم على كيفية البحث عن المعلومات المطلوبة عبر تقسيم العمل بين المعجم والكتب المرجعية في اللُّغة الأجنبية، وجعل من بين القائلين بهذه المقاربة (روزنر Rossner, R. 1985، وكريستال Crystal, D. 1986، وكوي Cowie, A. P. 1987،

(٤٢) المرجع نفسه، ص ٢٥.
(٤٣) المرجع السابق، ص ٢٥.

وسنل- هورنباي (Snell-Hornby, M. 1987)، أما المقاربة الأخيرة فتعود إلى هارتمان Hartmann, R. R. K. 1986;1987 ؛ إذ يرى أن التَّدريب على استخدام المعجم ليس من شأن المعجمي إنما هو مسئولية المعلِّم(٤٤).

وبعد هذا العرض للعناصر الَّتي تشكلَّت منها مقدمة معجم اللُّغة العربية المعاصرة للدُّكتور أحمد مختار عمر -رحمه الله- وعلى ضوء تلك المقاربات الثَّلاثة والآراء الَّتي تتضمنها يمكننا القول: إن صاحب هذا المعجم وفريقه المعاون له ينتمون إلى تلك المقاربة الَّتي ترى أن على صاحب المعجم أن يضمن معجمه جميع العناصر والمعلومات الَّتي تمكِّن المستخدم من استعمال المعجم الاستعمال الصَّحيح، وتوفر له كافة المعلومات الَّتي تسهل له عملية البحث عن المعلومات المطلوبة. ولا شك عندي في أن اشتمال مقدمة هذا المعجم على كم كبير من هذه العناصر الَّتي عرضت لها يأتي أولًا بسبب الجدة الَّتي حاول أن يكون عليها هذا المعجم بصورة تجعله مميزًا عَمّا سبقه من معاجم.

---

(44) Adapted from Hashan Al-Ajmi 2001:*The Role of the Introductory Matter in Bilingual Dictionaries of English and Arabic*, p. 61ff.

المصادر والمراجع

د. أحمد مختار عمر ٢٠٠٨: معجم اللُّغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب.

د. عبد العلي الودغيري ٢٠١٤: نحو قاموس للُّغة العربية حديث ومتجدد. ضمن كتاب المعجمية العربية: قضايا وآفاق، الجزء الأول، إعداد د. منتصر أمين عبد الرَّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، عمان: دار كنوز المعرفة العلمية.

Hashan Al-Ajmi 2001:
***The Role Of The Introductory Matter In Bilingual Dictionaries Of English And Arabic*. Lexikos (11): 60 - 70.**

Igor Burkhanov 1998:
***Lexicography: A Dictionary Of Basic Terminology.* Rzeszów: Wyższa Szkoła Pedagogiczna.**

R. R. K. Hartmann and Gregory James 1998:
***Dictionary Of Lexicography.* London & New York: Routledge/ Taylor and Francis.**

الفصل الرابع

«صناعة المعجم التّاريخي للُّغة العربية» للدكتور علي القاسمي

تقدمة

إن الهدف من وضع كتاب يتعلق - بصورة أساسية - بصناعة المعجم التّاريخي للُّغة العربية ليشدِّد على ضرورة إيجاد إطار تنظيري يهتم ببيان جميع العوامل الَّتي من الممكن أن تؤثر في كفاءة هذا المعجم، وتؤكد على إمكانية تطويره واستمرارية هذا التَّطوير بالإضافة إلى محاولة بناء تصوُّر واضح عن الصّورة الَّتي سوف يتخذها هذا المعجم. وفيما يلي أُقَدِّمُ عرضًا لفصول كتاب «صناعة المعجم التّاريخي للُّغة العربية» الذي قَدَّمه الأستاذ الدُّكتور علي القاسمي، ونشرته مكتبة لبنان ناشرون عام ٢٠١٤.

وهذا الكتاب من الكتب المهمة والرّائدة في هذا المضمار؛ لأنه في الأساس عبارة عن خُطة عِلمية للمعجم التّاريخي للُّغة العربية كان المؤلِّف قد أسند إليه القيام بوضعها وتقديمها في نهاية سنة ٢٠٠٦ م إلى اتحاد المجامع اللُّغوية والعِلمية العربية، كذلك تم تقديم هذه الخطة إلى ندوة الشّارقة حول المعجم التّاريخي في ديسمبر ٢٠٠٦ م، ونذكر في هذا السِّياق أن صاحب الخطة واحد

من أعضاء المجلس العِلمي لمعجم الدَّوحة التّاريخي للُّغة العربية، وأن هذه الخطة توضح جميع الخُطوات العملية الأساسية في إعداد المعجم المنشود، وقد أضاف إليها المؤلِّف الكثير من الموضوعات والمراجع وأخرجها لنا في صورة كتاب نعرض له في السُّطور التّالية.

الفصل الأول: المعجم والمعجم التّاريخي

تناول المؤلِّف في هذا الفصل تعريف المعجم التّاريخي وماهيته موضحًا الفرق بين المعجم التّاريخي العام والمعجم التّاريخي المختص، ويعتبر هذا الفصل بمنزلة مقدمة تعريفية مهمة في تقدمة كتاب بهذه الأهمية. فإذا كان المعجم هو «كتاب مخطوط أو مطبوع أو محوسب، يحتوي على ألفاظ مُنتقاة، تُرَتَّبُ وَفْقَ نظام معين، مع معلومات ذات عَلاقة بها، سواء أعطيت تلك المعلومات باللُّغة ذاتها (المعجم أحادي اللُّغة) أو بلغة أو لغات أخرى (المعجم الثُّنائي أو الثُّلاثي اللُّغة أو المتعدِّد اللُّغات» [ص ٤١]، فإن المعجم التّاريخي للُّغة نوع من المعاجم «عادة ما يكون أحادي اللُّغة، يرمي إلى تزويد القارئ بتاريخ الألفاظ مبنًى ومعنًى من خلال تتبع تطوُّرها أو تغيرُّها منذ أقدم ظهور مُسجَّل لها حتى يومنا هذا، فهو لا يقتصر على تناول اللُّغة في عصر من عصور تاريخها، بل يتناولها في جميع العصور» [ص ٤٥]، وهذا يستدعي كما بيَّن المؤلِّف أن يضم هذا النوَّع من المعاجم كل لفظ استُعمل في اللُّغة داخل بلاد النّاطقين بها أو خارجها، وأن يوثِّق تاريخ كل لفظ في شكله (الهجاء والنُّطق) ومعناه (التَّعميم – التَّخصيص – الرُّقي – الانحطاط) واستعماله (الشُّيوع – النُّدرة – الموضوع – المستوى – المكان – الزَّمان) منذ ولادته في اللُّغة أو اقتراضه وحتى سُباته أو مماته.»

وأشار المؤلِّف إلى أن المعجم التّاريخي للُّغة على الماهية والصِّفة السّابقة

يختلف عن المعجم التّاريخي العامّ الذي يهدف إلى بيان الأحداث والأعلام والأماكن المهمة في تاريخ دولة معينة، كذا بيَّن أن المعجم التّاريخي اللُّغوي إذا قصد إلى جميع الألفاظ بغضِّ النَّظر عن المجالات العلمية الَّتي تنتمي إليها فهو معجم تاريخي عام، أما في حالة الاهتمام بألفاظ أو مصطلحات مجال معين فهو معجم تاريخي مختص.

الفصل الثّاني: تاريخ المعجم التّاريخي

اهتم هذا الفصل بفحص تاريخ المعاجم التّاريخية بصورة عامة، وكان لألمانيا في هذا التَّوجُّه جانب كبير من الرِّيادة والأهمية، وسنرى في تجربة ألمانيا ظروفًا وغايات تنشد تحقيق أحلام مماثلة لما نأمله بشأن العربية؛ إذ ارتبط ظهور المعاجم التّاريخية في ألمانيا - كما يشير المؤلِّف - بحاجة الحركة القومية الألمانية إلى أداة لُغوية تساعد على توحيد اللَّهجات الألمانية المختلفة في لغة مشتركة واحدة من أجل وحدة الولايات الألمانية في دولة واحدة، وهذا ما دفع الأخوين غريم (يعقوب، وڤيلهلم) إلى وضع المعجم التّاريخي للُّغة الألمانية سنة ١٨٣٨، وبسبب ضخامة مثل هذا العمل لم ينجزا منه في حياتهما سوى المواد من الحرف A إلى جزء من الحرف F ، «بَيْدَ أن أهمية هذا المشروع جعلت حشدًا من اللُّغويين والعلماء الألمان يعملون بصورة متواصلة مدة مائة عام تقريبًا لإنجاز «معجم غريم للُّغة الألمانية» الذي صدر عام ١٩٦٠ بـ ٣٣ مجلدًا» [ص ٥٧].

ثم عرض المؤلِّف لمتطلَّبات تصنيف المعجم التّاريخي، وحصر منها ثلاثة متطلَّبات: أولها الحاجة الماسَّة إلى مثل هذا النَّوع من المعاجم، ثم توافر عدد لا بأس به من الدِّراسات اللِّسانية التّاريخية، وأخيرًا وجود هيئة علمية ذات تخصُّصات مُتَّصلة. والحقيقة أن الدِّراسات اللِّسانية التّاريخية

وحدها غير كافية في هذا الإطار، ناهيك عن التَّداخل الاختصاصي لفروع اللِّسانيات الَّتي تمكننا من وضع مثل هذا المعجم (سيعرض المؤلِّف بعضها في فصول لاحقة)، واللّافت هنا هو إشارة المؤلِّف إلى ظاهرة «الإنحاء grammaticalization» في سياق تغير المفردة من وحدة معجمية إلى وحدة نحوية لما لهذه الظّاهرة من أثر في تطوُّرِ اللُّغة وتغيُّرها.

وبعد عَرْض المؤلِّف للدَّرس اللِّساني التّاريخي جاء التَّفريق بين المعجم التَّأثيلي والمعجم التّاريخي، فالأول متخصِّص في رَدِّ الألفاظ الَّتي يضمها إلى أصولها في اللُّغة ذاتها أو في اللُّغات الأخرى وما مرت به من تحوُّل وتغيُّر في شكلها ومعناها واستعمالها، وقد يعطي تاريخ كل تحوُّل أو تغيُّر وقد لا يعطيه. وقد يقتصر المعجم التَّأثيلي الصِّرف على ذكر أصل الكلمات في اللُّغة ذاتها، أو في غيرها من اللُّغات. أما المعجم التّاريخي فيحدد تاريخ كل تطوُّر وتحوُّل يصيب اللَّفظ ويسوق شواهد حقيقية مقتبسة من الوثائق الَّتي ظهر فيها اللَّفظ أول مرة وشواهد على جميع التَّغيرات والتَّحولات التّالية الَّتي تصيبه، بمعنى أن الفرق بينهما يكمن في اشتمال المعجم التّاريخي على الشَّواهد وخُلُوِّ المعجم التَّأثيلي من هذه الشَّواهد، وهكذا يمكن القول: إن كل معجم تاريخي هو معجم تأثيلي، وليس كل معجم تأثيلي هو معجم تاريخي.

الفصل الثّالث: المعجم التّاريخي للُّغة العربية

أشار المؤلِّف في بداية هذا الفصل إلى عدم امتلاكنا لمعجم تاريخي على الرَّغم من تناثر معلومات تاريخية عديدة في ثنايا تراثنا المعجمي السّابق والحالي، كالتَّفريق بين الكلمات الجاهلية والإسلامية، وبيان العامي والمولَّد والدَّخيل والمُعرَّب، والتَّمييز بين المعاني الحقيقية والمجازية، وغير هذا من العناصر التّاريخية في التَّعامل مع المفردات. ورأى أن ظهور معجم تاريخي

للُّغة العربية – وفي أي ثقافة أخرى – يرتبط بعوامل ثلاثة هي: الحاجة الماسَّة إلى المعجم التّاريخي، وموقف إيجابي من التَّغير اللُّغوي، ودِراسات في علم اللُّغة التّاريخي، مشيرًا إلى أن الموقف السَّلبي من دراسة اللُّغات أو اللَّهجات غير العربية الفصيحة المشتركة، وكذلك رفض دراسة التَّغير اللُّغوي باعتباره فسادًا وخطرًا على العربية أدَّيا إلى عدم وجود دراسات في علم اللُّغة التّاريخي عامة ودراسة التَّطور اللُّغوي خاصة. أضف إلى هذا أن معظم المعاجم الَّتي تم إنجازها في النِّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر والنِّصف الأول من القرن العشرين كانت في حقيقتها مجرد نقل من المعاجم القديمة وإن لم تخلُ من التَّهذيب والتَّنقيح والإضافة وإعادة ترتيب المواد. ولكن إنجاز معجم تاريخي يتطلب حشدًا كبيرًا من المختصين باللُّغات العروبية القديمة ودراسات خاصة بتاريخ الشُّعوب الَّتي تفاعلت مع شعوب هذه اللُّغات والعربية وعمليات الاقتراض والتَّقارض، وهذا يعني أن المعجم التّاريخي للُّغة العربية يحتاج إلى مؤسسة متكاملة تنكبُّ على هذا العمل وحده.

وعلى الرَّغم من الصُّعوبات الَّتي تواجه إنجاز هذا المشروع، لكن وجود هذا المعجم له أهمية كبيرة لما سيتصف به من خصائص، أهمها:

(١) تمكين القارئ من استيعاب معنى الكلمة وظلاله الدَّلالية الهامشية وإيحاءاته المختلفة بصورة عميقة.

(٢) إلقاء الضَّوء على ارتباطات الكلمة وعَلاقاتها اللُّغوية بغيرها من الكلمات.

(٣) أن يكون مثل هذا المعجم مرجعًا أساسيًّا في الشَّبكة العربية يستفيد منه الباحثون؛ بما يساعد على دراسة العربية دراسة علمية و وصفها وصفًا لسانيًّا دقيقًا.

(٤) بالإضافة إلى كونه سجلًا علميًّا لتاريخ العرب والمسلمين وكافة مَناحي حياتهم.

(٥) كما سيكون مصدرًا لتصنيف أنواع أخرى كثيرة من المعاجم. وكل هذا له انعكاساته الإيجابية على حركة البحث العلمي في الوطن العربي.

محاولات إعداد معجم تاريخي للُّغة العربية

١- معجم فيشر

شرع فيشر سنة ١٩٠٧ في تأليف معجم عربي ذي ملامح تاريخية، وبدأ العمل على جمع النُّصوص الأدبية العربية من القرن الثّاني قبل الإسلام حتى القرن الثّالث الهجري، ليستخلص منها دَلالات الألفاظ والتَّراكيب. ولما تلاقى هدف هذا العمل مع أهداف مجمع فؤاد الأول للُّغة العربية عرض فيشر أن يتبنى المَجمع هذا المشروع، فأقام فيشر بالقاهرة وأمده المجمع بالمساعدين المختصين والنَّفقات، غير أن ظروف الحرب العالمية الثّانية حالت دون إتمام هذا المشروع، ولكن مشروع فيشر لا يمثل معجمًا تاريخيًّا للُّغة العربية؛ ذلك أن ما تم جمعه من مواد مرتبط بفترة تاريخية محددة تتوقف عند القرن الثّالث الهجري، وأن هذه المواد تقتصر فقط على اللُّغة الأدبية، كما لم يستخدم تواريخ محدَّدة بالسَّنوات لتغير مدلول الألفاظ وتطوُّرها واستعاض عنها بأسماء أصحاب الشَّواهد.

٢- المعجم الكبير

على الرَّغم من أن المعجم الكبير الذي عمل عليه مَجمع اللُّغة العربية بالقاهرة أولى تأثيل اللُّفظ عناية خاصة؛ فذكر نظائره العروبية بعيدًا عن تحديد بداية التَّقارض، ورُتِّبت فيه معاني الألفاظ من الأصلي إلى الفرعي، ومن الحِسِّي إلى المعنوي، ومن الحقيقي إلى المجازي، وهو التَّرتيب الَّذي يجري

عليه التَّطور التّاريخي للدَّلالة عادة، غير أن هذا المعجم - بعكس ما رأى بعض الباحثين - لا يغني عن المعجم التّاريخي؛ ذلك أنه لم يستوفِ جميع المقوِّمات الأساسية للمجمع التّاريخي؛ إذ تم ترتيب شواهده بحسب انتمائها إلى نصوص معينة. بينما تُرتب شواهد المعجم التّاريخي على أساس تاريخي يبدأ بالشّاهد الأقدم فما بعده، أضف إلى هذا أن مواد هذا المعجم تم استقاؤها من المعاجم العربية الكبرى، ولم تستند إلى مدوَّنة لُغوية تضمُّ نصوصًا أصلية تُمثِّل اللُّغة في مختلف عصورها وأماكنها ومواضعها.

٣- معجم «المرجع» لعبد الله العلايلي

يعدُّ هذا المعجم تطبيقًا عمليًّا لنظرية الشَّيخ الَّتي قدمها في كتابه (مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد) حيث رسم خطة المعجم التّاريخي بحيث يكشف عن أساس المادة اللُّغوية وتطوُّرها الفيلولوجي والدَّلالي حتى وقتنا الحاضر عن طريق تتبع مسار اللَّفظ عبر التّاريخ، والبحث عن أصول الكلمات الدَّخيلة والمعرَّبة وتَعَقُّب تداولها في اللُّغات الأخرى. كما قَسَّم العلايلي تاريخ العربية إلى عصور وأرجع كل دلالة من دلالات اللَّفظ إلى عصر من هذه العصور أو فترة من فتراته، كما حاول التَّفريق بين المولَّد القديم، والمولَّد الحديث، والدَّخيل بتعريب قديم، والدَّخيل بتعريب حديث، كما رتَّب معاني الألفاظ من الأقدم إلى الأحدث. وعلى الرَّغم من أصالة فكرة هذا المعجم تجده بعيدًا عن المعجم التّاريخي المنشود لثانوية المصادر الَّتي اعتمد عليها في البناء، ويُذْكَر هنا أن الشَّيخ العلايلي لم يصف معجمه هذا بالتّاريخي.

٤- المشروع التُّونسي للمعجم التّاريخي العربي

في عام ١٩٩٠ انطلق مشروع وضع معجم تاريخي للُّغة العربية بمبادرة

من كلية الآداب ومركز الدِّراسات الاقتصادية والاجتماعية وجمعية المعجمية العربية بتونس، و وضعت خطته العلمية، وبدأ جمع الشَّواهد وسياقات من النُّصوص الشِّعرية الجاهلية بوصفها مرحلة أولى في إنجاز هذا العمل، ولكن العمل توقف ثم أُعيد سنة ١٩٩٦، وإلى الآن تظل هذه المواد ناقصة ومحدودة، وإن كان اكتمال العمل سيسفر عن معجم تاريخي جيد بجانب معجم اتحاد المجامع اللُّغوية.

٥- اتحاد المجامع اللُّغوية والعلمية العربية

في سنة ١٩٩٨ وافق الاتحاد على مشروع المعجم التّاريخي وحتى عام ٢٠٠٤ ظل التَّردد يخيم على قرارات الاتحاد، حتى كانت إعادة تشكيل لجنة المعجم التّاريخي للنَّظر في أفضل الوسائل لتأليفه. وفي سنة ٢٠٠٦ أقر الاتحاد قيام هيئة المعجم التّاريخي للُّغة العربية، وكان مؤلِّف هذا الكتاب - موضوع العرض - أحد أبرز أعضاء اللجنة؛ إذ كان مسئولًا عن وضع الخطة العلمية لتأليف هذا المعجم، وأنجز الخطة في حينها، وتم قَبولها، ثم قَدَّمها كذلك إلى ندوة الشّارقة حول المعجم التّاريخي في نهاية سنة ٢٠٠٦.

وكان الغرض من وراء هذه الخُطَّة أن تكون دليلًا يستخدمه العاملون على تأليف هذا المعجم بحيث تبيِّن طريقة جمع المواد اللُّغوية في مدوَّنة حاسوبية، وكيفية اختيار الشَّواهد منها، وانتقاء ما يدخل منها في المعجم، و وظائفها داخل هذا المعجم، وخصائص الشَّواهد الجيدة، وشروط استخدامها، وكذا جميع الخطوات العملية الأساسية في بناء المعجم المنشود.

٦- مشروع معجم الدَّوحة التّاريخي للُّغة العربية

في مايو ٢٠١٣ تم إطلاق مؤسسة علمية تابعة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السِّياسات تهتم ببناء مدوَّنة لُغوية عربية شاملة لإنجاز المعجم

التّاريخي خلال ١٥ سنة، وانعقد المجلس العِلمي لها في شهر مايو ٢٠١٣، وكان صاحب هذا الكتاب أحد أعضاء هذا المجلس، ولا يزال هذا المجلس يوالي جلساته حتى يوم كتابة هذا العرض.

الفصل الرّابع: الكتابة العربية ركيزة صناعة المعجم التّاريخي

عالج المؤلِّف في هذا الفصل الكتابة العربية وذلك لصلة وثيقة تربط الأمور الخاصة بالكتابة العربية والعُروبية بصناعة المعجم المنشود؛ ذلك أن مصادر مدوَّنة هذا المعجم من نقوش وبرديات ومخطوطات وكتب مطبوعة وغيرها مكتوبة بالخط العربي في شكل معين من أشكاله وفي عصر من عصوره ومكان من أمكنته، فعرض الفصل لأنواع الخطوط واللُّغات العروبية والخطوط الَّتي كُتبت بها، ثم للكتابة العربية وطُرق ترتيب حروفها، ثم رحلة الخط العربي في شريان الثَّقافة العربية واستخداماته المختلفة، كل هذا لأن المعجم المنشود معنيٌّ بتسجيل تلك الأبعاد الفنية والثَّقافية للحروف ومصطلحاتها إلى جانب ضرورة معرفة هذه الخطوط في قراءة النُّقوش الَّتي تشكل مصدرًا مهمًّا من مصادر هذا المعجم.

الفصل الخامس: خطوات تصنيف المعجم التّاريخي للُّغة العربية

شدَّد المؤلِّف في بداية هذا الفصل على أن الجمع الجيد والوضع المُحكَم من أهم مراحل صناعة المعجم بصورة عامة؛ لذا أشار إلى أن المعجم التّاريخي لا بد أن يمر تأليفه بالخطوات الرَّئيسة التّالية:

- تحديد أهداف المعجم
- تحديد عصور تطوُّر اللُّغة
- إعداد قائمة بالمصادر والمراجع الموثَّقة
- إنشاء مدوَّنة لُغوية محوسبة

- تكوين قاعدة شواهد موثَّقة على مداخل المعجم
- تحرير مواد المعجم
- ترتيب المداخل
- المقدمة والمراجع
- نشر المعجم وتسويقه

وإذا كانت هذه الخطوات سوف يتم تفصيلها في فصل لاحق، فإن بقية هذا الفصل تناولت العاملين في مشروع المعجم التّاريخي، وذلك استشعارًا منه بمدى صعوبة توفير العاملين في مثل هذا المشروع، فقسَّم العاملين في مثل هذا المشروع على فئات هي:

- العاملون في إنشاء المدوَّنة اللُّغوية المحوسبة من لُغويين وحاسوبيين
- الباحثون في الدِّراسات اللُّغوية التَّأثيلية والتّاريخية
- الباحثون المتخصِّصون في المجالات المختلفة في العلوم والآداب والفنون
- المستشارون من المستشرقين والمتخصِّصين في العَلاقات الحضارية واللُّغوية بين العربية ولغاتهم القومية
- المُحرِّرون ويتولَّون تحرير مواد المعجم
- المصحِّحون والمراجعون
- التِّقنيون والمطبعيون والإعلاميون ممن يقومون بإخراج المعجم في شكله الورقي والإلكتروني

ويحتاج بعض هؤلاء إلى دورات تدريبية في حقول البحث المعجمي وفي ميادين الممارسة المعجمية مثل جمع البيانات والتَّحرير والنَّشر.

واتخذ المؤلِّف من مشروع المعجم البريطاني (معجم أكسفورد للُّغة

الإنجليزية) نموذجًا لتصنيف العاملين كما بيَّنه الدُّكتور داود حلمي السَّيد، فعلى **مستوى التَّخطيط** هناك لجان منها:

- لجنة أدبية تاريخية
- لجنة تأثيلية متخصِّصة في علم اللُّغة المقارن
- لجنة للكلمات الجديدة غير المسجَّلة في المعاجم السّابقة
- لجنة تجارية للتَّفاوض مع ناشر المعجم حول تفاصيل النَّشر
- لجنة لوضع التَّوجيهات والإرشادات والقواعد الَّتي ينبغي أن يتبعها جامعو مواد المعجم

أما على **مستوى جمع المادة** فقد اعتمد معجم أكسفورد على القرّاء المتطوعين الذين قرأوا آلاف الكتب الإنجليزية المنشورة خلال عصور مختلفة لاستخراج الشَّواهد الخاصة بكلمات استُعملت بطريقة مختلفة في مبناها أو معناها أو استعمالها، ودوَّنوا هذه الشَّواهد على بطاقات مع إيراد شاهد لكل كلمة، ولكن في العصر الحديث تعتمد المعاجم على مُدوَّنة نَصِّيَّة محوسبة.

وعلى **مستوى رئاسة تحرير المعجم** فقد تولاها عدد كبير بداية من هربرت كوليردج وصولًا إلى جيمس موري الَّذي اقترح أن يكون للمعجم أربعة رؤساء تحرير، ولكل مساعدوه وفريقه من المحررين والمساعدين.

أما على **مستوى مساعدي رئيس التَّحرير** فقد بلغ عدد مساعدي رؤساء التَّحرير ١٢٧ مساعدًا كان بعضهم من المتخصِّصين في اللُّغات والتّاريخ والقانون والتَّأثيل.

الفصل السَّادس: أهداف المعجم التّاريخي للُّغة العربية

نَصَّت المادة الرّابعة في النِّظام الأساسي لهيئة المعجم التّاريخي على أن

الهدف من إنشائها هو (إنجاز معجم تاريخي لألفاظ اللُّغة العربية واستعمالاتها، لبيان ما طرأ على مبانيها ومعانيها من تغير عبر الزَّمان والمكان)، ولكن هذا الهدف يثير حسب المؤلِّف مجموعة من التَّساؤلات من قبيل:

- ما المقصود بالمعجم التّاريخي؟
- وأية لغة عربية؟
- وفي أي زمان استُعملت؟
- وفي أية منطقة جغرافية؟
- وفي أي موضوع من مواضيع المعرفة؟
- وما التغير المقصود؟ وما أنواعه؟

وللإجابة عن هذه التَّساؤلات اقترح المؤلِّف إجمال الإجابة عن هذه الأسئلة في خمس مسائل مهمة هي: **المسألة اللُّغوية**: وهي تتمثل في معرفة اللُّغة العربية المطلوب التَّعامل معها في مرحلتي الجمع والوضع، وأكد سعادته على أن المقصود باللُّغة العربية هو اللُّغة العربية الفصيحة المشتركة لما تمتاز به من الثَّبات النِّسبي، وشدَّد كذلك على أن اقتصار مدوَّنة المعجم التّاريخي على نصوص العربية الفصيحة المشتركة لا يخرج المدوَّنة والمعجم من دائرة الوصفية ولا يصمهما بالمعيارية، كما بيَّن شمولية هذه اللُّغة بحيث يقصد بها جميع الألفاظ الفصيحة منذ ظهورها قبل الإسلام حتى الآن، وهذا يعني أن المعجم سوف يشتمل على المهمل والمتروك والحوشي والمستنكَر والغريب والنّادر؛ إذ إن المعجم التّاريخي من حيث أهدافه الشُّمولية أقرب إلى هدف معجم العين للخليل، وهذا يجعل المسئولين يجابهون صعوبة تحديد فصاحة الكلمات الَّتي لم تشتمل عليها المعاجم العربية أو الكلمات المسجَّلة وجرت عادة المستعمل على تحاشيها كما لو كانت عامية.

المسألة التّاريخية: وتتناول جانبين: الأول هو عصور اللُّغة؛ أي: تقسيم اللُّغة العربية إلى عصور، والثّاني هو تأريخ الألفاظ بحيث يوثِّق المعجم تاريخ كل لفظ في «شكله ومعناه واستعماله» ممثلًا له بعدد من الشَّواهد، وهذا يستدعي تحري الدِّقة في مواد المدوَّنة، وصحة نسبة الشّاهد إلى قائليه وإدراج المتفق على نسبته بدلًا من الشّاهد المختلف على نسبته إذا تساوى الشّاهدان في القيمة التّاريخية والبلاغية.

المسألة الجغرافية: وهي تخصُّ النِّطاق المكاني لجميع نصوص اللُّغة الَّتي تُشكِّل مادة المعجم، ومع اتِّساع رقعة اللُّغة العربية وانتشارها الواسع في مختلف بلدان العالم تزداد صعوبة إعداد مدوَّنة لغوية متوازنة، ويجعل تصنيف معجم تاريخي جيد عملًا فيه كثير من التَّحدي.

المسألة الموضوعية: وتهتمُّ بنوع الموضوعات والمجالات العلمية؛ إذ يجب على المعجم المنشود عدم الاقتصار على اللُّغة الأدبية، بل يجب أن يشتمل على لُغة العلوم والفنون المختلفة بحيث يضم المعجم الألفاظ العامة والخاصة والعامة الخاصة، هذا بالإضافة إلى إمكانية اشتماله على أسماء الأعلام وجميع المصطلحات العلمية الأساسية الشّائعة.

مسألة التَّغير: إن المعجم المنشود معنيٌّ بالتَّغيُّر في جميع صوره وأشكاله وأنواعه؛ ومن ثمَّ يجب أن يسجِّلَ تغير اللَّفظ في المبنى والمعنى؛ فيعرض جميع التَّغيرات الَّتي تطرأ على الأرقام والحروف والكلمات في المشرق والمغرب في قسم خاص بالكتابة العربية، وفي المداخل الخاصة بتلك الحروف والأرقام والكلمات موضع التَّغير، بمعنى أن كل ما هو قياسي عام يُذكَر في المقدمة، وكل ما هو سماعي خاص أو شاذّ يُذكَر في مادة المعجم المتعلقة باللَّفظ، على أن يتتبع التَّغيرات من الأقدم إلى الأحدث فالأحدث.

الفصل السّابع: تحديد عصور تاريخ اللُّغة العربية

لعل من أهم خُطوات تصنيف المعجم التّاريخي المنشود تقسيم اللُّغة العربية إلى مراحل وفترات أو عصور قَصْدَ بيان التَّغيرات الَّتي تصيب ألفاظها ونسبة كل تغير إلى مرحلته التّاريخية. وقد جرت عادة اللِّسانيين خاصة المشتغلين باللِّسانيات التّاريخية على تقسيم تاريخ لغة ما على عصور أو فترات وَفْقَ سِمات معينة، فجاءت الفرنسية والإنجليزية والعبرية مقسَّمة على عصور ثلاثة هي (القديم والوسيط والحديث)، أما اللُّغة العربية فقُسِّمت عصورها على أقسام مختلفة، فهناك تقسيم بروكلمان، وهو على مرحلتين: الأولى تضمُّ العصر السّابق على ظهور الإسلام، وعصر الرَّسول صلى اللَّه عليه وسلم، وعصر الدَّولة الأُموية، والمرحلة الثّانية تنقسم إلى العصر العباسي، وعصر الازدهار المتأخر للأدب، والعصر المغولي، والعصر العثماني، والعصر الحديث. ولكن هذا التَّقسيم يهتم بتاريخ الأدب العربي وليس باللُّغة العربية، أما تقسيم جرجي زيدان فيبدأ بالعصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام، والعصر الأموي، والعصر العباسي، ثم العصر المغولي والعصر العثماني، وأخيرًا عصر النَّهضة.

ولقائل أن يقول: إن ثمة تقسيمات مهمة للعصور الَّتي مرت بها العربية تناولها المستشرقون أمثال بلاو وهاري وڤك وشفتيل وغيرهم لم أجد لها عرضًا في هذا الفصل، ولعل السَّبب في هذا يكمن في أن التَّقسيم الذي اعتمدته هيئة المعجم التّاريخي تقسيم جيد وَفْقَ الأهداف المتوخّاة من وضع المعجم التّاريخي، هذا بالإضافة إلى أن تقسيمات المستشرقين غير متفق عليها، وعليها الكثير من الملاحظات، خاصة ما يُعرَف بالعربية الوسيطة؛ لذا بدأت هيئة المعجم التّاريخي بالعصر الجاهلي، ثم الإسلامي، فالعباسي،

فالوسيط، فالحديث حتى بداية تأليف المعجم، ويلحق تاريخ اللُّغة العربية في الأندلس بما يوازيه من العصور السّابقة.

الفصل الثّامن: مصادر المعجم التّاريخي للُّغة العربية

- المصادر الأساسية

المصادر الأساسية في بناء المعجم التّاريخي هي تلك النُّصوص المدوَّنة المكتوبة في صورة نقوش أو برديات أو مخطوطات ورقية أو كتب مطبوعة أو إلكترونية أصيلة أو مترجمة من مختلف الأماكن الجغرافية الَّتي استُخدمت فيها العربية وفي متنوع الموضوعات الأدبية والعلمية والفنية، لا سيما تلك الَّتي يمكن تحديد تاريخها أو عصرها.

وقد سرد الفصل بتفصيل دقيق أنواع هذه المصادر؛ فبدأ بالنُّقوش موضحًا أنها - على نُدْرتها - من المصادر الأساسية الَّتي تُعيننا على رصد الألفاظ العربية القديمة وتحديد دلالاتها في مراحلها الأولى، والوقوف على تطوُّرها، ومعرفة ما استمر منها مبيِّنًا أن دراسة هذه النُّقوش تستدعي معرفة اللُّغات العروبية القديمة، وأنواع خطوطها، وتطوُّر الكتابة العربية. ثم تعَرَّض للبرديات موضحًا تاريخها، وبيَّن أن أهميتها تكمن في أن نصوصها تمثِّل بداية التَّدوين في الحضارة الإسلامية بحيث تمكننا من الوقوف على أقدم الأشكال الكتابية والبنيات اللُّغوية والاستعمالات اللَّفظية بما يساعد على معرفة التَّغير الَّذي أصابها. أما الكتب المخطوطة فهي الَّتي كُتبت باللُّغة العربية ونُسخت بالحرف العربي، وهي تحفظ لنا كثيرًا من الظَّواهر اللُّغوية الدَّالة على التَّغير اللُّغوي الإملائي واللَّفظي والنَّحوي والدَّلالي والأسلوبي. أما فيما يخص الدَّوريات فأكد سعادته على ضرورة توجيه الاهتمام إلى عدد من المجلّات العربية لقيمتها التّاريخية أو لسعة انتشارها وتأثيرها في الكتابة العربية أو لقيمتها

التَّخصصية. ثم ذكر أن البرامج الإذاعية والتِّليڤزيونية تمدُّنا باستعمالات قد لا نجدها في المصادر المطبوعة، كذلك تمدنا الكتب المطبوعة المُترجَمة باستعمالات خاصة لا نجدها في الكتب الأخرى. كما أكد على أهمية المواقع العربية على الشّابكة (الإنترنت) و وثائق منظمة الأمم المتحدة ومنظوماتها الدَّولية المكتوبة باللُّغة العربية.

الفصل التاسع: مصادر المعجم التّاريخي للُّغة العربية

- المصادر الثّانوية

المصادر الثّانوية هي تلك الكُتب الَّتي تصف اللُّغة أو تُقَعِّدها أو تَشرحها أو تتحدث عنها، مثل كتب القواعد النَّحوية أو المعاجم، ويُستفاد منها في سَدِّ الفجوات في المصادر الأساسية وقد تتضمن من الاستعمالات اللُّغوية ما لا نجده في مصادرنا الأولية. ولهذه المصادر أصناف عديدة جعل المؤلِّف من أهمها: المعاجم العربية أُحادية اللُّغة، والمعاجم العربية ثُنائية اللُّغة أو المتعددة اللُّغة، ودوائر المعارف والموسوعات المختلفة، وكتب النَّحو والصَّرف والبلاغة، ودراسات اللُّغات العروبية المختلفة، والبحوث التَّأثيلية والدِّراسات اللُّغوية المقارنة، والدِّراسات التَّمهيدية للمعجم التّاريخي، وكُتب التَّفسير والشَّرح، وعدَّدَ المؤلِّف نماذج كل صِنف من هذه المصادر.

الفصل العاشر: لسِانيات المُدوَّنة الحاسوبية وصناعة المعجم التّاريخي للغة العربية

عرض هذا الفصل لتعريف المُدوَّنة وتاريخ استخدام المُدوَّنات في البحث اللُّغوي العربي القديم خاصة البحث المعجمي، والتّاريخ المعاصر للِّسانيات المُدوَّنات، وأنواع المُدوَّنات، وخصائص المُدوَّنة الحاسوبية ومجالات استخدامها وأهدافها، والمهم في هذا الفصل هو الحديث الخاص

ببناء المُدوَّنة، كذلك العرض الخاص بالأسباب القابعة وراء صعوبة إنشاء مُدوَّنة باللُّغة العربية.

ثم تحدث عن المُدوَّنة وأزمة المعجم العربي المعاصر حيث تجلَّت مظاهر هذه الأزمة في انفصام المعجم العربي عن واقعه بحيث لم يعد يصف اللُّغة العربية الفصيحة كما يستعملها أهلها اليوم لتخلّي المُعجميّين عن جمع النُّصوص ودِراستها وتحليلها لاختيار مداخلهم وكتابة موادهم، كما تجلَّت في الاكتفاء بتسجيل معاني المفردات والخلط في ترتيبها، مما يُعَجِّل بضرورة إرساء تصنيف المعجم العربي على مُدوَّنة وافية إذا أردنا أن يمثل هذا المعجم اللُّغة تمثيلًا صادقًا.

وتلا هذا حديث عن المُدوَّنة وصناعة المعجم المختص في عرض وافٍ لعلم المصطلح النَّصِّي الَّذي ينطلق من مُدوَّنة مُزْدانة بنصوص علمية يتولى المصطلحي فحصها بعناية واستخلاص المصطلحات وسياقاتها، ومن المعلومات والنَّتائج المهمة الَّتي يمكن استخلاصها من هذه المُدوَّنات؛ **المعلومات الإحصائية** الخاصة بنسبة مصطلح معين في النُّصوص العامة، وفي النُّصوص الخاصة بالعلم الذي يستخدم هذا المصطلح ونسبته كذلك في مجموع المصطلحات العلمية، **المعلومات الخاصة بتاريخ العلوم** من طريق فحص المصطلح الواحد في عصور مختلفة ومراقبة خصائص مفهومه، أو عن طريق فحص المفهوم الواحد ومجموعة المصطلحات المعبِّرة عنه، كذلك **المعلومات الخاصة بعيوب المصطلح** مثل: الازدواجية المصطلحية، والاشتراك اللَّفظي المصطلحي، والتَّرادف المصطلحي، وكيفية التَّخلص من هذه العيوب، كذلك هناك المعلومات الخاصة بشكل المصطلح.

إن خُلاصة هذا الفصل مؤداها أن مُدوَّنة المعجم التّاريخي للُّغة العربية

مُدوَّنة حاسوبية تاريخية أُحادية اللُّغة تضمُّ نصوصًا مكتوبة باللُّغة العربية الفصيحة المشتركة في جميع الأقطار يبلغ عدد كلماتها حوالى مليار كلمة، وتُنتقى مصادرها بصورة متوازنة لتمثيل جميع مجالات المعرفة وجميع مناطق استعمال اللُّغة العربية خلال عصورها المختلفة.

أما عن اقتراحات المؤلِّف المتعلقة ببنية المُدوَّنة العربية الصّالحة لتأليف هذا المعجم المنشود فتكمن فيما يلي:

١ - **التَّوزيع الموضوعي لنصوص المُدوَّنة**: بمعنى أن تتألف المُدوَّنة من بليون كلمة تتوزع على عشرين مجالًا موضوعيًّا، وتُسمى نصوص كل مجال من هذه المجالات مُدوَّنة فرعية، وتقسم كل مُدوَّنة فرعية إلى مجموعة من المجالات الموضوعية المتخصِّصة.

٢ - **التَّوزيع التّاريخي لنصوص المُدوَّنة**: أن تُقَسَّم تركيبة المُدوَّنة من حيث العصور على الوجه التّالي: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والعصر العباسي، والعصر الوسيط، والعصر الحديث حتى تاريخ الانتهاء من وضع المعجم.

٣- **التَّوزيع الجغرافي لنصوص المُدوَّنة**: اقترح المؤلِّف أن تكون التَّركيبة التَّقريبية من حيثُ التَّوزيع الجغرافي مُقسَّمة على النَّحو التّالي: الجزيرة العربية بما فيها اليمن، والعراق والشّام، ومصر والسّودان وليبيا، ثم المغرب العربي والأندلس، أما النُّصوص العربية لمؤلِّفين أفارقة أو آسيويين أو أوربيين فتلحق بالمنطقة الأقرب جغرافيًّا إلى المؤلِّف.

ويلاحظ المؤلِّف أن عملية جمع نصوص المُدوَّنة على هذه الصورة تُمثِّل توسُّعًا في مفهوم الفصاحة الذي كان محدود الدائرة حيث قصره القدامى على

عصر الاحتجاج أو التَّدوين وعلى جزيرة العرب وتُخومها وعلى نصوص بعينها.

الفصل الحادي عشر: الشَّواهد في صِناعة المعجم التّاريخي

تُعدُّ الشَّواهد برأي المؤلِّف قلب المعجم التّاريخي؛ إذ تصدر جميع مُكوِّنات مواد هذا المعجم عن الشَّواهد وترتكز عليها؛ فمنها نختار كلمات المداخل الرَّئيسة، وكلمات المداخل الفرعية، ونتوصل منها إلى القواعد الصَّوتية والصَّرفية للكلمات، ونعطي المعلومات الصَّرفية والنَّحوية والأسلوبية بناء على كيفية استعمالها داخل الشَّواهد.

وبعد حديث مُستفيض عن طريقة جمع الشَّواهد وخصائص الشّاهد الجيد وشروط استخدامها تحدث المؤلِّف عما يُسمى قاعدة الشَّواهد، وهي قاعدة معلومات مُحوسَبة تضم جملًا نثرية أو شعرية بوصفها أمثلة فردية على ألفاظ معينة في سياقاتها الطَّبيعية، وتُخزَّن هذه الأمثلة المقتطعة من نصوصها على حاسوب؛ لتمكِّن الباحث ومُحرِّر المعجم من اختيار الشَّواهد الَّتي توضِّح تطور معاني الألفاظ واستعمالاتها عبر العصور، مشيرًا إلى أن معجم أكسفورد للُّغة الإنجليزية لا يمتلك مُدوَّنة لُغوية، بل يتوفر على قاعدة شواهد، ولكن ثمة اختلافات مهمة بين قاعدة الشَّواهد والمُدوَّنة؛ فالمُدوَّنة أشمل وأصدق تمثيلًا للُّغة؛ لأن بناء قاعدة الشَّواهد الغرض منه تمثيل معنى اللَّفظ واستعماله بأقدم نَصٍّ أو بأقصر سياق، ولم يتم اختيار مادة قاعدة الشَّواهد من أجل تمثيل اللُّغة بُرمَّتها.

أما عن الفرق بين شواهد المعجم التّاريخي العامّ وشواهد المعجم التّاريخي المختص فيكمن في عدد الشّواهد وتوزيعها الزَّمني، فالمعجم التّاريخي العامّ يضمُّ مداخل تشتمل على شواهد تنتمي إلى فترات زمنية

متباعدة لا تساعدنا على تَلَمُّسِ التَّغيرات الخاصة بمصطلح معين. أما المعجم التّاريخي المختص، فإنه يخصص مساحة أكبر للشَّواهد الَّتي تنتمي إلى فترات زمنية متقاربة تعين على التَّعمق في إدراك التَّحولات المفهومية الَّتي طرأت على المصطلحات المستعملة في ذلك الموضوع.

الفصل الثّاني عشر: ترتيب مواد المعجم التّاريخي

بعد عرض قضية التَّرتيب وأنواعه (الدّاخلي والخارجي) داخل المعاجم المختلفة، تحدث المؤلِّف عن التَّرتيب الدّاخلي والخارجي في المعجم التّاريخي، واقترح أن يكون ترتيب المعجم التّاريخي هو التَّرتيب الذي استخدمه الزَّمخشري في معجم «أساس البلاغة» والفيومي في «المصباح المنير»؛ إذ تبناه وطوره مجمع اللُّغة العربية في معاجمه؛ «معجم ألفاظ القرآن الكريم»، و«المعجم الوسيط»، و«المعجم الكبير»، واعتمده المؤلِّف كذلك في المعجم العربي الأساسي، هذا التَّرتيب يقتضي الخطوات التالية:

١- تُرتَّب **المواد** حسب أصولها وَفْقَ الحرف الأول فالثّاني فالثّالث من حروف الهجاء.

٢- تُرتَّب **المعاني الكلية** للجذر متدِّرجة من الأصلي إلى الفرعي، ومن الحِسِّي إلى المعنوي، ومن الحقيقي إلى المجازي، ومن المألوف إلى الغريب، أما إذا ثبت أن التَّرتيب التّاريخي يخالف ذلك، فينبغي الالتزام في المعجم التّاريخي بالتَّرتيب التّاريخي لهذه المعاني.

٣- تُرتَّب **الأفعال** قبل الأسماء في المادة المعجمية الواحدة ويقدم الثُّلاثي على الرُّباعي، والمجرد على المزيد، واللّازم على المُتعدّي طالما لم تثبت أقدمية الاسم.

٤- تُذكَر **المصادر** بعد الفعل حسب ظهورها التّاريخي، ويُغْفَل القياسي منها بحيث لا نضطر إلى إثقال المعجم بذكرها بعد كل مادة، مع ضرورة أن نذكر في مقدمة المعجم الملامح الرَّئيسة لقواعد العربية وخاصة المصادر.

٥- أما **المُشتقّات** فلا تُذكَر بعد الفعل لأنها قياسية إلا إذا شاركها غير القياسي حتى لا يوهم إغفال القياسي عدم جوازه، ولا يفرد في مرتبة الأسماء إلا ما تضمَّن معنى زائدًا لم يرد في الفعل، ويفرد أفعل التَّفضيل إذا جاء على غير بابه.

٦- وبخصوص **الأسماء** فيذكر الاسم المشتق والجامد بعد الأفعال مرتبة ترتيبًا ألفبائيًّا، ويُذكَر الاسم الملحق بالرُّباعي في ترتيبه الحرفي؛ ليُحال على مادته الأصلية الَّتي يفسر فيها، وما اختلف في أصله الاشتقاقي يُذكَر في ترتيبه الهجائي ويُشار إلى المواد المُشتقِّ منها، أما الأسماء الَّتي وقع الإبدال في بعض حروفها فتُذكَر في رسمها المبدل محالة على مادتها قبل الإبدال، وما دخله القلب من الأسماء فيذكر في مادته الأصلية وترتيبها مع الإحالة على مادتها الأصلية، أما بالنِّسبة للمُعربات فتذكر في ترتيبها الحرفي وفي الأصل الَّذي يظنُّ أنها مشتقة منه، أما الجموع فتذكر جموع التَّكسير ولا يذكر من جموع السَّلامة إلا ما نُصّ عليه، وتورد الجموع لاحقة لمعاني مفرداتها.

وينبغي أن يلتزم في هذا كله بالتَّرتيب الزَّمني لظهور الصِّيغ على ضوء الشَّواهد الَّتي توفِّرُها مُدوَّنة المعجم، وإذا لم تدلنا الشَّواهد على السَّبق الزَّمني لصيغة من الصِّيغ، فإننا نأخذ بالتَّرتيب المنطقي.

الفصل الثّالث عشر: أنواع المعلومات في المعجم التّاريخي

يركِّز هذا الفصل على عشرة أنواع من المعلومات الَّتي يجب أن تتكون

منها مواد المعجم التّاريخي، وهذه الأنواع هي:

١- الجذر ومعناه أو معانيه الكلية

٢- المداخل الرَّئيسة والمداخل الفرعية

٣- المعلومات التَّأثيلية

٤- التَّطور الشَّكلي للفظ (نطقه وتهجيته)

٥- المعلومات الصَّرفية والنَّحوية

٦- المعلومات الدَّلالية

٧- معلومات عن الاستعمال

٨- المعلومات الإحصائية

٩- ملاحظات محرر المعجم وتعليقاته

هذا بالإضافة إلى مُكوَّن يهم المعجم بُرمَّته وهو:

١٠- المقدمة والمصادر الأولية والثَّانوية

وتناول الفصل بعض هذه الأنواع بالشَّرح والأمثلة والتَّعليق مع التَّأكيد على ضوابط التَّأثيل في المعاجم الحديثة، ومعلومات الاستعمال الَّتي فرعها إلى:

* **مستويات الاستعمال** (شعري- عامي- لغة راقية- لغة بذيئة ... إلخ)

* **الاستعمال الجغرافي** (أي الَّتي يُستعمل فيها اللَّفظ بمعنى معين)

* **الاستعمال التّاريخي** (سنة ظهور اللَّفظ أو المعنى أو العصر الَّذي ينتمي إليه)

* **الاستعمال الموضوعي** (المجال العلمي أو المهني للفظ)

* **الاستعمال الأسلوبي** (التَّفسير الَّذي يعطى للفظ: مجازي، تهكمي، .... إلخ)

كذلك أورد المؤلِّف عددًا من النَّتائج المهمة الَّتي يتيحها استخدام علم اللُّغة الحاسوبي في صناعة المعجم التّاريخي فيما يخصُّ المعلومات الإحصائية، و وضع سعادته تصوره الخاص عن الصورة الَّتي يمكن أن تكون عليها مقدمة المعجم التّاريخي.

الفصل الرّابع عشر: التَّحليل الدَّلالي

في بداية هذا الفصل يقرِّر المؤلِّف أن محرر المعجم بعد أن يحدد مداخله المختلفة استنادًا إلى المُدوَّنة يقدم المعلومات المختلفة عن كل مدخل، ومنها المعلومات الدَّلالية وعلى رأسها التَّعريف، ولكي يصل المحرر إلى تعريف أقرب إلى الدِّقة يتوجب عليه القيام بالتَّحليل الدَّلالي للَّفظ للوقوف على معناه أو معانيه في النُّصوص الَّتي ورد فيها؛ ليقف على التَّغير الذي طرأ على معناه وعلى المعاني الجديدة الَّتي اكتسبها في كل عصر. وبعد هذه التَّقْدِمة شرع المؤلِّف في بيان مناهج التَّحليل الدَّلالي في المدارس اللِّسانية، كالتَّحليل السِّياقي وتحليل الحقول الدَّلالية وتحليل السِّمات الدَّلالية، ثم أردف سعادته هذا المنهج بمنهج عربي أطلق عليه «التَّحليل الاشتقاقي» وهو ما سأتوقف عنده في هذا العرض؛ إذ استوحى المؤلِّف هذا المنهج من فكرة الاشتقاق الكبير عند ابن جني وعَدَّلها بنظرية ابن فارس عن المعاني الأصلية في الجذور، وبحسب هذا المنهج يمكن اعتبار معنى اللَّفظ هو حاصل جمع ثلاثة معانٍ هي:

١- المعنى الأصلي للجذر

٢- المعنى العامّ للأسرة اللَّفظية الَّتي ينتمي إليها ذلك اللَّفظ

٣- معنى الوزن الصَّرفي للَّفظ

وعليه لكل جذر معنًى أو مجموعة من المعاني العامة، ولكل معنًى أسرته

اللَّفظية، أي: مجموع الألفاظ الَّتي تُصاغ وَفْق وزن صرفي معين، ولكل معنًى صرفي معنًى محدد في إطار المعنى العام للأسرة اللَّفظية، والمعنى العام للجذر لا يتطابق تمامًا مع معنى الأسرة الخاص.

الفصل الخامس عشر: التَّعريف في المعجم التّاريخي

لا ريب أن التَّعريف الجيد مقوم مهم من مقومات العمل المعجمي، ولأهمية التَّعريف في المعجم بأنواعه المختلفة أفرد المؤلِّف هذا الفصل ليعرفنا بحد التَّعريف وأنواعه عارضًا بصورة مفصلة للتَّعريف اللُّغوي والتَّعريف المنطقي وأنواعه، ثم تَعرَّضَ للتَّعريف الاصطلاحي.

وفيما يخصُّ التَّعريف داخل المعجم التّاريخي نَبَّهَ المؤلِّف إلى أن التَّعريف هو مكوَّن واحد من مكوَّنات أي مدخل، فالمدخل إذا كان مصطلحًا علميًّا يمكن أن يتألف من :

(١) **المكوّن المفهومي**، وهو تعريف المفهوم العلمي أو التِّقني.

(٢) **المكوّن اللُّغوي**، ويتضمن وصفًا لبنية المصطلح الصَّوتية والصَّرفية والنَّحوية، كما يتضمن عددًا من شواهد استعمال المصطلح مُقتبَسة عن نصوص علمية، كذا يتضمن عَلاقة هذا المصطلح بغيره من المصطلحات ذات الصِّلة.

(٣) **المكوّن التّاريخي**، ويشتمل على المعلومات التّاريخية بما فيها التَّأثيلية الَّتي تُبيِّنُ أصله وتعرض لتطوُّره.

(٤) **المكوّن التَّوثيقي**، ويتألف من المصادر الَّتي استقيت منها المادة بالإضافة إلى معلومات إحصائية مثل نسبة تَكرار المصطلح في النُّصوص العلمية.

ثم عرض لشروط التَّعريف الجيد (الوضوح - الإيجاز - التَّساوي -

الإيجاب – الخُلُوّ من اللَّغو) وعرض لشروطه إذا كان مرتبطًا بألفاظ تشكل مجالًا دلاليًّا منها (التَّرتيب والرَّبط – التَّناظر والتَّماثل – الإدراج والاندراج – التَّقسيم والتَّفريع والتَّشعيب – المتصاحبات اللُّغوية)، ثم ذكر عيوب التَّعريف الواجب تحاشيها ومنها (الحشو – السَّطحية – تعريف المجهول بالمجهول – الوقوع في الدَّور والتَّسلسل – الإحالة المتكررة – عدم استخدام المميزات الدَّلالية لتخصيص معنى المشترك اللَّفظي).

أما بعد، فهذا الكتاب يُعدُّ من الكتب الرّائدة في مجاله؛ إذ أتاح لنا ولجميع المتخصِّصين في مجال المعجمية بصورة عامة والمهتمين بصناعة المعجم التّاريخي بصفة خاصة أول كتاب يتناول خطة علمية واضحة تبيِّن الخطوط النَّظرية والإجرائية لوضع المعجم المنشود. وجاء هذا الكتاب مشفوعًا بالعديد من الأمثلة التَّطبيقية من أعمال معجمية سابقة ومعاصرة تخصُّ اللُّغة العربية أو غيرها من اللُّغات الَّتي أنجزت معجمها التّاريخي لمناقشتها والوصول بهذه المناقشة إلى إجراء مهم في تنفيذ مشروع المعجم التّاريخي. هذا بالإضافة إلى العديد من الملاحق الَّتي أعقبت فصولًا كثيرة من فصول هذا الكتاب كان من أهمها الملاحق الخاصة بالمصادر الأولية والثّانوية للمعجم التّاريخي، والملحق الخاص بقواعد اللُّغة العربية وغيرها مِمّا يتصل بصميم العمل في هذا المعجم المنشود.

بقي أن أُشير إلى أن هذه الخطة وإن خَصَّها صاحبها بالمعجم التّاريخي للُّغة العربية، إلا أنها من وجهة نظري خطة مُلْهِمة؛ إذ يمكن استلهام أفكارها في صناعة عدد كبير من المعاجم التّاريخية للمصطلحات العلمية والأدبية والفنية المتخصِّصة، ولكن هذه الخطة على قدر اتِّساقها وتكاملها الذي يعكس خبرة المؤلف وريادته في مجال المعجمية، ويعكس لنا أيضًا أسباب

قَبولها لدى اتحاد مجامع اللُّغة العربية، غير أنها خطة قابلة - مثل غيرها من الخطط الَّتي وضعت أو الجاري وضعها - لكثير من النِّقاش فهي خطة جيدة متساوقة، ولكنها ليست نهائية يتفق عليها الجميع، ودليلي على هذا أن ثمة جهات أكاديمية - ليست بالقليلة - تضع معجمها التّاريخي للُّغة العربية الخاص بها، ولكل منهجه في معالجة هذا المشروع وتنفيذه، ولتبقى دائمًا أصوات خالصة مُخلصة تنصح بتوحيد الجهود وتبادل الخبرات، بل تقسيم العمل - إن أمكن هذا - والاتِّفاق على أفضل خطة علمية لهذا المشروع الكبير والدَّعوة إلى تَبنّيها ومراجعتها للوصول بها إلى صورة تحقق للعربية معجمها التّاريخي الذي تستحقه والَّذي يُضاف إلى رصيد المعجمية العربية الرّائدة رغم تأخُّر إنجاز هذا المشروع.

القسم الثاني

دراسات اصطلاحية



الفصل الخامس

مُصطلَحات التَّصحيح الزّائف
في نُصوص العربيَّة الوسيطة

مدخل

حين يحاول مُتكلِّم ما أن يتحدَّث لغة غير لغته أو لهجة غير لهجته، غالبًا ما ينجُم عن هذا مجموعة من الصِّيغ غير الصَّحيحة. و وراء خطأ هذه الصِّيغ عِدَّة أسباب، من أهمها: عدم تمكُّنه من قواعد هذه اللُّغة، وغَلَبة السِّمات اللُّغوية واللَّهجية الخاصَّة به على ما ينتجه من صيغ وتراكيب باللغة الثانية. هذه الظّاهرة يُطلَق عليها التَّصحيح الزّائف pseudocorrection؛ فالمتكلِّم يظن أن هذه الصِّيغ التي يتحدث بها صحيحة، ولكنها في حقيقة الأمر لا تَتَّفق مع قواعد اللُّغة الثّانية (صوتًا أو بِناءً أو دَلالة). بالإضافة إلى أنه قد تتسرب إليها - دون وعي منه - سمات أو ألفاظ من لهجته أو لغته الخاصَّة.

ولقد ارتبط التَّصحيح الزّائف في الدَّرس الاستشراقي بنُصوص اللُّغة العربية الوسيطة middle arabic؛ وعُدَّ صفة من صفاتها ومكوِّنًا من مكوِّناتها الرَّئيسة. والعربية الوسيطة، ضَرْبٌ من العربية شاع بعد الفتوحات الإسلامية على ألسنة حديثي العهد بالعربية، وانتشر في كلامهم وكتاباتهم، فكانوا

يَخْلِطون بين الفصيح والعامي، وتتسرب إلى كتاباتهم ألفاظ وتراكيب من لغاتهم الأصيلة غير العربية؛ لذا أطلق المستشرقون على ما تبقى من نصوص هذه الفترة العربية الوسيطة.

ولقد ظل مصطلح العربية الوسيطة هذا قَيْدَ المراجعة والبحث حتى عاد تسمية لجميع النُّصوص التي يكون فيها التَّصحيح الزّائف سمة غالبة بغَضِّ النَّظر عن العصر الذي ظهرت فيه. وما أريد إيضاحه في هذا المدخل هو أن التَّصحيح الزّائف – على تلك الصِّفة السّابقة – مفهوم مُتَّسع يصدُق على عدد كبير من الظَّواهر، ومن ثَمَّ عَمِد المستشرقون إلى تصنيف هذه الظَّواهر و وضعوا مُسمَّياتها واصطلاحاتها، لكن الحدود بين هذه الظَّواهر تحتاج إلى بيان وتوضيح يمكِّن من يتصدى لتحليل هذه النُّصوص من الوصف الصَّحيح لظواهرها.

أَضِفْ إلى هذا أن ثَمَّة ظواهرَ أخرى تنتمي إلى التَّصحيح الزّائف، أو تتعالق معه، لم يتم درسها على أيدي المستشرقين، وتجد تحليلها واردًا في ثنايا الدَّرس اللِّساني الاجتماعي والتّاريخي والإدراكي، وفي نماذج من لغات غير العربية.

والحقيقة أن بعض المستشرقين أفاد من هذه الدِّراسات في وصف ظواهر التَّصحيح الزّائف وتحليلها، وإن اقتصر التَّطبيق لديه – لطبيعة درسه – على نصوص العربية الوسيطة، ومعنى هذا أن التَّصحيح الزّائف لم يَعُدْ يقتصر على العربية الوسيطة، وأصبحت «العربية الوسيطة» مصطلحًا يشتمل على النُّصوص التي يصاحب لغتها عنصر من عناصر التَّصحيح الزّائف.

وامتدَّ التَّصحيح الزّائف ليشكِّل ظاهرة عامة تصدُق على لغات عديدة،

بل صار يشمل جميع اللُّغات، كل هذه التَّحوُّلات تؤكد على أهمية التَّعريف بمصطلحات التَّصحيح الزّائف، وأقسامه المُختلِفة، وبيان حدودها، وإيضاح الفروق بين ما يبدو مُتَّفقًا منها وما هو مُختلِف، وهذا ما أحاول بيانه في هذا البحث.

العربية الوسيطة

تَتَّفق الدِّراسات الاستشراقية على أن هذا الضَّرب من العربية نشأ عن حركة الفتوحات الإسلامية وما أدت إليه هذه الحركة من تغيُّر كبير في المجتمع العربي لا سيما لغة هذا المجتمع، ولكن الخلاف بين هذه الدِّراسات يدور حول طبيعة هذا الضَّرب وعَلاقته بغيره من صور العربية السّابقة واللّاحقة. فبينما ينظر بعض المستشرقين إلى العربية الوسيطة وخواصِّها بوصفها مرحلة تاريخية من مراحل تطوُّر اللُّغة العربية تشبه ما يُسمّى الإنجليزية الوسيطة middle English ، تجد منهم مَن يعدُّها مجرد ظاهرة تخص تنوُّعًا مُحدَّدًا من تنوُّعات العربية بعيدًا عن ارتباطها بمرحلة تاريخية مُحدَّدة، بل يمكن لهذه الظّاهرة أن تمتد لتصدُق كذلك على تنوُّعات أخرى ماثلة في النُّصوص العربية القديمة والمعاصرة على السَّواء.

وعليه أكد «ڤرستيج» Versteegh أنه من الخطأ أن نفهم من مصطلح العربية الوسيطة أي مدلول زمني تاريخي فسوف نرى فيما بعد أن الأخطاء الموجودة في نصوص عربية حديثة تشبه تلك الموجودة في النصوص القديمة أشد الشَّبه، ومن الممكن أن تظهر أخطاء لغوية في نصوص العربية الفصحى المعاصرة بنفس درجة السُّهولة التي كانت تظهر بها في النُّصوص القديمة[١]، فمصطلح العربية الوسيطة عند «بلاو» Blau – وقد خضع لعديد

(١) كيس ڤرستيج: اللُّغة العربية؛ تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، تر: د محمد الشَّرقاوي، القاهرة: المجلس =

من المناقشات التي لا مجال لسردها هنا - أصبح ينطبق على تلك «اللُّغة التي تتضمن جميع الخصائص التركيبية المميّزة للهجات العربية الحديثة(٢)»، لذا فالعربية الوسيطة «في هذا الإطار الجديد لم تَعُدْ تشير إلى تنوُّع مميّز من العربية، ولكن إلى صِنْف من النُّصوص يتضمَّن انحرافات عن القواعد النَّموذجية في أي حِقبة وُجِدت وأيًّا كان سببها(٣)»، وأشار «ڤرستيج» إلى أن نصوص العربية الوسيطة تمتد من البدايات الأولى للُّغة العربية حتى العصر الحديث؛ لأن الرّابط هنا يكمُن في قَصْد المتكلِّمين إلى محاكاة نموذج قواعدي تامِّ البناء، رغم أنهم لا يستطيعون حيازته بصورة كاملة(٤).

وبغَضِّ النَّظر عن الفترة التي وُجِد فيها هذا الشَّكل من العربية وهذا الصِّنف من النُّصوص، فإن الشَّيء المُهمَّ هنا يتعلق باحتمالين لتفسير مثل هذه الانحرافات في عَلاقتها بذلك النَّموذج، فهذه الانحرافات في حدِّ ذاتها - وَفْقًا لـ«ڤرستيج» - ليست دليلًا كافيًا على وجود نموذج؛ ذلك أنها ربما يُنْظَر إليها بوصفها سمات عامية vernacular features وَجَدت طريقها إلى اللُّغة المكتوبة وتمت مراجعتها وتحديدها في جهود نحوية لاحقة، ولكن المهم - من وجهة نظر «ڤرستيج» - أن يتم النَّظر إلى هذه التَّصحيحات كدليل على وجود نموذج أو هدف(٥). إن العربية الوسيطة عند «ڤرستيج» ليست ضربًا

= الأعلى للثَّقافة، الطبعة الأولى، ص ١٣٠.

(2) Versteegh, K. 2005: *Breaking the Rules Without Wanting to: Hypercorrection In Middle Arabic Texts,* p. 4. in Alaa Elgibali (ed.) : Investigating Arabic: Current Parameters In Analysis and Learning. Brill., pp. 318-.

(3) Versteegh, K. 2005, op. cit., p, 5.

(4) Versteegh, K. 2005, op. cit., p, 5.

وانظر كذلك «ڤرستيج»: اللغة العربية، ترجمة الشرقاوي، ص ١٤٦

(5) Versteegh, K. 2005, op. cit., p. 6.

لسانيًّا بقَدْر كونها تسميةً لِصنف من النُّصوص تكون فيه العربية الفصحى هي اللُّغة التي يحاول الكاتب الالتزام بها [٦]. ويمكن لنا أن نستقي أسباب هذه الأهمية ودليل وجود ذلك النَّموذج من الافتراض الذي يصدُق على كثير من مواقف الاحتكاك اللُّغوي واللَّهجي، ومُؤدّاه أنه متى وُجِد احتكاك بين تنوُّع لغوي يحظى بمكانة اجتماعية ودينية وثقافية أو غيرها من الصِّفات الأخرى وتنوُّع آخر لا يحظى بالمكانة ذاتها، فإن مُتحدِّثي وكتّاب التَّنوُّع الأخير يحاولون استعمال صور لغوية من التَّنوُّع الأول، حتى وإن كانت هذه الصُّور غير ضرورية في هذه البيئة اللُّغوية[٧].

نصوص العربية الوسيطة: أقسامها وسماتها

حَصَر «بلاو» طريقتين لاستعمال مصطلح العربية الوسيطة؛ إذ رأى أن «مِن العلماء مَن يستعمله لتحديد العناصر العامية التي تتغلغل نصوص العربية في القرون الوسطى، والبعض الآخر يستعمله ليشير إلى مزيج من العربية الفصحى والعناصر العامية التي تميِّز هذه النُّصوص، وأكثرهم يستعمله بصورة لا تختلف عن المعنيين السّابقين[٨].» والمقصود بنصوص العربية الوسيطة هنا: «مجموعة من النُّصوص غير الأدبية مكتوبة بطريقة تحيد عن قواعد عربية القرآن كما وضعها النُّحاة وعُرِفت بالفصحى، بالرَّغم من أن

(6) Versteegh, K. 2010: *Pidgin Arabic and arabi sa'ab: the influence of the standard language in the history of Arabic*. p. 62. JSAI = Jerusalem Studies in Arabic and Islam (37): 61-79.

(7) Hary, B. 2007: *Hypercorrection*. p. 275. In Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol. 2. Leiden and Boston: Brill, 2007, 275 - 79.

(8) Blau, J. 1981: *The State of Research In the Field of the Linguistic Study of Middle Arabic,* p. 187f. Arabica, T. 28, fasc. 23, Numéro Spécial Double: Études de Linguistique Arabe (Jun. - Sep., 1981), pp. 187-203.

كُتّابها كانوا يتطلَّعون لنموذج الفصحى في الكتابة[٩]»، وهذه النُّصوص تنقسم إلى أقسام ثلاثة هي[١٠]:

١- النُّصوص المكتوبة بلغة عربية سليمة فيها بعض الخلط البسيط بالعاميات.

٢- النُّصوص نصف الفصيحة.

٣- النُّصوص العامية التي تختلط بشيء من الفصحى.

أما عن السِّمات اللُّغوية لنصوص العربية الوسيطة فيمكن إيجازها في النِّقاط التّالية[١١]:

- النُّزوع إلى التَّقرُّب من أنماط السُّلوك اللُّغوي للعربية الفصحى، وتتجلّى هذه السِّمة في استعمال صِيَغ البناء للمجهول على الصّورة الفصيحة، والمحافظة على التَّنوين رغم النُّزوع إلى التَّخلّي عن علامات الإعراب، وفي مراعاة قواعد التَّطابق.

- وجود تشابهات مع اللَّهجات المَحكيَّة تتجلّى في فِقدان الأفعال المُصرَّفة أصوات اللّين الأخيرة، وغياب علامات الإعراب من غالب المواقع الإعرابية.

- النُّزوع إلى تخفيض التَّصنيفات الصَّرفية والنَّحوية والتَّعميم.

- هناك سمات تميِّز نصوص العربية الوسيطة عن الفصحى واللَّهجات العربية، منها: تعريف الصِّفة للموصوف النَّكرة، والفصل بين المضاف والمضاف إليه، والنُّزوع إلى ثبات ترتيب الكلمات.

(٩) محمد الشرقاوي ٢٠١٣: الفتوحات اللغوية؛ انتشار اللغة العربية و ولادة اللهجات في القرن الأول الهجري. بيروت، القاهرة، تونس: دار التنوير، ص١١٧.

(١٠) انظر محمد الشرقاوي ٢٠١٣: الفتوحات اللغوية، مرجع سابق، ص١١٧.

(١١) انظر محمد الشرقاوي ٢٠١٣: الفتوحات اللغوية، مرجع سابق، ص١٢٧ : ١٣١ بتصرف.

وما يجب التَّنبيه عليه هنا أن هذه السِّمات ليست مُوحَّدة على مستوى النُّصوص التي تنتمي إلى العربية الوسيطة، فقد تزيد في نَصٍّ وتنقُص في آخر، كما أنها ليست كل السِّمات الخاصة بهذه النُّصوص، ولكنها بعض السِّمات البارزة التي اتَّفق عليها دارسو نصوص العربية الوسيطة.

مصطلحات التَّصحيح الزّائف

سأكتفي بما ورد سابقًا من التَّأكيد على تحوُّل النَّظر إلى العربية الوسيطة من مرحلة تاريخية في حياة العربية إلى اعتبارها مجرد ظاهرة تصف نصوصًا تمتد من فترات قديمة حتى عصرنا هذا، ولن أقف بطبيعة الحال عند ظروف نشأة العربية الوسيطة أو صحة اعتبارها مرحلة من مراحل تطوُّر العربية، ودليل هذا النَّظر أو الأدلة ذات الصّيغة التَّوافقيَّة أو الخلافية، أو غيرها من الموضوعات الأخرى ذات الصِّلة[١٢]، إنما أتناول فقط المصطلحات المُتعلِّقة بأشكال الانحراف التي صاحبت نصوص العربية الوسيطة وتنوُّعاته كما تناولتها جهود المستشرقين، أمثال: «بلاو» و«ڤرستيج» و«هَري»؛ قَصْد توضيحها وبيان مقصودها وعَلاقاتها بغيرها من مصطلحات المجال عينه؛ وذلك لأهمية هذه المصطلحات من جهة ولما يصاحبها من تداخل يصل في أحيان كثيرة حد الغموض.

وإذا كان الهدف هذا يتَّصل بالمستوى الاصطلاحي وما يصاحبه من ضرورة تحديد المفاهيم ومجالاتها، فإن من الواجب أن نربط هذا كله

---

(١٢) لعرض متميز حول هذه الموضوعات انظر :

Johannes den Heijer 2012: *Middle and Mixed Arabic: A New Trend In Arabic Studies*. In Zack, L. & Schippers, A. (eds.) 2012: Middle Arabic and Mixed Arabic: Diachrony and Synchrony. Leiden: Brill, pp. 1-25.

بالأهداف الخاصَّة بدراسة نصوص العربية الوسيطة، فقد أشار «هَري» إلى أهمية ظاهرة التَّصحيح الزّائف في دراسة هذه النُّصوص، فالعربية الوسيطة برأيه خليط من عناصر العربية الفصحى والسِّمات العامية وصِيَغ التَّصحيح الزّائف؛ لذا يمكننا استخلاص السِّمات المميّزة للهجات العربية الوسيطة عن طريق عزل العناصر الفصيحة وصِيَغ التَّصحيح الزّائف مما يضع أيدينا على السِّمات اللَّهجية المميزة لهذه النُّصوص، كما يشدِّد «هَري» على أن الفحص الدَّقيق لنصوص العربية الوسيطة ينتج عنه بيان لسمات التَّصحيح الزّائف أو السِّمات اللَّهجية، ويمكن من خلاله التَّمييز بين هذه السِّمات(١٣).

إن فكرة التَّصنيف السّابقة القائمة على عزل سمات هذه النُّصوص وعناصرها المُختلِفة لن تَتِمَّ بصورة دقيقة إن لم تكن لدينا فكرة عن حدود المصطلحات المرتبطة بالتَّصحيحات الزّائفة ومفاهيمها وعَلاقاتها وأَوْجُه الاختلاف بينها، فهناك - على حد تعبير «ڤرستيج» - عديد من نصوص العربية الوسيطة التي لم يتم بحثها، وربما تساعدنا المعلومات التي تحتويها هذه النُّصوص في حلِّ لغز تاريخ العربية، فلا ننظر إلى هذه النُّصوص على أنها مجرد انعكاس لكلام الكاتب العامي فقط، ولكنها لمحة مُهمَّة لما كان يجري في الكلام المنطوق آنذاك(١٤)، وأحسب أن الوصول إلى دراسة هذه النُّصوص للتَّعرُّف على عَلاقتها التّاريخية باللُّغة العربية لن يتم إلا على ضوء تحديد اصطلاحي جيد.

ولقد قُسِّمت هذه المصطلحات إلى مجموعات ثلاثة: المجموعة الأولى تتعلَّق بالمصطلحات العامة وما يرتبط بها من مفاهيم تشكل مكوِّنًا أساسيًّا من

(13) See: Hary, B. 2007: op. cit., p. 279.

(14) Versteegh, K. 2005: op. cit., p.178-.

مكوِّنات تعريفها أو تساعد في بيانه، والثّانية تتعلَّق بمصطلحين رئيسين من مصطلحات التَّصحيح الزّائف في كتابات المستشرقين، وهما على الرَّغم من ارتباطهما الوثيق؛ غير أن هناك عديدًا من الفوارق بينهما. أما المجموعة الثّالثة الأخيرة فتتعلَّق بمصطلحات صور مُحدَّدة من تلك الانحرافات قد لا يجدها الباحث في نصوص استشراقية تعالج نصوص العربية الوسيطة، ولكنها تضاف إلى صور المجموعة الثّانية رغم أنها تختلف عنها.

أولًا - المجموعة الأولى

١- تصحيح زائف pseudocorrection

٢- تصحيح زائد overcorrection

٣- تفاصح حضري hyperurbanism

٤- اعتبار prestige

٥- أصالة authenticity

٦- سمة موسومة × سمة غير موسومة unmarked vs.marked feature feature

التَّصْحيح الزّائف والتَّصحيح الزّائد والتَّفاصح الحضري

الحقيقة أن المصطلح الأول في هذه المجموعة pseudocorrection - أي: التَّصحيح الزّائف - يمثِّل مصطلحًا عامًّا يعبِّر عن جميع الانحرافات التي قد تجدها في نصوص العربية الوسيطة، ويتفق أغلب المُهتمّين بدراسة نصوص العربية الوسيطة على أن أخطاء التَّصحيح الزّائف pseudocorrection تحدُث بسبب عدم توفُّر معرفة كافية لدى أولئك المُتحدِّثين الذين يحاولون تمثُّل ضَرْب لغوي ذي مكانة اجتماعية، ومن ثَمَّ يلزم عن هذا النَّقص تصحيح أو تغيير بعض صور هذا الضَّرب مما لا يحتاج إلى تصحيح؛ لنصل في بعض

الحالات إلى صورة لغوية مُصحَّحة تصحيحًا زائدًا أو ليست مُصحَّحة بصورة كافية في حالات أخرى(١٥)، وهذا المصطلح يكافئ مصطلح التَّصحيح الزّائد overcorrection(١٦).

والحقيقة أنه يمكن لنا أن نضيف - إلى المصطلحين السّابقين - مصطلح التَّفاصح الحضري hyperurbanism، وهو مصطلح يكافئ هذين المصطلحين، ولأن التَّصحيح هنا يحدث عند أصحاب المناطق عند محاولتهم محاكاة اللَّهجة النَّموذجية، فإنه يُدْعى بهذا الاسم(١٧). ولعل هذا المصطلح يرتبط بقضية اللَّحن، فقد بيَّن «ڤرستيج» هذا بقوله: «ففي معظم أمثلة اللَّحن يكمُن الخطأ في أحد التَّصحيحات الزّائدة ... فلم يكن اللَّحن مجرد استعمال نوع جديد من العربية بكل تغيُّراتها المُهمَّة في مقابل اللُّغة الفصحى، فهو أيضًا كلام أولئك الذين يحاولون مُضاهاة المُتحدِّثين بالعربية الخالصة، فعندما يروي «الجاحظ» [ت ٢٥٥- ٨٦٨] كلام خادمه وكلام غيره ممن يميلون إلى استعمال النِّهايات الإعرابية بشكل غير صحيح، فإن ما يَنطقونه يُثْبِت أن هناك مستوى يحاولون محاكاته، أو بتعبير آخر، لا بد أنهم سمعوا أثناء اتِّصالهم بالعرب شكلًا من العربية لا تزال تُستخدَم فيه النِّهايات الإعرابية(١٨).»

وإذا كانت هذه المصطلحات الثَّلاثة مُتكافِئة بشكل ما، فإن اختيار أحدهم

---

(15) Hary, B. 2007: op. cit., p. 275.

(16) Hary, B. 2007: op. cit., p. 275.

(١٧) انظر د. رمزي البعلبكي: معجم المصطلحات اللُّغوية، ص ٢٣٢.

(18) Versteegh, K. 1983: *Arabic Grammar and the Corruption of Speech,* p. 15-67. Ramzi Baalbaki (ed.): Arab *Language and Culture,* 117-138. (= al-Abḥāth, 31). Beirut: American University of Beirut.

لمصطلح دون غيره ربما يكون متعلقًا في نهاية الأمر بتوظيفه وَفْق منظور محدد من التَّحليل، ويمكن القول: إن المصطلح الأول – أي: التَّصحيح الزّائف pseudocorrection – هو الأكثر دورانًا في الدِّراسات الاستشراقية المُتعلِّقة بنصوص العربية الوسيطة.

التَّصحيح الزّائف ومصطلح الاعتبار

إن تعريف مصطلح التَّصحيح الزّائف ارتبط عند «هَري» بمصطلح الاعتبار prestige ، وهو صفة لذلك التَّنوُّع الذي يحاول المُتكلِّم استعماله في الحديث أو الكتابة لكونه يمتلك مكانة اجتماعية أو دينية أو سياسية ... إلخ، ولقد نظر «هَري» إلى الاعتبار بوصفه عاملًا مهمًّا من العوامل التي تؤدي إلى هذا النَّوع من التَّصحيح[١٩]. والحقيقة أن هذا المصطلح يُراد به موقف المُتكلِّم من ضرب لساني معين، سواء أكان هذا الفرد ينتمي إلى جماعة لُغوية واحدة أم إلى جماعة ثنائية اللُّغة أو ذات لغات متعدِّدة.

وينقسم الاعتبار إلى نوعين: أولهما الاعتبار الإيجابي positive وهو أن ينظر المتكلِّم إلى ضرب ما نظرة تقدير تُملي عليه استعمال هذا الضَّرب دون غيره وتفضيله عما سواه، والآخر اعتبار سلبي negative ، وهو نظر المتكلِّم إلى ضرب لغوي ما على أنه أقل منزلة؛ ومن ثَمَّ عدم استعماله أو تفضيله. كذلك هناك من يقسم الاعتبار إلى نوعين آخرين، هما: الاعتبار الظّاهر overt وهو أن ينظر المتكلِّم إلى **ضرب لغوي فصيح** نظرة تقدير تُملي عليه استعمال هذا الضَّرب؛ لأنه يُعزِّز من وَضْعه الاجتماعي. والنَّوع الآخر هو الاعتبار الخفي covert ، وهو نظرة المتكلِّم إلى ضرب لغوي غير فصيح نظرة معينة

(19) Hary, B. 2007: op. cit., p. 276.

تُملي عليه استعمال هذا الضَّرب[٢٠].

وعليه يمكن أن نستنتج أن التَّصحيحات الزّائفة بصورة عامة ترتبط بنظرة المُتكلِّم (من أبناء العربية أو غيرهم) إلى ضرب العربية الفصحى نظرة تجمع بين الاعتبار الظّاهر overt prestige، والاعتبار الإيجابي positive prestige، وهنا يمكننا الإشارة إلى استنتاج يؤكد رؤية «ڤرستيج» لهذه التَّصحيحات باعتبارها دليلًا مهمًّا على وجود ضرب لغوي فصيح يمثِّل النَّموذج أو الهدف الذي يسعى المتكلِّم إلى استعماله.

التَّصحيح الزّائف ومفهوم الأصالة

ويعزِّز الاستنتاج السّابق أن «هَري» أضاف - إلى الاعتبار - عاملًا آخر من العوامل التي تؤدي - برأيه - إلى التَّصحيحات الزّائفة، ويتمثَّل هذا العامل فيما يُطلَق عليه الأصالة authenticity[٢١]. ويُراد به أن المتكلِّم الذي يحاول اكتساب لغة ثانية يشترك في مواقف تفاعلية حقيقية مستعملًا هذه اللُّغة في سياقات اجتماعية وثقافية مهمة؛ للدَّلالة على تمكُّنه منها وتأصُّلها لديه[٢٢]. وهذا معناه أن المتكلِّم الذي ينتسب إلى ضرب أقل مكانة عندما يحاول استعمال ضرب أعلى، فإنه يحاول التَّأكيد على تأصُّل هذا الضَّرب فيه، ولما كانت قدرته على استعمال قواعد هذا الضَّرب غير كافية ومعرفته بها قليلة، أدى هذا إلى أخطاء التَّصحيح الزّائف بصُوَره المُختلِفة التي سنتعرض لها عند الحديث عن المجموعة الثّانية من المصطلحات.

---

(٢٠) انظر د. منتصر أمين عبد الرحيم ٢٠١٣: معجم الفروق في المصطلح اللُّغوي الحديث، ص ٩٦، وص ٩٩.

(21) Hary, B. 2007: op. cit., p. 276.

(22) Swan et al. 2004: *A Dictionary of Sociolinguistics*. Edinburgh University Press.

التَّصحيح الزّائف ومصطلح الصِّيغ الموسومة

وعِلاوةً على الاعتبار والأصالة يشير «هَري» إلى مصطلح آخر وهو مصطلح الصِّيغ الموسومة marked form، أو السِّمات المميّزة marked feature، مشيرًا إلى أن انتقال المتكلِّم من صيغة موسومة في الضَّرب الأعلى مكانة إلى صيغة غير موسومة unmarked داخل هذا الضَّرب يُعَدُّ عاملًا آخر من العوامل التي ينتج عنها التَّصحيح الزّائف(٢٣). وعليه فإن مصطلح الصّيغة الموسومة يشير إلى تلك الصّيغة التي تنتمي إلى العربية الفصحى وتتماشى مع قواعدها على جميع المستويات: المستوى الصَّوتي، والصَّرفي، والتَّركيبي. أما الصّيغة غير الموسومة فتشير إلى صيغة تنتمي إلى ضرب عامي ولا تَتَّفق مع قواعد الفصحى، وقد يجرى أن تنتشر هذه الصّيغة وتلقى قَبولًا مما يؤدي في النِّهاية إلى تغيُّر اللُّغة.

ثانيًا - المجموعة الثانية

٧- تصحيح زائد hypercorrection

٨- تصحيح ناقص hypocorrection

على الرَّغم من أن مصطلح التَّصحيح الزّائف مصطلح عامٌّ يتضمَّن مصطلحي المجموعة الثّانية هذه، إلا أن مصطلحي التَّصحيح الزّائد والتَّصحيح النَّاقص هما الأكثر دورانًا في مُصنَّفات المُستشرِقين الذين يتعاملون مع العربية الوسيطة تنظيرًا وتطبيقًا. وفي محاولة لوضع الفروق التي تميِّز بين التَّصحيح الزّائد والتَّصحيح النّاقص يقرِّر «بلاو» أن التَّصحيح الزّائد هو الأشكال الفصيحة التي تطبَّق بصورة غير صحيحة، في حين يكون التَّصحيح النّاقص

(23) Hary, B. 2007: op. cit., p. 276.

نصف تصحيح، أو بعبارة أخرى هو الأشكال التي لا تقع في اللَّهجة أو في اللُّغة الفصيحة[٢٤]. ويلاحظ «هَري» أنه في الحالات التي يحاول المتكلِّم فيها استعمال صِيَغ تنتمي إلى الضَّرب الأعلى مكانةً، هناك بعض التَّغيُّرات التي تَلحق الصِّيغ المراد استعمالها، وهناك تصحيحات تُصيبها حتى ولو كانت هذه التَّصحيحات لا تتماشى والضَّرب الأعلى مكانة، وربما نصل مع هذه التَّغيُّرات والتَّصحيحات إلى صِيَغ مبالغ في تصحيحها (التَّصحيح الزّائد) أو ليست مُصحَّحة بصورة تامَّة (التَّصحيح النّاقص)[٢٥].

وفَحْوى ما سبق أن التَّصحيح الزّائد ينطوي على صِيَغ لا تتماشى وقواعد الضَّرب الفصيح؛ بمعنى أنها تُسْتعمَل داخل هذا الضَّرب في بيئات تركيبية مُختلِفة، ولا ينفي هذا انتماء تلك الصِّيغ لذاك الضَّرب، أما التَّصحيح النّاقص فينطوي ليس فقط على صيغ لا تتماشى مع القواعد، بل لا تنتمي هذه الصِّيغ إلى هذا الضَّرب ولا إلى الضَّرب اللَّهجي الأدنى.

والحقيقة أن هناك عديدًا من الأمثلة على كلا النَّوعين موجودة في كثير من البحوث التي تناولت العربية الوسيطة، لكنني سأقف هنا عند بعضها مما تجده عند «هَري»، فمن الأمثلة التي ساقها فيما يخص التَّصحيح الزّائد ما يلي:

١- قولهم: (وسلب منهم مبلغ مائة وخمسون ألف)[٢٦]، فالصّيغة (خمسون) في هذه العبارة تصحيح زائد في لهجة الكاتب، وهي العربية اليهودية المصرية، وفي معظم اللَّهجات العربية؛ إذ يستعمل المُتحدِّثون صيغة صوتية للجمع (ين) في جميع الحالات، ولكن الكاتب هنا استعمل (ون) لأنه

(24) Versteegh, K. 2005: op. cit., p. 4.

(25) Hary, B. 2007: op. cit., p. 275.

(26) Hary, B. 2007: op. cit., p. 276.

يعلم أن العربية الفصحى تَستخدم هذه الصّيغة، ولكنه فشل في استعمالها في بيئتها التَّركيبية الصَّحيحة.

٢- قولهم: (نحو عن اثنا عشر رجل)(٢٧)، فالعدد (اثنا عشر) وهو صيغة عربية فصيحة مرفوعة هي تصحيح زائد؛ إذ يريد الكاتب استعمال صيغة عربية فصيحة موسومة ليست موجودة في العامية، ولكنه فشل في استعمالها داخل بيئة تركيبية صحيحة.

أما أمثلة التَّصحيح النّاقص، فمنها ما يلي:

٣- قولهم: (عِيدَ إليه الرَّسول ثانية)(٢٨)، ومعنى الفعل (عِيدَ): أُرسِل ثانية، وقد أراد الكاتب استعمال صيغة البناء للمجهول الدّاخلية passive internal form، وهي صيغة غير مستخدمة في لهجته وغير صحيحة في الضَّرب الأعلى مكانة.

٤- قولهم: (هم باقيون)، و ورد في نص عربي يهودي(٢٩)، وفي هذا المثال نجد أن لاحقة الجمع (ين) تُستخدَم في اللَّهجات بصورة أكبر من استعمال اللاحقة (ون)، والكاتب هنا لم يُرِدِ استعمال الصّيغة (باقين) ذات اللّاحقة (ين) الموجودة في لهجته؛ لأنه يعرف أن اللّاحقة (ون) لا تُستعمَل في لهجته، فاستبدلها باللّاحقة (ين)، مما نجم عنه نصف تصحيح؛ لأن الصّورة الفصيحة هي (باقون)، والصّيغة الجديدة التي أتى بها غير مُستعملَة في لهجته.

الفرق بين التَّصحيح الزّائد والتَّصحيح النّاقص

يرى «هَري» أنه بالرَّغم من أن كلا النَّوعين من التَّصحيحات يصدُر عن

(27) Ibid., p. 277.

(28) Hary, B. 2007: op. cit., p. 277.

(29) Ibid., p. 277.

رغبة المُتكلِّم في استعمال شكل لغوي من الضَّرب الفصيح، فإن هناك مجموعة من الاختلافات الجوهرية التي تميز كل واحد منهما، ومن بين هذه الاختلافات[٣٠]:

- أن الصّورة التَّحتية - التي يُراد لها أن تتواءم مع الصّورة الفصحى- في حالة التَّصحيح الزّائد لا تختلف عن الصّورة الفصيحة، وفي حال التَّصحيح النّاقص تأتي الصّورتان مُختلِفتين.

ففي المثال الأول كلمة (خمسون) هي الصّيغة التَّحتية التي يُراد تغييرها، وهي لا تختلف عن صورتها في الاستعمال الأعلى مكانة؛ لأنها موجودة في هذا الاستعمال وتَرِد في هذه البيئة التَّركيبية، وكذلك العدد (اثنا عشر) في المثال الثاني لا يختلف عن الصَّيغة العربية الفصيحة، في حين أن الصّيغة الفعلية التَّحتية في المثال الثّالث (عِيدَ) تختلف عن صيغة المجهول الدّاخلية في الضَّرب الأعلى مكانة (أُعِيد)، وكذلك الصّيغة التَّحتية في المثال الرّابع (باقيين) تختلف عن الصّيغة الفصيحة (باقون).

- أن الصّيغة السَّطحية النّاتجة عن التَّصحيح الزّائد لا تتضمَّن أيَّ عناصر لهجية، في حين أن الصّيغة الناشئة عن التَّصحيح النّاقص تتضَّمن - على الأقل - سمة عامية واحدة.

فالصّيغة النّاتجة عن التَّصحيح الزّائد (وخمسون) في المثال الأول لا تحتوي على أي سمة لهجية، وكذلك الصّيغة (اثنا عشر) في المثال الثاني، في حين أن الصّورة النّاتجة في المثال الثّالث (عيد) عن التَّصحيح النّاقص تحوي سمة لهجية، وكذلك الصّيغة (باقيون) في المثال الرّابع حيث يمثِّل الاحتفاظ

(30) Ibid., p. 27-78.

بالياء في هذه الصِّيغة سمة لهجية.

- أن صورة الصّيغة النّاتجة عن التَّصحيح الزّائد صيغة مختلفة وبعيدة عن الصّيغة الفصحى، في حين تكون في حالة التَّصحيح النّاقص قريبة من تلك الصّيغة.

فالصّيغة (وخمسون) - في المثال الأول - صيغة بعيدة عن الضَّرب الأعلى مكانة؛ لأن الصّيغة التَّحتية (وخمسين) هي الصّيغة التي تُلبّي قواعد هذا الضَّرب، وكذلك الصّيغة (اثنا عشر) في المثال الثّاني: لأن (اثني عشر) هي الصَّحيحة في تلك البيئة التَّركيبية، في حين أن صيغة (عيد) في المثال الثّالث لا تقترب من الصّيغة (أُفعِل = أعيد)، وكذلك صيغة (باقيون) في المثال الرّابع؛ لاحتفاظها بالياء عوض حذفها.

- الصّورة السَّطحية في حالة التَّصحيح الزّائد ربما توجدَ في الضَّرب الفصيح في بيئة تركيبية مُختلِفة وقد لا توجد على الإطلاق، في حين أن الصّيغة النّاجمة عن التَّصحيح النّاقص لا توجد فيما يُعِدُّه المتكلِّم ضربًا فصيحًا.

فالصّيغة (وخمسون) في المثال الأول موجودة في الضَّرب الأعلى مكانة، ولكنها ضمن هذا الضَّرب تقع في بيئة تركيبية مختلفة، وكذلك الصّيغة (اثنا عشر) في المثال الثّاني، ولكن الصّيغة (عيد) و(باقيون) في المثالين الثّالث والرّابع غير موجودة في هذا الضَّرب ولا تجدها في اللَّهجة العربية اليهودية.

ويلخِّص «هَري» هذه الفروق في الجدول التّالي:

	التَّصحيح الزّائد	التَّصحيح الناقص
الصّيغة التَّحتية	لا تختلف عن صيغ الضَّرب ذي المكانة	تختلف عن هذه الصِّيغ
الصّيغة النّاتجة (١)	لا تتضمَّن أيًّا من عناصر الضَّرب الأقل مكانة	تتضمَّن على الأقل عنصرًا واحدًا من عناصر الضَّرب الأقل مكانة
(٢)	تتجاوز صِيَغ الضَّرب ذي المكانة وتختلف عنها	لا تصل إلى هذه الصِّيغ وتقصُر عنها
(٣)	ربما توجد في الضَّرب ذي المكانة وربما لا توجد فيه	لا توجد في أي من الضَّربين

وعلى الرَّغم من هذه الاختلافات التي أوضحها «هَري» بين التَّصحيح الزّائد والتَّصحيح الناقص، لكنه يعترف بوجود بعض الحالات التي تتداخل فيها الحدود بين المُصطلَحين بحيث لا يمكن التَّفريق بينهما، والمثال الذي قد يمثِّل هذه الحالة من التَّداخل هو : (**لم بَقِي**)، وهو مثال موجود ببردية تعود إلى سنة ٢٠٨هـ، وقد رأى «ڤرستيج» هذا المثال دليلًا على أن أداة النَّفي (لم) لم تختفِ بَعْدُ من الكلام العامي، ولكنها تعكس في الغالب نوعًا غريبًا من التَّصحيح الزّائد، ولكن «ڤرستيج» يرى - وَفْقًا لهذه الرُّؤية - أن حرف النَّفي (لم) كان قد اختفى من الكلام المنطوق آنذاك وبقي علامة على العربية الكلاسيكية، وفي هذه الحالة، فإن الكاتب استعمل (لم) هنا في محاولة كتابة العربية الكلاسيكية دونما وعي بالبنية الصَّحيحة للنَّفي[٣١].

ويتَّفق «هَري» مع «ڤرستيج» في نظرته السّابقة إلى الأداة (لم)، ولكن على الرَّغم من أن «ڤرستيج» عدَّ المثال السّابق ينتمي إلى التَّصحيح الزّائد، غير أن «هَري» ينظر إليه على أنه يشكِّل نوعًا من أمثلة التَّصحيح الناقص؛ لأن الكتاب

---

(31) Versteegh, K. 2005: op. cit., p. 7.

اختار فيه تصحيحًا غير كامل (نصف تصحيح)، فجُلُّ ما صنعه هو استبدال (لم) بـ(ما) ولم يجعل تاليها مضارعًا مجزومًا حسبما تتطلبه قواعد العربية الفصحى، زِدْ على هذا أن هذا المثال يلبّي بعض المعايير الخاصة بالتَّصحيح النّاقص، فنجد أن الصَّيغة التَّحتية تختلف عن صورتها في العربية الفصحى (لم)، وأن الصّورة النّاتجة تتضمَّن سمة لهجية (وهي استعمال الفعل الماضي التّامّ وليس الفعل المضارع المجزوم)، ولأن هذه الصّورة غير موجودة في الضَّرب الفصيح أو في اللَّهجة[٣٢].

٩ - نصف تصحيح half-correction

مصطلح نصف تصحيح من المصطلحات المُصاحبة لمصطلح التَّصحيح النّاقص hypocorrection، وهو يصف لنا الصّورة التي يكون عليها هذا النَّوع من التَّصحيح، فالمتكلِّم عادة ما يحاول أن يصل بصيغته إلى صورة تُقارِب الصّيغة الفصيحة التي تنتمي إلى الضَّرب الأعلى مكانة، ولكنه يَنطق بهذه الصّيغة أو يوظِّفها داخل بيئة تركيبية بصورة تجعلها لا تنتمي إلى أي من الضَّربين، وعليه يمكن تعريف مصطلح (نصف تصحيح) بأنه يشير إلى حالة من حالات التَّصحيح الزّائف حيث لا تنتمي الصّيغة المُصحَّحة إلى الضَّرب ذي المكانة ولا إلى الضَّرب الخاصِّ بالمُتكلِّم، وهو بهذا المفهوم يصف الطَّريقة التي ينشأ من خلالها التَّصحيح النّاقص.

ثالثًا - المجموعة الثّالثة

١٠ - غريب زائد hyperforeign

هناك من يساوي بين هذا المصطلح ومصطلح التَّغريب الزّائد

(32) Hary, B. 2007: op. cit., p. 279.

hyperforeignization أو hyperforeignism الغرابة الزّائدة، ويشير هذا المصطلح إلى موقف من مواقف الاحتكاك اللُّغوي بين عِدَّة لغات مختلفة، والمتكلِّم في هذا الموقف على وعي بغرابة الأشكال اللُّغوية. وقبل التُّعرُّض لهذه المصطلحات نود الإشارة إلى أن مصطلح الغرابة foreignism ومصطلح التَّغريب foreignization يشيران إلى عملية من عمليات التَّطويع adaptation يمكن من خلالها أن تمثِّل صورة اللُّغة الأولى l1 لعنصر من عناصر اللُّغة الثّانية l2 تقريبًا ناجحًا ومعتدلًا لأنماط اللُّغة الثّانية، أما مصطلحا الغرابة الزّائدة أو التَّغريب الزّائد فيشيران إلى نتاج محاولة المتكلِّم تقريب نمط اللُّغة الثّانية وتعميمه تعميمًا زائدًا، ولكن ما ينتج عن هذه المحاولة هو صورة مولَّدة غير موجودة في لغته الأولى أو الثّانية، ويمكن التَّعبير عن تلك الصّورة المولَّدة على وجه التَّبسيط بأنها صورة بدون لغة(٣٣)، فالتَّغريب الزّائد يتمثل في النُّطق الزّائف لعنصر من لغة ثانية مُختلِفة.

والمسألة المُهمَّة هنا تخصُّ العَلاقة بين هذه المصطلحات ومصطلح التَّصحيح الزّائد، وفي سبيل بيان هذه العَلاقة أَعْرِض هنا بعض المميزات الخاصَّة بهذه المصطلحات الَّتي أزعم أنها تبيِّن حدودها وعَلاقاتها. أوَّلًا يَتَّفق الباحثون على أن مصطلح التَّغريب الزّائد يمتاز بالسِّمات الآتية(٣٤):

١ - لا يتضمن أمثلة النُّطق الهجائي المعتمد على اللُّغة الأولى والنّاجم عن سوء فهم الإملاء الخاصّ باللُّغة الثّانية.

٢- لا يتضمَّن الصُّور النُّطقية غير الموجودة في اللُّغتين الأولى أو الثّانية.

(33) Janda, R., Joseph, B. D. & Jacobs, N. 1994: *Systematic Hyperforeignisms as Maximally External Evidence for Linguistic Rules*, p. 71.

(34) Ibid., p. 72 - 73.

٣- لا يتضمَّن الصُّور الَّتي تُنطق باللُّغة الأولى وليس لها وجود في اللُّغة الثّانية.

وعليه، فإن التَّغريب الزّائد - تَبَعًا لهذه السِّمات - يُعَدُّ نوعًا من الأنواع الفرعية للتَّصحيح الزّائد[٣٥]، والحقيقة أن التَّصحيح الزّائد في أغلب دراسات اللِّسانيات الاجتماعية واللِّسانيات التّاريخية ينقسم إلى نوعين هما: التَّصحيح الزّائد النَّوعي qualitative hypercorrection والتَّصحيح الزّائد الكَمِّي quantitative hypercorrection[٣٦]، وللتَّفريق بينهما نعود إلى مصطلح التَّصحيح الزّائد فهو يتضمن إنتاج صِيَغ غير صحيحة داخل ضَرْب لُغويٍّ معين لعنصر مأخوذ من ضَرْب لغوي مختلف؛ لأنه أعلى قيمة ومنزلة تبعًا لمعايير مُحدَّدة يراها المتكلِّم مَدْعاة إلى تقليده، فالمتكلِّم يحاول محاكاة الضَّرب الأعلى منزلة في سياقات رسمية؛ لأنه يشعر بأن هذا الضَّرب أكثر مناسبة من غيره؛ ومن ثَمَّ يصبح أكثر مَيْلًا إلى تقليد هذا الضَّرب وإلى مراقبة الحديث به، فإذا قدَّم المتكلِّم في سياق مناسب نماذج لعناصر هذا الضَّرب أكثر مما يقدمه أصحابه، فهذا هو التَّصحيح الزّائد الكَمِّي quantitative، أما إذا قدَّم هذا العنصر في سياق لا ينبغي له أن يظهر فيه، فهذا هو التَّصحيح الزّائد النَّوعي qualitative. والتَّغريب الزّائد - وَفْق هذا التَّحديد - ينتمي إلى التَّصحيح الزّائد النَّوعي حيث يخطئ متكلِّم اللُّغة الأولى في التَّعرُّف على التَّوزيع المميّز لأنماط اللُّغة الثّانية ويوسِّع استعمالها داخل بيئات تركيبية لا تنتمي إلى هذه اللُّغة[٣٧].

---

(35) Ibid., p. 73.

(٣٦) لمزيد من التفاصيل حول هذين المصطلحين انظر: دراسة Janda, R. & Auger, J. 1992

(37) Janda, R., Joseph, B. D. & Jacobs, N. 1994: op. cit., p. 74.

١١ - الاقتراض الزّائف pseudo loanword

ولعل مصطلح التَّغريب الزّائد بصفته السّابقة يكافئ مصطلح الاقتراض الزّائف pseudo loanword؛ ذلك أن الكلمة المقترضة داخل اللغة المصدر source language لها صورة صوتية معينة، ولكن بدخولها اللُّغة الهدف target language، فالحاصل أنه إذا كان نظام التَّصويت لديها يتشابه مع نظيره في اللُّغة المصدر، فالاقتراض في هذه الحالة اقتراض غير زائف يحافظ على السِّمات النُّطقية للكلمة المقترَضة، أما إذا كان نظاما التَّصويت مختلفين، فإننا أمام حالة من حالات الاقتراض الزّائف؛ لأن الكلمة المقترَضة في هذه البيئة ليست هي نفسها الكلمة في لغتها المصدر[٣٨].

١٢ - إحياء زائدhyperarchaism

إن مصطلح التَّغريب الزّائد يتضمن كذلك ما يُطلَق عليه الإحياء الزّائد hyperarchaism، وهي حالة فريدة من حالات الاقتراض الدّاخلي. ولبيان مفهوم هذا المصطلح نقف أولًا عند عنصر من عناصره وهو مصطلح archaism ويُقصَد به الكلمة أو الصّيغة القديمة المهجورة، كما يُطلَق أيضًا على إحياء استعمال مثل هذه الصِّيغ؛ لذا يرتبط الإحياء الزّائد بالتَّغريب الزّائد حيث يدل في هذا السِّياق على استعمال المتكلِّم كلمة تنتمي إلى مرحلة سابقة من مراحل اللُّغة في سياق جديد، ومن ثَمَّ يختلفان فقط من حيث مصدر هذه الصِّيغ، ففي حالة التَّغريب الزّائد يَستعمل المتكلِّم صيغة من لغة مختلفة، وفي الإحياء الزّائد يَستعمل صيغة من لغته الأصلية.

وفيما يخصُّ العربية الوسيطة يرى «هَري» أن متحدِّثي العامية العربية

(38) After Janda, R., Joseph, B. D. & Jacobs, N. 1994: p. 74.

يميلون إلى التَّغريب الزّائد للكلمات الَّتي اقترضتها لغتهم من لغة أخرى عندما تكون معرفتهم باللُّغة الثّانية غير كافية أو يرغبون في تنميق حديثهم بهذه الكلمات الأجنبية باعتبارها دليلًا على المكانة. أما أمثلة الغريب الزّائد الَّتي ساقها «هَري» فتتمثل في نُطق أهل بغداد ودمشق الكلمة الإنجليزية bus على الصّورة pas باص، والقاعدة هنا – كما يشير «هَري» – أن صوت الباء الثَّقيلة p يقع داخل اللَّهجة حينما يكون هناك اقتراض مباشر من اللُّغة الأجنبية؛ لذا فإنهم يميلون إلى تغريب هذه الكلمة المقترَضة لاعتقادهم أنه قد جرت لها مماثلة مع النِّظام الصَّوتي العربي(٣٩).

١٣- تطويع زائد hyperadaptation

إن التَّطويع الزّائد هو عملية ناجمة عن الاحتكاك اللَّهجي تَتَّضح حينما يحاول متكلِّم ضَرْب ما تغيير سمات ضَرْب آخر، ولكنه يبالغ في هذا التَّغيير(٤٠)، كذلك يمكن تعريفه بأنه توسيع نمط أو عنصر بنيوي وتعميمه داخل موقف الاحتكاك بعيدًا عما هو ثابت له تاريخيًّا واشتقاقيًّا اعتمادًا على فَهْم المتكلِّم للقواعد الخاصَّة بصيغ أخرى(٤١)، وعليه أمكن تقسيم التَّطويع الزّائد وَفْقَ عَلاقته بفاعلية المتكلِّم إلى قسمين هما: التَّصحيح الزّائد والتَّغريب الزّائد(٤٢)، وقد تحدثت عنهما في الأقسام السّابقة من هذا البحث، ولكن إذا كانت مناقشة الباحثين للتَّغريب الزّائد قد آلت إلى اعتباره قسمًا من التَّصحيح

---

(39) Hary, B. 2007: op. cit., p. 277.

(40) See: Trudgill, B. 2003: *A Glossary of Sociolinguistics*, p. 59. Edinburgh University Press.

(41) See: Joseph, B. D. 2009: *On Some Hyperadaptations in Greek and in Greece*, p. 27f.

(42) See: Joseph, B. D. 2009: op. cit., p. 27f.

الزّائد النَّوعي، فإن التَّطويع الزّائد قد يشمل نوعي التَّصحيح الزّائد: الكمي والنَّوعي، زد على هذا أن أمر التَّطويع الزّائد لا يقف عند هذا الحد، بل يَتَّصل كذلك بما يُسمّى التَّلهيج الزّائد hyperdialectism والتَّفاصُح الحَضَريّ hyperurbanism حيث يعمل المتكلِّم ذو الضَّرب اللَّهجي الأقل مكانة على تعميم زائد overgeneralization لأشكال لهجية حضرية(٤٣).

والمثال الَّذي يضربه «هَري» على التَّطويع الزّائد - رغم أنه يتعلق باللُّغة الإنجليزية - مثال مُهِمٌّ في تعرُّف حدود التَّطويع الزّائد. يقول «هَري»: إن زائرًا من جوهانسبرج يظن الإنجليزية الأمريكية ضربًا أعلى منزلة ويريد أن يبين أصالتها فيه قد ينطق بجملة مثل:

i don’t guess he’s coming tomorrow.

(لا أخمن أنه سيأتي غدًا.)، بدلًا من القول:

i don’t think he’s coming tomorrow.

(لا أظن أنه سيأتي غدًا.)

وذلك لأن think شائعة في لهجته، وهو يعلم أنه يمكن - في الإنجليزية الأمريكية - استعمال كلمة guess مكان think، ومن ثَمَّ فهو يستعمل guess في بيئة تركيبية غير صحيحة؛ لأن guess لا تأتي في جملة منفية(٤٤)، والمتكلِّم في المثال السّابق يحاول تنميق كلامه، ولكنه غيَّر سمة من سمات الضَّرب الأعلى منزلة وبالغ في هذا التَّغيير.

ويرى «هَري» أن حالات كثيرة من حالات الاحتكاك اللَّهجي في العربية تنتمي إلى التَّطويع الزّائد، ومن هذه الحالات الحالة الَّتي يمثِّلها مصطلح

(43) Trudgill, B. 2003: op. cit., p. 59.

(44) See Hary, B. 2007: op. cit., p. 276.

التَّعويض الخاطئ التّالي:

false regression = false restitution

١٤- تراجع خاطئ = تعويض خاطئ

وعلى الرَّغم من أن «هَري» نَسَب هذه الظّاهرة بصورة واضحة إلى التَّطويع الزّائد، ولكنه عاد فجمعها تحت عنوان التَّصحيح الزّائد(٤٥)، ولكن إذا احتكمنا إلى المعايير الَّتي وضعها «هَري» للتَّصحيح الزّائد - الَّتي بيَّنّاها في قسم سابق من هذا البحث - نجد أن هذه الظّاهرة لا تنتمي إلى التَّصحيح الزّائد بقَدْر ما ترتبط بالتَّطويع الزّائد؛ لأن الغالب على التَّطويع الزّائد هو تجنُّب المتكلِّم استعمال سمة موسومة في الضَّرب اللَّهجي الَّذي ينتمي إليه، واستعمال سمة غير موسومة - بالنِّسبة إليه - في الضَّرب الأعلى مكانة. يقول «هَري»: إن النَّصارى واليهود البغداديين يستعملون في لهجتهم الصَّوت الطَّبقي الاحتكاكي [y] بديلًا عن الصَّوت الفصيح [r]، ولكن المسلمين البغداديين من ناحية أخرى يستعملون الصَّوتين [g] و[r] طبقًا للعربية الفصحى، فعندما يريد النَّصارى واليهود البغداديون تجنُّب السِّمة الموسومة المميزة [y] فإنهم يستعملون مكانها السِّمة غير الموسومة [r] حتى ولو كان هذا الإبدال لا تتطلبه اللَّهجة الغالبة أو العربية الفصحى ... وهذه الحالة من التَّطويع الزّائد يمكن أن تُسَمّى الإرجاع الخاطئ أو التَّعويض الخاطئ(٤٦).

أما المثال الثّاني الَّذي ضربه «هَري» للتَّعويض الخاطئ وعَنْوَنَهُ بوصفه حالة خاصة من حالات التَّصحيح الزّائد فهو خاصٌّ بالعربية اليهودية التُّونسية الَّتي اعتادت أن تحذف الصَّوت الاحتكاكي المزماري [h] ثم أعاد اليهود

---

(45) See: Hary, B. 2007: op. cit., p. 276-7.

(46) Hary, B. 2007: op. cit., p. 276.

التِّونسيون استعماله في كتاباتهم ولو لم تكن هناك حاجة تدعو إلى هذا (٤٧).

وأحسب أن هذا المثال لا يختلف كثيرًا عما سبقه من أمثلة عزاها «هَري» إلى التَّطويع الزّائد، ولعل التَّطويع الزّائد يقوم - من وجهة نظري - على فكرة التَّبديل بصورة أساسية، فالمثال السّابق الخاص بالإنجليزية تم فيه إبدال كلمة بأخرى قريبة المعنى، ولكن في بيئة تركيبية مختلفة، وهنا يتم استبدال سمة فصيحة بأخرى غير فصيحة، ولا تنطبق معايير التَّصحيح الزّائد الأربعة الَّتي ساقها «هَري» على أي من هذه الأمثلة، فهي تنتمي إلى التَّطويع الزّائد النّاجم عن المبالغة في بيان السِّمة واستبدالها.

صيغ مزيج mixed forms

يرى «هَري» أنه إذا كان من السَّهل التَّمييز بين التَّصحيح الزّائد والتَّصحيح النّاقص، وبين التَّصحيح الزّائد والتَّطويع الزّائد، إلا أنه من الصَّعب تعيين الصِّيغ المزيج أو الأخطاء البسيطة(٤٨). وعلى أية حال يمكننا تعريف الصِّيغ المزيج بأنها تلك الصِّيغ الَّتي تحتوي على عنصر عامِّي أو لهجي وعنصر آخر من العناصر الأدبية، بمعنى أن تكون لدينا صيغة تجمع بين عنصر يتميز بسمة عامية وآخر أدبي يتبع قواعد الضَّرب الفصيح، ومثال الصِّيغ المزيج الَّتي لها عَلاقة بالتَّصحيحات الزّائفة هنا قولهم: (على كِلٍّ) ففيها عنصر عامي وهو الكسرة الَّتي شغلت حرف (الكاف) بديلًا عن الضَّمَّة، وعنصر فصيح وهو التَّنوين(٤٩).

والحقيقة أنه على الرَّغم من بساطة تعريف الصِّيغ المزيج، إلا أن هناك

---

(47) Hary, B. 2007: op. cit., p. 277.

(48) Hary, B. 2007: op. cit., p. 278.

(49) Hary, B. 2007: op. cit., p. 276.

مجموعة من الأمثلة الَّتي يصعُب فيها تحديد ما إذا كانت الصِّيغة تنتمي إلى التَّصحيح النّاقص أو إلى الصِّيغ المزيج، ومثال هذا قولهم: (طريء / '/ = طريق / q/) بإبدال القاف همزة، فهذا المثال يمكن النَّظر إليه على أنه تصحيح ناقص لاحتوائه على سمة لهجية تتمثل في هذا الإبدال الصَّوتي من القاف إلى الهمزة، ولاحتفاظه بالسِّمة الفصحى في الصّيغة وهي حركة الفتح / a/ على الرّاء، وكذلك يمكن النَّظر إليه على أنه مجرد صيغة من الصِّيغ المزيج(٥٠).

أسباب التَّصحيح الزّائف

هناك اتِّفاق واسع بين أغلب المُشتغلين على نصوص العربية الوسيطة على أن عدم تمكُّن كُتّابها من القواعد النَّحوية للضَّرب الأعلى مكانة أو نقص معرفتهم بهذه القواعد – هو من أهم الأسباب الَّتي تنتج عنها أمثال هذه التَّصحيحات والانحرافات، ولكن هناك حشد كبير من هذه النُّصوص ترك هامشًا كبيرًا لاستنتاج سبب آخر نجده عند «ڤرستيج»؛ حيث ذكر أن استعمال بعض عناصر العامية لم يكن أكثر من ظاهرة أسلوبية يَقصد الكاتب بها مغازلة المتلقّي أو القارئ خاصة في بعض القصص المكتوبة الَّتي تصوِّر الخليفة أو الأمير على أنه يَستعمل لغة لا تختلف عن لغة النّاس العامية(٥١)، ومثَّل «ڤرستيج» لهذا بالقطعة التّالية من إحدى هذه القصص:

«في زمان الخليفة هارون الرَّشيد كان الخليفة **ذات يوم من الأيام** ضاق صدره **فاستدعى** بالوزير جعفر وقال له يا وزير صدري ضيق وزعلان في هذا اليوم **مرادي** أتبادل أنا وأنت ومنصور سياف النِّقمة ونسوق في بغداد نتفرج على شوارع بغداد وأسواقها وننظر أحوال الرَّعيَّة .»

(50) Ibid., p. 278.

(51) Versteegh, K. 2005: op. cit., p. 8.

ففي هذه الفِقرة ما زالت العربية الفصحى هي المعيار، ويستشهد «ڤرستيج» على هذا بوجود تعبيرات مثل: (ذات يوم)، واستعمال الرّابط (الفاء)، واستبدال الكاتب (مرادي) بالعنصر العامي (بدي)، ومع تطوُّر القصة بدأت شخصياتها في استعمال مستوى كلامي مختلف تمامًا. ويريد «ڤرستيج» - من عرضه هذا المثال - تأكيد أن استعمال الكاتب لعناصر من العامية أو اللَّون المحلِّي من أجل إمتاع القُرّاء قد يتسبب في التَّصحيح الزّائد، ويشير كذلك إلى أن هناك من الأخطاء ما يتسبب فيها العاملان معًا؛ أي الحِلية الأسلوبية، ونَقْص الكفاءة النَّحوية. وتعليل هذا أن الكاتب باستعماله عناصر عامية حتى لو كانت مُجرَّد حِلية أسلوبية، فإنه يكشف عن عدم تمكُّنه عن طريق استعمال سمات لا تتشابه تمامًا مع الضَّرب العامي مما ينتج عنه تصحيحات زائدة[٥٢]. ويصل «ڤرستيج» - من جميع هذه الأمثلة - إلى نتيجة مُؤَدّاها أن العربية الفصحى كانت نموذجًا و هدفًا يحاول الكتّاب محاكاته.

ولكن «شڤتيل» a. shivtiel ينظر إلى هذه التَّصحيحات من زاوية أخرى، فيرى أنه ربما نَتَّفق على أن هذه التَّصحيحات ناجمة عن جهل الكاتب بالقواعد ورغبته الواضحة في محاكاة ضرب فصيح يتسم بالالتزام بقواعد الفصحى. ولكن من ناحية أخرى هناك بعض حالات من هذه التَّصحيحات تمثل صيغًا لهجية لا تشكل تشويهًا لقواعد العربية الفصيحة، مثل تلك الصِّيغ الموحَّدة unified مثل: أبوك وأخوك، وليس بالضَّرورة النَّظر إلى هذه الحالات على أنها تشويه مُتعمَّد لقواعد العربية الفصحى، بل على أنها صيغ موحَّدة تم قَبولها داخل اللَّهجات بوصفها أشكالًا مُباحة[٥٣].

---

(52) Ibid., p. 9-10.

(53) Shivtiel, A. 1991: *The Maze of Arabic,* p. 14-38. In Kaye, A. S. (ed.): Semitic =

وقريب من رؤية «شڤتيل» نجد مَن يشير إلى أنَّ من أهم الأسباب الأخرى الكامنة وراء هذه الأخطاء هو تعرُّض أصحاب هذه النُّصوص لتراكيب وبنيات لم يتم تعلُّمها بصورة جيدة وأنهم كانوا يصدرون فيها عن لغتهم الأم، يقول د «محمد الشَّرقاوي»:« أتصور أن التَّشابهات بين اللَّهجات العربية الجديدة ونصوص العربية الوسيطة تبيِّن أن من يملي نصًّا كان ينطلق مما يعرف ويملك كلغة أم، ويحاول مع ذلك تجميل النَّصّ بسمات يتصور فصاحتها ... لذلك من الطَّبيعي أن تُنتج الجاليات غير العربية في الإمبراطورية الوليدة نصوصًا مكتوبة بحرف غير عربي وتحتوي على أخطاء ... وتحتوي كذلك على سمات عامية أكثر ومفردات مُقتبَسة من لغات أجنبية(٥٤).»

التَّصحيح الزّائف وتغيُّر اللُّغة

لا شَكَّ في أن تغيُّر لغة عملية ليست ذاتية داخلية تحدث من تلقاء نفسها، ولكنها مرتبطة بصورة كبيرة بالعوامل الاجتماعية؛ بمعنى أنها تحدث في سياق اجتماعي معين له صفاته وخصائصه وأسبابه الَّتي تستدعي مثل هذا التَّغيُّر، ولعل أي حالة من حالات الاحتكاك اللُّغوي أو اللَّهجي تكفُل التَّعبير عن جانب معين من جوانب هذا التَّغيُّر، فهناك مَن يرى أن الاحتكاك اللُّغوي يعضِّد حدوث تغيُّرات لا ترتبط به هي التَّغيرات المستقلة، ولكن هذه التَّغيُّرات – بلا شك – تتأثر في مرحلة من المراحل بهذا الاحتكاك(٥٥).

وفي حالة العربية الوسيطة نلحظ أن تلك الأسباب الَّتي تنجُم عنها أخطاء

= Studies, in honor of Wolf Leslau, on The Occasion of his eighty-fifth birthday, vol. 2, pp. 1435 - 42. Otto Harrassowitz, Wiesbaden.

(٥٤) انظر د. محمد الشرقاوي ٢٠١٣: الفتوحات اللُّغوية، مرجع سابق، ص ١٣٢.

(55) See: Heine, B. & Kuteva, T. 2005: *Language Contact and Grammatical Change*, p. 5. Cambridge University Press.

التَّصحيح الزّائف تشكل عاملًا مهمًّا من عوامل تغيُّر اللُّغة، بل إن ظاهرة التَّصحيح الزّائف بوجه عامّ تُعَدُّ آلية من آليات التَّغيُّر في جميع اللُّغات[٥٦]، فبعض التَّصحيحات كما يقرِّر «هَري» يتم النَّظر إليها داخل التَّنوُّع الأقل مكانة على أنها صيغ قياسية؛ ومن ثَمَّ تشترك مثل هذه التَّصحيحات في عملية التَّغيُّر[٥٧]، وبخاصة إذا عَمَّت وانتشرت وتم قَبولها[٥٨]، والمثال الَّذي يشير إليه «هَري» في هذا الصَّدد هو المثال الخاص بالأداة (لم) المتبوعة بفعل ماض تامّ، فاستعمال (لم) على هذه الصّورة في العربية المصرية اليهودية يعد دليلًا على تصحيح زائف، فالأداة (لم) هنا هي بديل أداة النَّفي (ما) الَّتي يتلوها فعل ماض، ولكن هذا الاستعمال كان واسع الانتشار، ومن ثَمَّ تم قَبوله في هذه اللَّهجة ليصبح جزءًا منها[٥٩]، كذلك يشير «هَري» إلى تخفيف الهمزة [رأس – راس، كأس – كاس، رديء – ردي] على أنه صورة من التَّصحيحات الزّائفة الَّتي يتم قَبولها داخل اللَّهجة وتقييسها وكانت سببًا في تغيُّر اللُّغة[٦٠].

الخاتمة

عَرضت في الصَّفحات السّابقة تعريفًا اصطلاحيًّا متواضعًا لظاهرة التَّصحيح الزّائف وصورها ومصطلحاتها المختلفة، وإذا كانت دواعي هذا التَّعريف ترتبط بما لهذه المصطلحات من صلة كبيرة بما اتُّفق على تسميته العربية الوسيطة، فإن هذا الإطار من المعالجة يتغيَّر بتغيُّر مفهوم العربية الوسيطة نفسه ويؤول إلى ما آلت إليه، ومن ثَمَّ يفتح آفاقًا جديدة في دراسة

---

(56) Hary, B. 2007: op. cit., p. 275.

(57) Ibid., p. 275.

(58) Ibid., p. 278.

(59) Ibid., p. 279.

(60) Ibid., p. 279.

نصوص العربية المعاصرة وصورتها النَّحوية المميزة؛ لأن مسار تحوُّل مفهوم العربية الوسيطة، من الإشارة إلى ضَرْب لغوي صاحب فترة تاريخية مُحدَّدة من حياة العربية، ثُمَّ إلى ضَرْب يجمع بين العناصر الفصحى والعامية، فعنوان على نصوص تكون فيها اللُّغة الفصحى هي الهدف، هذا المسار يؤكد حياة ظاهرة التَّصحيح الزّائف واستمرارها في العربية حتى عصرنا هذا.

المصطلحات الواردة في البحث

مهجور	archaism
أصالة	authenticity
اعتبار خفي	covert prestige
تراجع خاطئ	false regression
تعويض خاطئ	false restitution
تغريب	foreignism
نصف تصحيح	half-correction
تطويع زائد	hyperadaptation
إحياء زائد	hyperarchaism
تصحيح زائد	hypercorrection
تلهيج زائد	hyperdialectism
غريب زائد	hyperforeign
غرابة زائدة	hyperforeignism
تغريب زائد	hyperforeignization
تفاصُح حضري	hyperurbanism
تصحيح ناقص	hypocorrection
سمة موسومة	marked feature
العربية الوسيطة	middle arabic
الإنجليزية الوسيطة	middle english
صيغ مزيج	mixed forms
اعتبار سلبي	negative prestige
تصحيح زائد	overcorrection
تعميم زائد	overgeneralization
اعتبار ظاهر	overt prestige
اعتبار إيجابي	positive prestige
اعتبار	prestige
تصحيح زائف	pseudocorrection
سمات التَّصحيح الزّائف	pseudocorrection features
اقتراض زائف	pseudo loanword
تصحيح زائد نوعي	qualitative hypercorrection

تصحيح زائد كمي	quantitative hypercorrection
اللُّغة المصدر (المانحة)	source language
اللُّغة الهدف (المستقبلة)	target language
سمة غير موسومة	unmarked feature
سمات عامية	vernacular features

مراجع البحث

د. رمزي البعلبكي ١٩٩٠: معجم المصطلحات اللِّسانية، لبنان: دار العلم للملايين.

كيس ڤرستيج ٢٠٠٣: اللُّغة العربية؛ تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، تر: د. محمد الشرقاوي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

د. محمد الشرقاوي ٢٠١٣: الفتوحات اللُّغوية؛ انتشار اللُّغة العربية و ولادة اللَّهجات في القرن الأول الهجري. القاهرة، بيروت، تونس: دار التنوير.

د. منتصر أمين عبد الرحيم ٢٠١٣: معجم الفروق في المصطلح اللُّغوي الحديث. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

Blau, J. 1981a:

The State Of Research In The Field Of The Linguistic Study Of Middle Arabic. **Arabica, t. 28, fasc. 23/, numéro spécial double: études de linguistique arabe (jun. - sep., 1981), p. 187 - 203.**

Blau, J. 1981b:

The Emergence And Linguistic Background Of Judaeo-Arabic: A Study Of The Origins Of Middle Arabic. **Leiden: Brill.**

Hary, B. 2007.

Hypercorrection. **In Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol. 2. Leiden and Boston: Brill. 2007, p. 275 - 79.**

Heine, B. & Kuteva, T. 2005:

Language Contact And Grammatical Change. **Cambridge University Press.**

Janda, R., Joseph, B. D. & Jacobs, N. 1994:

Systematic Hyperforeignisms As Maximally External Evidence For Linguistic Rules. **In Lima, S., Corrigan, R. & Iverson, G. (eds.), The Reality of Linguistic Rules. John Benjamin's Publishing Co., p. 67 - 92.**

Janda, R. & Auger, J. 1992.

Quantitative Evidence, Qualitative Hypercorrection, Sociolinguistic Variables... And French Speakers **''Headhaches" with English h/o. Language and Communication, vol. 12 (3 - 4): p. 195 - 236.**

Johannes Den Heijer 2012:

Middle And Mixed Arabic: A New Trend In Arabic Studies. **In Zack, l. & Schippers, A. (eds.) 2012: Middle Arabic and Mixed Arabic: Diachrony and Synchrony. Leiden: Brill. p. 1 - 25.**

Joseph, B. D. 2009:

On Some Hyperadaptations In Greek And In Greece. **p. 27f. In A. Ralli, B. Joseph & M. Janse (eds.) Proceedings of The Third International Conference of Modern Greek Dialects and Linguistic Theory (Lefkosia, Cyprus, June 14 - 16, 2007). Nicosia, Cyprus: Research Centre of The Kykkos Monastery, 2009, p. 27 - 36.**

Shivtiel, A. 1991.

The Maze Of Arabic. **In Kaye, A. S. (ed.): Semitic Studies; In Honor of Wolf Leslau, On the Occasion of His Eighty-Fifth Birthday, vol. 2, p. 1435 - 42. Otto Harrassowitz, Wiesbaden.**

Swan, J. et al. 2004:

A Dictionary Of Sociolinguistics. **Edinburgh University Press.**

Trudgill, B. 2003:

A Glossary of Sociolinguistics. **Edinburgh University Press.**

Versteegh, K. 1983.

Arabic Grammar And The Corruption Of Speech. **In Ramzi Baalbaki (ed.): Arab Language and Culture, p. 117 - 138. (= Al-Abḥāth, 31). Beirut: American University of Beirut.**

Versteegh, K. 2005:

Breaking The Rules Without Wanting To: Hypercorrection In Middle Arabic Texts. **In Alaa Elgibali (ed.) : Investigating Arabic: Current Parameters In Analysis and Learning. Leiden: Brill. p. 3 - 18.**

Versteegh, K. 2010:

Pidgin Arabic And Arabi Sa'ab: The Influence Of The Standard Language In The History Of Arabic. **JSAI= Jerusalem Studies In Arabic and Islam (37): p. 61 - 79.**

الفصل السادس

مقدمة «فهرس مصطلحات الفَرّاء في تفسيره للقرآن»

نفتالي كينبرج

تقدمة

تُعَدُّ صناعة الفهارس الخاصة بأعمال نحوية لها موقعها ومكانتها التّاريخية داخل علم النَّحو العربي من الأمور المُهمَّة الَّتي يجب علينا الاهتمام بها لما لها من فائدة كبيرة في قراءة هذا العمل أو ذاك من ناحية، وفي التَّأريخ للألفاظ والمصطلحات النَّحوية وعَلاقاتها الدّاخلية من ناحية أخرى.

وهذه الصِّناعة ترتبط الآن بتوجُّه استشراقي جادّ يؤكد على أهمية هذه الأعمال وضرورة إنجازها. ويمكننا أن نعتبر الفهرس الَّذي نقوم بترجمة مقدِّمته هنا من أهم الأعمال الَّتي تم إنجازها في هذا المضمار مسبوقًا بفهرس مصطلحات سيبويه لجيرارد تربو G. Troupeau الَّذي صدر سنة ١٩٧٦، فقد صدر فهرس نفتالي كينبرج N. Kinberg لمصطلحات الفَرّاء سنة ١٩٩٦، وإن كان العمل فيه قد بدأ بالفعل قبل سنوات عديدة من تاريخ إصداره[١].

---

(١) راجع تصدير كيس ڤرستيج لكتاب كينبرج: =

فمثل هذه الأعمال تحتاج إلى جهد كبير؛ لأن الأمر فيها لا يتعلق بالمصطلحات النَّحوية الَّتي باتت معروفة ومشهورة بقَدْر ما يتعلق أيضًا بمجموعة الألفاظ الَّتي لها أبعاد صوتية أو صَرْفية أو نحوية أو دَلالية لم تنتشر بعد ولم تأخذ وَسْمها الاصطلاحي، ولكنها من وجهة نظري مُهِمَّة في التَّعرُّف على تطوُّر المصطلح النَّحوي عن كلمات غير فَنِّية والتَّأريخ لها عبر مراحل أو مدارس نَحَوْية مختلفة. ولعل التَّعرُّف على مثل هذه الألفاظ يحتاج ممن يَتصدّى لها إلى ممارسة وخبرة كبيرة في مجال النَّحو العربي والتَّعامل مع مصادره وروافده المتعدِّدة.

وللصُّعوبات الكثيرة الَّتي تجابه عمل المُفهرِس أو صانع المعجم تجد العديد من أوجه الانتقادات والمآخذ الموجَّهة إلى هذا العمل أو ذاك، ولقد حصر د. حسن حمزة بعض هذه الوجوه فيما يخص فهرس كينبرج في وجود خلل في عرض تواتر المصطلحات، وتعدُّد المعاني وتكدُّس شواهدها دون تمييز لهذه المعاني[٢].

وبعيدًا عن هذه الانتقادات الَّتي تروم مساعدة المُفهرِس على إنتاج فهرس جيد يستجيب لحاجات القُرّاء وللمُتطلَّبات النَّظرية المحيطة بعمله ترى أن مقدمة فهرس كينبرج تعد دراسة مصطلحية وافية لمصادر المصطلح النَّحوي عند الفَرّاء وروافده المختلفة، كذلك تجدها تعرُج على السِّمات الَّتي تميز مجموع هذه المصطلحات، ليس هذا فقط، بل تجد فيها من النَّتائج المُهمَّة - الَّتي توصل إليها كينبرج من خلال دراسته لهذه الألفاظ والمصطلحات

Kinberg, N. 2001: *Studies in the Linguistic Structure of Classical Arabic*, edited by = Leah Kinberg & C. H. M. Versteegh, p. viii. Brill.

(٢) راجع د. حسن حمزة ٢٠٠٦، ص ٢٥ - ٢٦.

المختلفة - الَّتي تتعلق بموضع الفَرّاء بين النُّحاة السّابقين واللّاحقين، ولهذا وجدت هذه المقدِّمة تستحق عناء تعريبها لما تمثِّله من حلقة مُهمَّة من حلقات البحث في المصطلح النَّحوي العربي وتطوُّره ومصادره وعَلاقاته. وتقع هذه المقدمة في الصَّفحات من (٩) التّاسعة إلى (٢٣) الثّالثة والعشرين من الفهرس:

Kinberg, N. 1996:
A Lexicon Of Al-Farra's Terminology In His Qur'an Commentary With Full Definitions, English Summaries And Extensive Citations. Brill.

الترجمة

المقدمة

١- مصادر النَّظرية النَّحوية ومصطلحاتها عند الفَرّاء

إن مصطلحات الفَرّاء (ت ٢٠٧ هـ، ٨٢٢م) في معاني القرآن تشبه إلى حد كبير مجموع المصطلحات المستخدمة لدى سيبويه (ت ١٨٠ هـ، ٧٩٦م) في كتابه، وفي معظم الحالات الَّتي يغيب فيها التَّناغم والانسجام عن هذه المصطلحات، فإن التُّراث العربي يفسِّر الاختلافات الواقعة بينهما على أنها انعكاس لمجموعين اصطلاحيين تَمَّ استعمالهما من قبل مدرستي النَّحو المتنافستين: مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة.

وتبعًا لهذا التَّفسير تمثِّل المصطلحات المستعمَلة لدى سيبويه مدرسة البصرة، في حين تعكس المصطلحات المستعمَلة لدى الفَرّاء مصطلحات المدرسة الكوفية، ولقد نمَّط التُّراث العربي هذه الاختلافات بين المدرستين؛ ومن ثَمَّ فإن هذه الاختلافات تقدَّم عادة على أنها تمثيل لمفاهيم لُغوية مترادفة (ڤرستيج Versteegh ١٩٩٣: ص ١٢ وما بعدها)، ولقد أصبح هذا التَّعامل

التُّراثي مع تلك الاختلافات موضع بحث في الدِّراسات الحديثة الَّتي أبانت عن أن «التَّرادفات الظّاهرية لهذه المصطلحات في حقيقة الأمر مختلفة تمامًا في الواقع من حيث المعنى والاستعمال.» (ڤرستيج ١٩٩٣: ص١٩٣)

ولقد قارنت بعض الدِّراسات الحديثة الأخرى مادة كتاب «معاني القرآن» بالمصادر الأولى الَّتي تعود إلى القرن الثّاني بعد الهجرة، وبيَّنت أن بعض نقاط الاختلاف بين الفَرّاء وسيبويه يمكن إرجاعها إلى مصادر سبقت ظهور الكتاب، فقد وجد طلمون Talmon ١٩٩٣ أن آثار رؤى خصوم سيبويه - بالنَّظر إلى نقاط مُحدَّدة من الخلاف - يمكن أن تكون موجودة في كتاب «معاني القرآن» للفَرّاء، وخَلَص طلمون إلى أنه «من البديهي أن تعليم الفَرّاء لم يكن اتِّجاهًا كوفيًّا... ولكن معظمه كان وثيقة من الإنجازات النَّحوية الَّتي سبقت ظهور سيبويه.» (طلمون ١٩٩٣، ص ٢٧٨)

وبَحَثَ ڤرستيج سنة ١٩٩٣ المصطلحات الموجودة في التَّفاسير الأولى، وتبعًا لنتائج دراسته، فإن آثار بعض المصطلحات الَّتي وُجِدت في كتاب معاني القرآن - الَّتي قُدِّمت في التُّراث العربي على أنها كوفية - يمكن النَّظر إليها في التَّفاسير الأولى على أنها ذات مصادر مختلفة (ڤرستيج ١٩٩٣، ص ١٩٧). ونتيجة ڤرستيج هذه قريبة الشَّبه مما جاء به طلمون، غير أن ڤرستيج ما زال متقيِّدًا بالتَّقسيم [بصري-كوفي]؛ «فلو حق افتراض أن التُّراث الكوفي يَتَّصل بصورة مباشرة بالتُّراث التَّفسيري المبكِّر، فإن التُّراث البصري لا بد أن يكون أكثر جِدَّة مما يُنْسَب إليه في العادة.» (ڤرستيج ١٩٩٣، ص ١٩٨)

ومن وجهة نظري لا ينبغي أن نستنتج بصورة مُسبَقة من خلال النَّتائج السّابقة أن أية شواهد موجودة في كتاب معاني القرآن تمثِّل تراثًا نحويًّا سبق سيبويه، وهذه الرُّؤية تعتمد على الحُجَج التّالية:

١ - حقيقة أن الفَرّاء لم يكن متابعًا دقيقًا لأي تراث سابق تم تأكيدها بصورة واضحة داخل كتاب «معاني القرآن»؛ حيث يَدْحَض الفَرّاء مرارًا وتكرارًا الرُّؤى النَّحوية لأستاذه الكسائي (ت ١٨٩هـ، ٨٠٥م)، وبقصد توضيح مَقْصِدي هنا سوف أقدِّم تحليلًا مُفصَّلًا لحالتين نتبيَّن ـ من خلالهما بصورة واضحة ـ موقف الفَرّاء من التُّراث السّابق والمعاصر (قارن أيضًا ديڤينيه Dévényi ١٩٩١: ص ١٦٤- ١٦٩).

ففي تفسيره الآية ٤٨ من سورة البقرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ يسمح الفَرّاء بإعادة صياغة الضَّمير العائد المحذوف من جملة الصِّلة بإحدى طريقتين: الأولى بوصفه ضميرًا مفعولًا مرتبطًا بالفعل، والأخرى باعتباره ضميرًا مرتبطًا بحرف الجر (في). وتبعًا لشهادة الفَرّاء، فإن الكسائي لا يسمح باستتار عبارة الجار والمجرور داخل جملة الصِّلة، ومن ثَمَّ فهو يُصِرُّ على أن إعادة صياغة ذلك الضَّمير العائد يجب أن تتم بوصفه ضميرًا مفعولًا مرتبطًا بالفعل. كما اقتبس الفَرّاء رأي أحد البَصْريين الَّذي مَفادُه أن الضَّمير المُستَتِر داخل هذه البِنية يجب أن يرتبط بحرف جر مُستتِر، وهُويَّة ذلك البَصْري غير محددة، ولكن من الجدير بالملاحظة هنا أن سيبويه فسَّر هذه الآية عن طريق إعادة صياغة عبارة جار ومجرور [فيه] (الكتاب ١/ ص ١٩٣). وعلى الرَّغم من أن سيبويه لم يناقش هناك مسألة إعادة صياغة ضمير مفعول يرتبط بالفعل، إلا أن الفَرّاء كان بصورة واضحة قريبًا في تفسيره هذا من الاتِّجاه البَصْري عنه من الكسائي. فالفَرّاء اتَّبع كلا الأستاذين، وجاء تفسيره أقرب إلى الأخفش (ت ٢١٥هـ/ ٣٨٠م) في كتابه معاني القرآن (١/ ص ٢٥٨: ٢٦٠) الَّذي أخذ بكلتا الطَّريقتين في إعادة صياغة الضَّمير العائد دون اعتراض على إحداهما.

والمثال الثّاني الَّذي يبيِّن موقف الفَرّاء من كلتا المقاربتين الجديدة والقديمة للنَّحو يوجد في تقديمه لـ «النَّصب على المدح والذَّمّ» (معاني القرآن ١/ ص ١٠٥-٤، ص١٠٨-١٢)؛ ففي شرحه لحالة النَّصب في قوله تعالى: (**والصّابرين**) [البقرة ٧٧١] أورد الفَرّاء مثالًا هو ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النساء:١٦٢]. واقتبس الفَرّاء تفسيرات مختلفة للحالة الإعرابية غير الواضحة لكلمة (المقيمين) الَّتي أحيطت بمجموعة من الأسماء الَّتي وردت جميعها في حالة رفع:

(١) تبعًا للرِّواية المنسوبة إلى عائشة (رضي الله عنها) تُعَدُّ هذه حالة من الحالات الكثيرة الَّتي يظهر فيها خطأ النّاسخ (كان خطأ من الكاتب)، ولهذه الرِّواية صورة مماثلة وردت في «معاني القرآن» ٢/ ص١٨٣.

(٢) شرح النَّحويون هذه الحالة لكلمة (والمقيمين) على أنها مجرورة بالعطف على واحد من الأسماء المجرورة السّابقة، كالعطف على «منهم»، أو «إليك»، أو «من قبلك» على التَّوالي.

(٣) كانت رؤية الكسائي قريبة من رؤية النَّحويين؛ حيث حَدَّد حالة الجر لـ (المقيمين) بالعطف على الجار والمجرور السّابق «بما».

(٤) عَيَّن الفَرّاء لـ(المقيمين) حالة النَّصب على المدح، فمن وجهة نظره أن هذا النَّصب يؤكِّد على عنصر المدح من خلال قَطْع مطابقة الحالة مع العناصر الأخرى في الآية نفسها.

وبَيَّن الفَرّاء أن قَطْع مطابقة الحالة الإعرابية أمر وارد خاصة في العبارة الاسمية الطَّويلة، ونعرف أيضًا أن الكسائي رفض مثل هذا التَّحليل؛لأن النَّصب على المدح - من وجهة نظره - لا يقع قبل أن يكتمل الإسناد،

واعترف الفَرّاء أيضًا بأن النَّصب على المدح يقع عادة بعد أن يكتمل الإسناد، ولكنه قدَّم بعض الأمثلة الَّتي تخالف هذا.

إن التَّحليل الَّذي قدَّمه الفَرّاء قريب من تحليل سيبويه (الكتاب ١/ ص٨٤٢- س١ من النِّهاية) الَّذي قدَّم هذه الآية في فصل عن النَّصب على المدح، وفي هذا الفصل اقتبس سيبويه أمثلة إضافية معتمدًا على مصداقية أساتذته: يونس (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، وعيسى (ت ١٤٩هـ/ ٧٦٦م) والخليل (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، وتم دعم الدَّليل الإضافي لتحليل يونس لـ(المقيمين) على أنها منصوبة على المدح بمصدر آخر هو «الجمل في النَّحو» (الخليل: الجمل ص٦١). وبالنِّسبة لعامل النَّصب على المدح عيَّن سيبويه هذه الوظيفة إلى فعل مُضمَر ، ونسب إلى الخليل رأيًا مشابهًا. والفَرّاء من ناحيته كان مُتوافقًا مع هذه القضايا، وكانت رؤيته قريبة أيضًا من رؤية أبي عبيدة (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م أو ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) في كتابه «مجاز القرآن» ١/ ص ١٤٢، ولم يستخدم أبو عبيدة مصطلح المدح في مناقشته للآية الكريمة، ولكنه بيَّن أن مطابقة الحالة - في الجمل الطَّويلة - ربما تُكْسَر.

رأينا أن رؤية الفَرّاء بالنِّسبة للآية ٨٤ من سورة البقرة كانت قريبة من رؤية أبي عبيدة وسيبويه والخليل ويونس وعيسى ومختلفة عن تحليل «النَّحويين» والكسائي، وليس من الواضح إذا كان مصطلح «النَّحويين» هنا يشير بصورة مباشرة إلى نُحاة الكوفة أم لا، على أي حال، فإن رؤيتهم تختلف عن رؤية سيبويه وأساتذته، فموقف الفَرّاء كان قريبًا من الأساتذة البَصْريين، وهذا بالتَّأكيد ليس مُجرد انعكاس لتراث مُوَحَّد.

وبالإضافة إلى المثالين اللَّذين تم بيانهما فيما سبق تضمَّن «معاني القرآن» العديد من الحالات الَّتي رفض فيها الفَرّاء رؤى الكسائي في النَّحو، وفي هذه

الأمثلة يرفض الفَرّاء مقاربة أستاذه بالنَّظر إلى بنًى مُحَدَّدة من المدح، والعماد، والموقع التَّركيبي للعبارة المستعمَلة اسمًا بعد حروف جر مُقدَّرة، ونطق التّاء الختامية عند الوقف وغيرها، وما توصلت إليه هنا يتفق بصورة تامة مع نتيجة ديڤينيه (١٩٩١: ص ١٦٩): «يبدو لي أنه بينما يقبل الفَرّاء الكسائي كراوية وجامع للمواد النَّحوية، فإن الفَرّاء في تحليله المُتماسِك للجمل يبدو كأنه يقدِّم كثيرًا من الرُّؤى الشَّخصية الجديدة.»

٢-رأينا في القسم [١] أن الفَرّاء يعدل عن تعاليم أستاذه الكوفي الكسائي، ولعل تحديد موضع الفَرّاء بالنِّسبة إلى النُّحاة واللُّغويين الآخرين غير الكسائي أكثر تعقيدًا؛ لأنه في معظم الحالات لم يحدِّد شخصيات هؤلاء بالاسم، وعندما يفعل هذا (انظر ديڤينيه ١٩٩١: ص ١٦١- ١٦٣) تكون القضايا غير خلافية. على أي حال، فإن مقارنة رؤى الفَرّاء في معاني القرآن بالأعمال الموجودة لنُحاة ولُغويين معاصرين له تكشف عن قضايا إضافية لم يكن الفَرّاء فيها متابعًا دقيقًا للتُّراث القديم، ولإثبات هذه النُّقطة سوف أقوم بفحص بعض المقاربات المختلفة للتَّحليل النَّحوي لإحدى آيات القرآن:

في تفسيره لحالة النَّصب في قوله تعالى: (قادرين)[٣] [القيامة: ٤] اتبع الفَرّاء (معاني القرآن ١/ ص ١٧١- ١٤ وما بعده، ٢/ ص ٢٠٨- ٣ وما بعده) إعادة البناء (نجمع قادرين) كما فعل سيبويه (الكتاب ١/ ص ١٧٣- ١٣) الَّذي عزى هذا التَّفسير إلى يونس، ومن المدهش أن سيبويه والفَرّاء في تفسيرهما لهذه البنية اقتبسا بيت الشِّعر عينه[٤] الَّذي تضمَّن مفعولًا منصوبًا

---

(٣) الآية هي قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤]
(٤) بيت الشعر للفرزدق: على قسم لا أشتم الدَّهر مسلمًا   ولا خارجًا مِنْ فيّ زور كلام

بالعطف على فعل مضارع سابق، وعلى أي حال فضَّل سيبويه التَّفسير الَّذي نسبه المبرِّد (ت ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م) في المُقتضَب ٣/ ص٢٦٩ إلى النُّحاة بشكل عامّ (أمة النَّحويين). بينما قدَّم الفَرّاء تفسيرًا مختلفًا نسبه سيبويه والمبرِّد إلى عيسى.

فتفسير الفَرّاء للآية [القيامة: ٤] يدل على خلاف آخر جرى في عصره، فقد عرفنا أن الفَرّاء يرفض بشكل كلي أي رأي غير معروف المصدر يفسِّر نصب (قادرين) على أنه نتيجة للتَّحويل من المضارع إلى اسم الفاعل(للصَّرف عن نقدر أو الصَّرف إلى قادرين)، وهذا التَّأويل المرفوض من قِبَل الفَرّاء نجده - عند الخليل (الجمل: ص٦٩) في الفصل الخاص بـ«النَّصب بالصَّرف» الَّذي يقع داخل بيت الشِّعر المذكور سابقًا - مجموعًا مع بنىً أخرى من العطف المتناظر، وتفسير النَّصب في بيت الشِّعر يشبه التَّفسير الَّذي رفضه الفَرّاء: فنصب «خارجًا» على صرف معناه «ولا يخرج»، فلما صرفوه نصبوه[٥].

ونستطيع أن نتعرَّف - من خلال هذا المثال - على أن الآراء المختلفة حول التَّحليل النَّحوي وُجِدت ليس فقط بين النُّحاة من الكوفة والبَصْرة، بل بين الأساتذة البَصْريين أنفسهم أيضًا، وهذا يقدِّم دليلًا إضافيًّا على أن التُّراث النَّحوي قَبْل سيبويه لم يكن تُراثًا موحَّدًا؛ ومن ثَمَّ، فالاختلاف بين سيبويه والفَرّاء لم يكن بالضَّرورة بين تراث قديم وآخر جديد؛ ففي بعض القضايا النَّحوية ربما يشارك سيبويه الفَرّاء الرَّأي نفسه؛ لأنهما يصدران عن الموثوقية عينها، وفي قضايا أخرى تختلف حولها رؤيتهما، ربما يمثِّل هذا الخلاف خلافًا قديمًا بين أستاذين سابقين.

---

(٥) نص الفَرّاء هو: «فقالوا: إنما أراد: لا أشتم، ولا يخرج، فلما صرفها إلى خارج نصبها» (معاني القرآن: ٣/ ٢٠٨)

تعرَّفنا أيضًا من هذا المثال أنه عندما يشارك سيبويه الفَرّاء رأيًا نحويًّا متشابهًا، فإن اتِّفاقهما لن يكون بالضَّرورة ناجمًا عن إجماع في الرَّأي بين نُحاة ذاك العصر، فلقد رأينا أن الفَرّاء يرفض الرُّؤية الَّتي قَدَّمها كاتب «الجُمَل»، والخلاف بالنِّسبة لكاتب الجُمل لا يغير الخطوط العامة لفهمنا؛ فإذا كان الكتاب يعود حقيقة إلى الخليل عندها نستنتج أن أستاذي سيبويه البَصْريين؛ يونس والخليل، لا يَتَّفقان حول التَّحليل التَّركيبي للآية [القيامة: ٤] وأن مقاربة الأول تمّ تبنّيها من قِبَل سيبويه والفَرّاء، وإذا كان كاتب الجُمَل - من ناحية أخرى- هو الكوفي ابن شقير[٦] (ت ٣١٥هـ/ ٩٢٧ م، أو ت ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م) أو أي نَحْوي كوفي آخر عندها ربما نستنتج أن الفَرّاء يرفض الرَّأي الَّذي يتناسب مع التَّقليد الكوفي، ويتبنّى الرَّأي الَّذي يتماشى مع المَذهب البَصْري، وفي كلتا الحالَّتين يحتفظ الفَرّاء بصورة نموذجية من التُّراث القديم.

رأينا فيما سبق أن الفَرّاء كان مُنفتحًا على رُؤًى مختلفة من التَّحليل النَّحوي، وفي الأقسام التّالية سنناقش دوره في تطوير الاصطلاح النَّحوي:

٣- في دراسته للتَّفاسير الأولى تتبع ڤرستيج نحو خمسة وثلاثين مصطلحًا غير فَنّي تطورت داخل التُّراث النَّحوي إلى مصطلحات فنية (ڤرستيج ١٩٩٣: ص ١٩٦- ١٩٧)، وعلى الرَّغم من أن ثلاثة وثلاثين مصطلحًا من هذه المصطلحات نفسها مُوثَّقة داخل «معاني القرآن»، فإن نص «معاني القرآن» يتضمن نحو خمسين مصطلحًا إضافيًّا لم يتم تَتَبُّع آثارها في التَّفاسير الأولى أو الكتاب، منها:

أداة - تأويل - ترجم/ مترجم - يُجرى/ لا يُجرى- جملة/ مجمل -

(٦) يقصد كينبرج أبا بكر بن الحسن بن شقير المحلي، انظر ابن شقير المحلي: الجمل «وجوه النَّصب» تحقيق فائز فارس، بيروت: مؤسسة الرسالة، دار الأمل ١٩٨٧م.

مجهول – حُصِّل – حكم على – محل – نُصِب على الخروج من – حالة – حال بـ/ دار – كثير الدّور – دائم – مذهب إلا – مذهب الأداة – رأس آية – رد على – تردد الفعل/ تردد – أرسل الياء – اسم موضوع – لم يُسَمَّ فاعله – صرح / تصريح – مصرح – نصب على الصَّرف – مصمود لـ – أصاب – تصور – عبر عن – مراد الكلام – أسس – عماد – تغليظ – غاية – فض – تقريب – مهد – امتحن – محنة – نزع – استهزأ – وجَّه / موجه / جهة – وحد – توحد – موقت – واقع – اتِّكاء.

فإذا أضفنا إليها قائمة المصطلحات المركَّبة وتلك المصطلحات الَّتي يختلف استعمالها داخل «معاني القرآن» عن استعمالها في «الكتاب» لسيبويه، حينئذ سيكون عدد المعاني الأصلية المختلفة داخل كتاب «معاني القرآن» كبيرًا جدًّا، وعلى الرَّغم من أنه ليس من المستحيل أن تكون بعض هذه المصطلحات الواردة سابقًا مستعملة لدى علماء سبقوا الفَرّاء (لُغويّين – مفسِّرين – قُرّاء – شُعراء – مَناطقة – علماء دين، وغيرهم)، فإن احتمال أن تكون بعض هذه المصطلحات من إبداع الفَرّاء لا يمكن استبعاده.

٤- إن افتراض أن «معاني القرآن» مجرد تمثيل للتُّراث القديم افتراض مستبعد؛ لأن الفَرّاء لم يستعمل المصطلح «بدل» لما يدل عليه أو المصطلح «جر» لحركة الياء (داخل الكلمة أو في نهايتها)، وكلا المصطلحين موجود في «الكتاب». وتبعًا لڤرستيج (١٩٩٣: ص ١٢١، ١٢٥)، فإنه تم توثيقهما داخل تفسير محمد الكلبي (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣ م).

٥- إنه من بين افتراضاتي أن مصطلحات الفَرّاء تتضمن على الأقل ابتعادًا عن التُّراث القديم، فعلى الرَّغم من أن معاني القرآن ظل صامتًا بخصوص العَلاقة بين مصطلحاته ومصطلحات التَّقاليد الأخرى، إلا أنه يمكننا أن

نستنتج – بناء على أن الفَرّاء لم يقدِّم أية تعريفات أو شروح للمصطلحات إلا في النّادر – أنه كان لديه سبب كافٍ للاعتقاد في أن جمهوره يعرف هذه المصطلحات، وتم تسجيل بعض الاستثناءات القليلة لهذا التَّعميم، مثلًا: توسُّع مصطلحات «التَّقريب» و«الصَّرف» و«القَطْع» و«العِماد» الَّتي تقودنا إلى التَّسليم بأن استعمال الفَرّاء لهذه المصطلحات تحديدًا يتضمن عناصر جديدة تتطلب مزيدًا من التَّوضيح.

ولعل الدَّليل الأكثر صلابة على الإبداع في مصطلحات الفَرّاء تم تقديمه من خلال الكِتاب الَّذي نُشِرَ مؤخَّرًا للكسائي وهو (مُتشابه القرآن)، فالغرض من هذا الكتاب تبعًا لمقدِّمة المؤلِّف هو مساعدة القُرّاء على تذكُّر وقراءة الآيات القرآنية الَّتي تَرِد بصياغات متماثلة في مواضع أخرى من القرآن، ومن ثَمَّ، فإن كتاب متشابه القرآن في هذا أقرب إلى ملاحظات التَّرجمات العبرية منه إلى التَّفسيرات الفيلولوجية للفَرّاء، وليس مثيرًا من ثَمَّ أن نجد بعض المصطلحات النَّحوية الفنية القليلة جدًّا داخل متشابه القرآن، ولعل استعمال مصطلح واحد يبدو مهمًّا بالنِّسبة لمناقشتنا؛ لأنه يدل على اختلاف جوهري بين الكسائي والفَرّاء بالنَّظر إلى الاختلافات الَّتي يُقِرّونها بين مجموعتين من مصطلحات «الحركة».

فقد لاحظ أونز J. Owens (١٩٩٠: ص ١٥٩) أن سيبويه يفرق بين مجموعتين من الصَّوائت القصيرة المتشابهة صوتيًّا: الصَّوائت المشروطة تركيبيًّا مميِّزًا إياها كمقولة وظيفية، وتلك المشروطة معجميًّا، أي: غير متأثِّرة بسياق تركيبي، وعلى العكس من سيبويه استعمل الفَرّاء الاسمين بطريقة واحدة للإشارة إلى الحركات المميّزة معجميًّا.

ويزعُم البحث الأولي لـ«أونز» أن الفَرّاء استَعمل فقط المجموعات

التَّركيبية لوصف الحركات القصيرة المميزة تركيبيًّا، في حين استعمل مصطلحات مُختلَطة من النِّظامين لوصف الحركات المشروطة معجميًّا، وتم تأكيد نتائج «أونز» الأولية من خلال دراسة ڤرستيج (١٩٩٣: ص ١٢٦) والدِّراسة الحالية.

ومن ثَمَّ لم يَستعمل الفَرّاء أبدًا مصطلح «ضم» لحركة الضَّمَّة (و u) المشروطة تركيبيًّا (مثلًا: الحركة الَّتي تشير إلى حالة الرَّفع أو إلى صيغة تعيينية indicative على التَّوالي)، ويبدو الفَرّاء منضبطًا في هذا التَّمييز، على الرَّغم من أنه استعمل مصطلح «رفع» لأية ضمة (و u)، ومن الجدير بالملاحظة أن الكسائي على العكس من الفَرّاء يَستعمل المصطلح «ضم» أيضًا مع الإشارة إلى الحركة الَّتي تعين حالة الرَّفع (مثلًا: بالإشارة إلى (جنةٌ) بالضَّمَّة والتَّنوين) (الكسائي: مُتشابِه ص ٤٩١)، وهناك استعمال مشابه للضَّمِّ بالنَّظر إلى حركة الإعراب ورد مرتين في تفسير محمد الكلبي (ڤرستيج ١٩٩٣:ص ١٢٥).

ولعل استعمال الكسر والضَّمِّ والفتح بالإشارة إلى نهايات الصّيغة أو النِّهايات الإعرابية يتكرَّر في كتاب السَّبعة لابن مجاهد، ففي زمن ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ/ ٩٣٥ م) كان التَّمييز بين مجموعتين من مصطلحات الحركات قد وقع بالفعل وبصورة تامة داخل الأعمال النَّحوية، ومن ثَمَّ فمن المنطقي أن يحتفظ ابن مجاهد بالاستعمال القديم لهذه المصطلحات، وهو الاستعمال الَّذي كان شائعًا بين قُرّاء القرآن في الفترة قبل النَّحوية أو خلال المراحل الأولى من التَّطوُّر النَّحوي، فإذا كان هذا الافتراض صحيحًا، فإن استعمال الكسائي لمصطلحات الحركة – على الأقل في كتابه «مُتشابِه القرآن» – هو استمرار لتراث القراء، في حين أن استعمال الفَرّاء لهاتين المجموعتين من مصطلحات الحركة يعكس تراثًا مختلفًا.

كل هذا يقودنا إلى استنتاج أن الفَرّاء لم يكن مجرد ناسخ لتعاليم المدرسة الكوفية أو حتى مبادئ المدرسة العراقية القديمة، فقد كان الفَرّاء مُنْفَتِحًا على أفكار جديدة قَدَّمها لُغويّون آخرون في زمانه، ويجب علينا أن ننسُب إليه جانبًا كبيرًا من التَّحليل والرَّأي النَّحوي والاصطلاحي الأصيل.

وليس من مجال العمل الحالي على أية حال تعيين أي المصطلحات أو الرُّؤى داخل معاني القرآن متأصِّلة داخل تراث أقدم، أو أي المصطلحات والرُّؤى تم اقتراضها من لُغويّين مُعاصرين للفَرّاء، أو أي المصطلحات والرُّؤى هي من إبداعه الخاصّ، فالمصادر الموجودة من القرن الثّاني الهجري ربما تُمِدُّنا ببعض التَّلميحات للإجابة عن هذه الأسئلة.

[٢] السِّمات المميّزة لمصطلحات الفَرّاء

تختلف مصطلحات الفَرّاء في معاني القرآن عن مفهومنا للمصطلحات الفنية بسمتين أساسيتين:

(١) أنها مصطلحات غامضة لدرجة أنها لا تمتلك مَعنًى معرَّفًا بطريقة مُحدَّدة.

(٢) أنها مصطلحات متباينة.

١ - تبين دراسة مصطلحات الفَرّاء أنها تتضمن في العديد من الحالات مصطلحات عامة لم تَجْتَزْ عمليات التَّمييز وَفْق معايير التَّصنيفات النَّحوية أو البِنى النَّحوية أو مستوى التَّحليل اللُّغوي، ومن ثَمَّ، فإن مصطلحًا ما يمكن أن يشير إلى بنًى مختلفة داخل كل مستويات التَّحليل اللُّغوي هذه، وفي مثل هذا الوضع، فإن معنى مصطلح ما يتحدد بصورة كبيرة وَفْقَ السِّياق، وعادة عندما لا يقدم السِّياق تحديدًا واضحًا لمعنى مُحدَّد، فإن المصطلح يَظَلُّ غامضًا.

ولإثبات هذه النُّقطة أُقَدِّم مفاهيم مختلفة لثلاثة مصطلحات من معاني القرآن هي: «صلة»، و«نعت»، و«ابتداء» (وربما توجد أمثلة إضافية داخل المعجم).

- **صلة**: استعمل الفَرّاء هذه الكلمة لوصف كم كبير من البِنى الَّتي تتضمن بعض العناصر الإضافية، وربما تختلف طبيعة هذه العناصر الإضافية و وظائفها، ومن ثَمَّ، فإن «صلة» يشير إلى عنصر حَشْوي لا يضيف أية معلومات جديدة إلى الجملة ولا يؤثر في بنيتها التَّركيبية، ويشير إلى مخصَّص الاسم النَّكرة، أو مخصَّص اسمي مفرد، أو مركَّب جار ومجرور، أو جملة صلة مفصولة، أو جملة صلة مربوطة، أو تكملة فعل ما، أو صيغة اسمية مشتقة من فعل ما، أو عناصر مختلفة مرتبطة بصيغ أخرى، أو إلى تمديد الحركة النِّهائية داخل صيغة موقوف عليها أو قافية.

- **نعت**: يشير إلى بِنًى واصفة مختلفة، فعلى المستوى التَّركيبي يُستعمل للإشارة إلى مُخصَّصات وصفية وبدلية وإسنادية وظرفية، وعلى المستوى المورفولوجي ربما يشير إلى الصِّفة كمقولة فرعية للاسم.

- **ابتداء**: يُستعمل على مستويات مختلفة من المناقشة اللُّغوية، فعلى المستوى الصَّوتي ربما يشير إلى نطق صيغة ما في موقع بدئي بعد وقف، وعلى المستوى التَّركيبي يشير إما إلى موضع كلمة ما في بداية المنطوق أو الجملة أو العبارة أو إلى تقديم عبارة أو جملة مستقلة،أي: وحدة تركيبية لا يتأثر أي من عناصرها بأي عامل خارجي في الإعراب أو الصّيغة.

فالفَرّاء يستعمل (صلة، ونعت، وابتداء) بطرُق تتضمن المعاني الأساسية الأصلية لهذه الكلمات، ومن الواضح أن هذا الاستعمال غامض، ومن ثَمَّ

فالمعاني الدَّقيقة للمصطلحات تتحدد بصورة أساسية عن طريق السِّياق، وهذه السِّمة ليست مقصورة على هذه المصطلحات الثَّلاثة، فبعض المصطلحات الأساسية الأخرى مثل: اسم وفعل وخبر تبدي تنوُّعًا مماثلًا في الاستعمال.

٢- السِّمة الأخرى المميّزة لمصطلحات الفَرّاء هي استعمال العديد من المصطلحات المترادفة أو شبه المترادفة للإشارة إلى البِنية أو الظّاهرة أو المفهوم عينه، وهكذا، فالمؤلِّف (الفَرّاء) لم يحاول أن تكون مصطلحاته متناسقة؛ ومن ثَمَّ، فإن مصطلحين مترادفين عادة ما يقعان في مناقشة واحدة ربما لتجنُّب التَّكرار المفرِط، وعلى سبيل التَّوضيح نسوق بعض الأمثلة القليلة:

- **الصّامت محبوس الحركة**: ربما يتم التَّعبير عنه بالمصطلحات (سكون - تخفيف - جَزْم - وَقْف)، وعلى الرَّغم من أن هذه المصطلحات قد تقع مُتبادلة من حيث الدَّلالة على هذا المعنى إلا أنها ليست مترادفة بصورة تامة، ومن ثَمَّ فالتَّخفيف ربما يشير كذلك إلى الصّامت غير المضعَّف، ويشير الجزم إلى صيغة التَّرخيم أو صيغة طلبية، ويشير الوقف إلى صيغة وقفية، وهنا أيضًا يتم تعيين معنى محدد للمصطلح بناءً على السِّياق.

- **البدل**: ربما يشار إليه بمصطلحات (تكرير - رد على - تفسير - ترجمة - عبر عن - إتباع - نعت)، وهنا أيضًا كل من هذه المصطلحات يُستعمَل ليغطي بعض المعاني الأخرى، فربما يشير التَّكرير إلى إعادة كلمة ما، وربما يشير «رد على» إلى العطف، ويشير التَّفسير إلى ظرفية التَّحديد، ويشير الإتباع إلى المطابقة في التَّعريف أو الإعراب، وربما يشير النَّعت إلى صفة إسنادية أو وصفية أو ظرفية.

- **الحذف**: تم التَّعبير عنه بالعديد من الصِّيغ الفعلية ومُشتقّاتها: (حذف - ترك - أسقط - طرح - نقص - نزع - ألقى - خلع - ذهب - فُقِد)، وبعض هذه المصطلحات مترادفة ترادفًا تامًّا، وبعضها مترادفة ترادفًا جزئيًّا، وفي أية حالة، فإن وقوع العديد من المصطلحات المترادفة يبيِّن أن الفَرّاء يفضِّل التَّنوُّع الأسلوبي على التَّماسك الاصطلاحي.

٣- المصطلحات غير المُتقنَة عادة ما تكون موجودة في معاني القرآن؛ لأنه من المحتمل أن يكون المؤلِّف لم يمتلك مصطلحات جاهزة للتَّعبير عن مفهوم معين، وسوف أقدم مثالين للتَّوضيح:

- **جمع غير البشر**: مقولة مُهمَّة بالنَّظر إلى تطابق العدد والنَّوع داخل العربية عَبَّر عنها الفَرّاء بقوله: (جمع الأموال وسائر الأشياء سوى النِّساء).

- **العبارة من النَّمط (موضوع + محمول)**: في التُّراث النَّحوي العربي يُعرَف هذا النَّوع من العبارات بالجملة الاسمية، وللإشارة إلى هذا النَّمط من العبارات استَعمل الفَرّاء إعادة صياغة لمصطلح موجود بالفعل؛ ومن ثَمَّ يشير إلى هذه البنية بقوله: «اسم له فعل» أو «الاسم المخبر عنه».

٤- عادة ما تصوغ العلوم الجديدة كلمات جديدة للمصطلحات الفنية، كلمات تقتصر على استعمالها الفني المجرد ولا تقع في الحديث اليومي، ولا يوجد مثل هذا الاتِّجاه في معاني القرآن؛ فكل المصطلحات المسجَّلة تقع في الاستعمال اليومي؛ بمعنى أنها قريبة من استعمال الفَرّاء الميتالغوي، وهذه السِّمة يبدو أنها تميز أيضًا المصطلحية اللُّغوية العربية في مراحلها المتأخِّرة.

٥- الاقتراض الاصطلاحي من علوم أو دراسات إسلامية أخرى يمكن تَقصّيه في حالات عديدة، فالمصطلحات تم اقتراضها من تفسير القرآن

والحديث وربما من علوم قراءة القرآن، وبعض هذه المصطلحات المُقترَضة اكتسبت معاني جديدة كلية وغريبة عن استعمالها النَّحوي.

- **تفسير**: مصطلح عام لتفسير القرآن، وعادة ما يقع بهذا المعنى في معاني القرآن، وعلاوة على هذا يُستعمَل هذا المصطلح أيضًا بوصفه مصطلحًا نحويًّا للإشارة إلى العديد من بِنى التَّخصيص المختلِفة.

- **تأويل**: يُستعمَل بالإشارة إلى تفسير القرآن بمعنى قريب من معنى التَّفسير، وكمصطلح لُغوي يعيِّن البِنى التَّحتية أو المنطقية عندما تختلف عن البنية الشَّكلية والواقعية.

- **أسند**: في علوم الحديث يشير إلى تأسيس الرِّواية على أول من قال بها، وبالإضافة إلى هذا الاستعمال وُجِد المصطلح أيضًا كمصطلح نحوي يشير إلى ربط الاسم الأول داخل الإضافة بالاسم الثّاني، أو إقامة مُطابَقة شكلية بين الفعل وفاعله النَّحوي.

- **خبر**: في مصطلحات الحديث يشير إلى الرِّواية مع سلسلة الإسناد وعادة الرِّواية غير المنسوبة إلى النَّبي (صلى الله عليه وسلم)، وكمصطلح نحوي يشير إلى المُسنَد، وربما يشير إلى المُسنَد المنطقي الَّذي لا يكون نَحويًّا بالضَّرورة، كما يشير المصطلح بالإضافة إلى هذا إلى الجُمَل التَّصريحية في مقابل الجُمَل الأمرية أو جُمَل النَّهي.

- **كسر و فتح**: هذا الزَّوج من المصطلحات يقع كثيرًا عند ابن مجاهد في السَّبعة بمعنى النُّطق بالفتحة (وفي بعض الحالات الضَّمَّة) نحو الكسرة، أو إلى غياب مثل هذا النُّطق، وهناك استعمال مماثل موجود في «معاني القرآن»؛ لأن ابن مجاهد جاء بعد الفَرّاء، وإمكانية أن يتأثر ابن مجاهد بالفَرّاء غير

مستبعدة. وعلى أية حال، فإن حقيقة احتفاظ ابن مجاهد بالعديد من مرادفات ظاهرة التَّقديم هذه - مثل: الإضجاع (السَّبعة: ص ١٤٢، ٢٠٩، ٦٨٨) وبطح (السَّبعة: ص ٢٠٩، ٦٨٨) وقبو (السَّبعة: ص٢٠٩) وإمالة (السَّبعة: ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، وغيرها) - تفترض أنه بالأحرى كان يتبع المصطلحات الَّتي كانت مُستعمَلة بين قُرّاء القرآن القدماء.

ولعل ملاحظة أن ابن مجاهد يحتفظ ببعض المصطلحات القديمة جدًّا لها ما يدعمها؛ لأن ابن مجاهد في الحقيقة كان يقدِّم هذه المصطلحات الغريبة داخل روايات مُقتبَسة ومنسوبة إلى مؤلِّفيها القدماء عبر سلسلة الإسناد، ولعل الدَّعم الواضح لهذه الملاحظة موجود في استعمال مصطلح «جر» الَّذي يشير إلى حركة الكسر، وهي عنده ليست علامة على حالة الجر (السَّبعة: ص ١٥٦، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢، ٢٨٧، ٦٧٧، ٦٨٤، ٦٩٦) [ولوجود مثل هذا في تفسير محمد الكلبي؛ انظر ڤرستيج ١٩٩٣: ص ١٢٥].

وكون هذه الاستعمالات قديمة جدًّا أمر مُثبَت ليس فقط من خلال وجود ما يشبهها داخل تفسير الكلبي، ولكن بأن ابن مجاهد لم يقترض هذه المصطلحات من سيبويه أو الفَرّاء، فالأول منهما استعمل المصطلح بالإشارة فقط إلى حالة الجر، أما الأخير فلم يستعمله على الإطلاق في معاني القرآن.

مراجع المؤلف

الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد: الجُمل في النَّحو، تحقيق فخر الدّين قباوة، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م.

سيبويه، أبو بشر عمرو: الكتاب، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٣١٦هـ.

ابن شقير، أبو بكر أحمد بن الحسن: وجوه النَّصب، تحقيق فائز فارس، بيروت: مؤسسة الرسالة دار الأمل، ١٩٨٧م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

الفَرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، الجزء الأول تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، الجزء الثاني تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، الجزء الثالث تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة: متشابه القرآن، تحقيق صبيح التميمي، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٤م.

ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثّانية، ١٩٨٠م.

Dévényi, K. 1991:

***Al-Farra' And Al-Kisa'i: References To Grammarians And Qur'an Readers In The Ma'ani L-Qur'an Of Al-Farra'*. The Arabist 3 - 4 : 159 - 176 .**

Owens, J. 1990:

***Early Arabic Grammatical Theory: Heterogeneity And Standardization*. John Benjamins.**

Talmon, R. 1993:

***Two Early Non-Sibawaihian Views Of ʿAmal In Kernel Sentences*. ZAL. 25: 278 - 288.**

Versteegh, C. H. M. 1993:

***Arabic Grammar And Qur'anic Exegesis In Early Islam*. Brill.**

مراجع المترجم

د حسن حمزة: في الأصول النَّظرية لتأريخ تطوُّر المصطلح النَّحوي العربي، مجلة علوم اللُّغة، المجلد التاسع، العدد الأول، ص ١٦ – ٣٦، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٦.

الفَرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، الجزء الأول تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، الجزء الثاني تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، الجزء الثالث تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.

ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثّانية، ١٩٨٠.

Kinberg, N. 1996:

***A Lexicon Of Al-Farra's Terminology In His Qur'an Commentary With Full Definitions, English Summaries And Extensive Citations.* Brill.**

Kinberg, N. 2001:

***Studies In The Linguistic Structure Of Classical Arabic,* edited by Leah Kinberg & C. H. M. Versteegh. Brill.**

الفصل السابع

أصل الاصطلاح النَّحوي العربي[1]

كيس ڤرستيج

تقدمة

في سنة ١٩٧٧م صدر كتاب ڤرستيج C. H. M. Versteegh «عناصر يونانية في التَّفكير اللِّساني العربي» *Linguistics Greek Elements in Arabic Thinking*، وكما هو واضح من عنوان هذا الكتاب ارتبط اسم ڤرستيج – مع غيره من المستشرقين – بالفرضية اليونانية القائلة بتأثر النَّحو العربي بعناصر ومصطلحات يونانية. و بعد كثير من الدِّراسات الَّتي قدمها ڤرستيج تناولت في مجملها التُّراث اللُّغوي العربي بمناهج وأدوات بحثية مختلفة صدر كتابه «النَّحو العربي والتَّفسير القرآني في صدر الإسلام» *Arabic Grammar and Qur'anic Exegesis in Early Islam* سنة ١٩٩٣م، وفي هذا الكتاب رصد العَلاقات والوشائج بين هذين العِلمين: النَّحو والتَّفسير، و وصل إلى نتائج تشير بصورة واضحة إلى أصالة النَّحو العربي ممثَّلة – فيما يمكن أن تتمثل به – في مجال مُهمّ من مجالات العلم بصورة عامة وهو المصطلح، مما

(١) ترجمة: د عبد المنعم السيد جدامي، ود منتصر أمين عبد الرحيم.

يمكن معه القول إن موقف ڤرستيج قد تبدَّل فيما يخص هذه الفرضية فتحوَّل من القول بالتَّأثُّر إلى القول بالأصالة بِناءً على بحثه للمصطلحات النَّحوية في سياقها الثَّقافي العربي بالمنظور الشّامل.

وفيما يلي ترجمة الفصل السّادس من كتاب ڤرستيج الصّادر سنة ١٩٩٣م وعنوان الفصل *The Origin of Arabic Grammatical Terminology: Conclusions* ، وهو الفصل الَّذي يشتمل على النَّتائج الخاصة بهذا الكتاب الَّذي ناقش بصورة أساسية العَلاقة بين النَّحو العربي والتَّفاسير القرآنية الأولى لا سيَّما تفسير مقاتل بن سليمان البلخي، وتفسير محمد الكلبي، وغيرها من المُصنَّفات التَّفسيرية الأخرى، كما ناقش أيضًا المصطلحات المتعلِّقة بالصَّرف، والنَّحو، والمعنى عند كل من النُّحاة والمُفسِّرين.

التَّرجمة

أصل الاصطلاح النَّحوي العربي: النَّتائج

في الفصول السّابقة حاولنا أن نجمع المعلومات الخاصَّة بالاصطلاح النَّحوي من التَّفاسير الأولى، وأن نجمع بينها وبين ما نعرفه عن النُّحاة الأوائل من خلال كتب الطَّبقات، واستطعنا من خلال هذا النَّوع الأخير من التَّأليف أن نميِّز اتِّجاهات مُختلِفة لهذه الموادّ، أولها أن جميع المصادر حاولت أن تقلِّل من شأن مشاركة القُرّاء في تطوير الدِّراسات النَّحوية بإنكار دورهم في تشكيل النُّحاة البَصْريّين بشكل خاص. أما الاتِّجاه الثّاني فيكمُن في محاولتهم الرَّبط بين النَّحويّين من جيل سيبويه وسابقيهم، وكذلك خلفائهم وبين المؤسِّس الأسطوري للنَّحو العربي أبي الأسود الدُّؤلي، ومن أجل هذا أقاموا أصلًا ونسبة شرعيَّة إلى النُّحاة البَصْريّين كفلت لهم مِلكية هذا العلم واحتكاره؛ ولذا فعندما يقول ڤايل Weil: إن المدارس النَّحوية إنما هي من اختراع كُتّاب

الطَّبقات اللّاحقين، فإنه مُحِقٌّ إلى حد ما؛ فمن الصَّحيح أن أدب الطَّبقات يقدِّم شكلًا رسميًّا داخل علم اللُّغة هو الاتِّجاه البَصْري، فعلى سبيل المثال لاحظ فايل أن البَصْريّين في كتاب الإنصاف لابن الأنباري كانوا دائمًا على حَقّ، وخَلَص من هذا إلى أن الانقسام إلى بَصْريّين وكوفيّين وُجِد في وقت متأخر، وإن ما نريد توضيحه هنا أن البَصْريّين - من وجهة نظر الرَّأي السّائد - كانوا على حَقٍّ في جميع المسائل الخلافية، في حين لم يكن الكوفيون كذلك، فابن الأنباري ببساطة يذهب مع هذا الرَّأي الَّذي انتشر بين اللُّغويّين منذ أيام المُبرِّد.

الاتِّجاه الثّالث من اتِّجاهات هذه المصادر يكمُن في محاولتهم - في إطار رؤيتهم لتطوُّر العلم - الرَّبط بين الكوفة والبَصْرة، بمعنى أن نُحاة الكوفة كانوا يعتمدون دائمًا على البَصْريّين وإن كانوا يعارضونهم، وهذا يفسِّر كثيرًا من القِصَص حول الكوفيّين الَّذين يستعيرون أو يسرقون كتاب سيبويه كي يستخدموه في دروسهم، والاتِّجاه الثّالث هذا يؤدّي إلى تناقُض المَصادر؛ فمن ناحية تحاول هذه المصادر أن تعزو أية أهمية يمكن أن تكون للكوفيّين إلى التَّأثير البَصْري، ومن أخرى تحاول إقناعنا بأن ليست ثَمَّة أهمية لمذهبهم على الإطلاق. ويرتبط المنظور الأخير بالاتِّجاه الأول؛ إذ وجدنا في مصادر عديدة محاولة لربط النُّحاة الكوفيّين بالقُرّاء الَّذين يمتلكون فقط معرفة قليلة باللُّغة ويرتكبون أخطاء لُغوية عديدة، فالرِّسالة هنا واضحة؛ لم يكن علم النُّحاة الكوفيّين علمًا حقيقيًّا؛ ذلك أنه يعتمد بشكل رئيس على تفسيرات القُرّاء غير المُحكَمة.

ولعل الاتِّجاه العلمي الحديث حول النُّحاة الكوفيّين والبَصْريّين يتعامل دائمًا مع مفهوم «المدرسة»، وكما أوضح برناردس (Bernards,1993)، فإن

المكافئ العربي لهذا المفهوم؛ أي «المذهب» لم يُستعمَل بهذا المعنى إلا في وقت متأخِّر، ففي البداية أشار مفهوم «المذهب» فقط إلى رأى أو نظرية لنَحوي معيَّن حول مشكلة ما. أما المبدأ البنائي في أدب الطَّبقات فكان «الطَّبقة» أو الجيل الَّذي يعني أنهم كانوا يركِّزون على عَلاقة (الأستاذ/ التِّلميذ) كرابطة تاريخية وليست أيديولوجية، وربما يمكن أن يضاف إلى هذا أن ثمة تطورًا مماثلًا حصل في علوم أخرى أيضًا، فهناك على سبيل المثال أدب الطَّبقات الخاصّ بـ«المعتزلة» الأوائل كما بيَّن هيمسكيرك Heemskerk. وبالرَّغم من هذا، فإن أغلب العلماء الغربيين أخذوا مفهوم «المدرسة» وبنوا تفسيراتهم لتاريخ النَّحو العربي على أساسه.

منذ أن نُشِرتْ مقدمة ڤايل لتحقيق كتاب «الإنصاف» كانت الرُّؤية الأساسية دائمًا هي أن مدارس البَصْرة والكوفة مثال للابتداع؛ فالنُّحاة المتأخِّرون يضعون أفكارهم عن تاريخ العلم بشكل افتراضي على ضوء الفترة المبكِّرة؛ إذ حينما انتقل النَّحو إلى بغداد شعر النُّحاة بالحاجة إلى بناء تاريخهم الخاصّ والإشارة إلى الأسلاف المشهورين للتَّأكيد على أهميتهم، وتبعًا لهذه الرُّؤية، فإن نَحْويًّا مثل ثعلب «اخترع» مدرسة الكوفة الَّتي لم تكن موجودة من قبل. ومن الصَّحيح الآن أن مفهوم «المدرسة» بما يتضمنه من الوَحدة الجغرافية والأيديولوجية لا يساعد كثيرًا، في الحقيقة، في التَّعامل مع هذه الفترة المبكِّرة.

يشير تحليل برناردس لمصطلح «مذهب» إلى أن تنظيم العلم بالنِّسبة للمصادر العربية قائم دائمًا على عَلاقة (الأستاذ وتلاميذه)، ولكن من المبالغة أن تنتهي المقارَبة النَّقدية بسبب هذا إلى أنه ليس ثمة اختلاف بين المدينتين في معالجتهما النَّحوية؛ ذلك أن الاختلاف بينهما فيما يخص الاصطلاح مسألة حقيقية كما يمكن أن نراه من خلال المقارَنة بين المصدرين الرَّئيسيين؛

كتاب سيبويه ومعاني القرآن للفَرّاء.

ومن وجهة نظرنا، فإن الاتِّجاه الأخير أيضًا كان يزيد من تشابه المعالجتين، وبصفة أساسية، فإن المعالجتين مختلفتان بشكل واضح، والمصطلحات المستعمَلة فيهما أقل ترادفًا مما توقعناه على ضوء المصادر المتأخِّرة، فعادة ما نجد في تلك المصادر أزواجًا من مصطلحات «البَصْرة / الكوفة»، ولعل المقارَبة المألوفة لتاريخ النَّحو العربي عادة ما تتولى أمر أزواج المصطلحات هذه دون تمييز، ولكن التَّحليل الحديث أظهر أنه على الرَّغم من التَّرادف الظّاهري بين المصطلحات، فإنها في الواقع مختلفة تمامًا في المعنى والاستخدام، فعلى سبيل المثال فَسَّر النُّحاة المتأخِّرون الزَّوج «صفة/ نعت» على أنه يضارع تمامًا مفهوم «صفة مميزة attribute »، ولكن أوينز (Owens,1990) بيَّن أن الموقف الحقيقي أكثر تعقيدًا، وكذلك أشار طلمون Talmon إلى اختلاف جوهري في مجال كلا المصطلحين.

وبطريقة مماثلة فنحن الآن في موقف لإثبات أن مبادئ منهجية مُحدَّدة في دراسة اللُّغة في الكوفة والبَصْرة كانت مختلفة تمامًا، فاصطلاح النِّهايات الإعرابية، على سبيل المثال، يبيِّن أن مبدأ «المضارعة» لم يكن مستعملًا في الكوفة، وأن هناك على الأقل إشارات حول أهمية مفهوم «الإعمال» لم تكن مُستعمَلة لدى النُّحاة الكوفيِّين الَّذين تعاملوا بدلًا من ذلك مع مفهوم «المجاورة»، وهذا المفهوم غير موجود في قواعد سيبويه، وإن كنا نجد مثالًا على «الجوار» لدى أبي عبيدة (مجاز القرآن: ج١،ص ١٥٥ - ٣،وص ٢١٣-٨). وليس مثيرًا أن يحاول الاتِّجاه المتأخِّر بناء أزواج اصطلاحية، وبالنِّسبة إليهم كانت المقولات اللُّغوية يتم تعديلها تبعًا للإطار النَّحوي لدى سيبويه، ولم يكن متصوَّرًا أن هذه المقولات لم تكن موجودة في الاتِّجاه الكوفي، وفي

هذه الحالة، فإن الابتداع يعني أن هذه المقولات المنسوبة للنُّحاة الكوفيّين لم تكن أبدًا مُستعمَلة من قبل في هذا الاتِّجاه.

وهذا ينطبق تمامًا على مستوى مساعد، فالحُجج الكوفية في كتاب ابن الأنباري تم بناؤها بالدِّقَّة نفسها الَّتي حظيت بها مثيلاتها البَصْرية، وذلك تبعًا للقياس والنَّقل، وربما يقود هذا بسهولة إلى نتيجة خاطئة، ففي مرحلة مبكِّرة اعتقدنا (Versteegh,1977) أن المشابهة في الجدال كانت دليلًا على أصالة كلا الاتِّجاهين، واعتقدنا في ذلك الوقت أن الاتِّجاه الكوفي والبَصْري كلاهما موجود في الواقع، ولكن كمجموعات من الأساتذة والتَّلاميذ. ومن وجهة نظرنا، فإن المصادر المتأخِّرة بيَّنت الاختلافات بين الفريقين، في حين أن في الواقع كان الاتِّجاهان مُتَّفقين في الأساس، فالاختلاف كان كبيرًا على مستوى المنافسة الشَّخصية، تمامًا كما يوجد الآن بين الجامعات المتنافسة في العصر الحديث. وعلى أية حال تقترح المواد المتاحة الآن شيئًا آخر، وهو أن الاختلافات النَّظرية الفعلية كانت أكبر بكثير مما اعتدنا افتراضه، فقبل انتقال علوم اللُّغة إلى بغداد سار الاتِّجاهان في تطوُّر مُنفصِل على مستوى النَّظرية والاصطلاح.

على أية حال، فَثَمَّةَ منظور اجتماعي للعَلاقات بين النُّحاة البَصْريّين والكوفيّين على السَّواء، والحقيقة المعروفة أنه بعد تأسيس بغداد كان النُّحاة من الكوفة أكثر شَعبية في مجالس الخُلفاء - كمعلِّمين للأمراء وكنُدَماء للخلفاء أنفسهم – من زملائهم من البَصْرة، وأحد أسباب هذه الشَّعبية ربما يكون تركيز الكوفيّين على قراءات القرآن وشعر ما قبل الإسلام؛ إذ مَثَّلوا النَّموذج القديم للأديب الَّذي كان قادرًا على رواية القصائد وعلى أن يشارك في مناقشات فكرية حول موضوعات جاهلية ومعرفة ما قبل الإسلام.

ولعل هذا الموقف قد تغيَّر عندما ظهر المبرِّد على السّاحة؛ إذ كان مسئولًا عن تقديم اتِّجاه مُختلِف، لم يكن مُسيطرًا حتى هذا الحين على الإطلاق، هو كتاب سيبويه، كما كان أحد العوامل الرَّئيسة في تحويل هذا الاتِّجاه إلى المذهب البصري (قارنBernards,1993)، وفي هذه العملية ربما يكون قد اتبع نموذج دراسة الفقه، الَّذي حدثت فيه تطورات مماثلة، والَّذي تحولت فيه المذاهب الشَّخصية للعلماء القُدامى إلى مدارس شرعية لها زعماء ومؤسِّسون (قارن Talmon,1985). أصبح الاتِّجاه البَصْري الآن مدرسة مشابهة لها، سلسلتها القانونية في النَّقل عن أبي الأسود الدُّؤلي، ولها كتابها الخاصّ، الَّذي أعدَّ تحقيقه وقام بتوسيعه المبرِّد الَّذي اهتم كذلك بتحقيق حواشي الكتاب الَّتي تمت إضافتها بواسطة علماء وسطاء (قارن Humbert,1992). وكان نتيجة هذا أن أصبح الاتِّجاه البَصْري مُسيطرًا، في حين تم تهميش الاتِّجاه الكوفي وأصبح موضوعًا لانتقاد جميع المفسِّرين والنَّحويين، وأصبح علم النَّحو علمًا فنيًّا وبات النُّحاة مُحْترفين.

ومن وجهة نظرنا، كان ڤايل على حق عندما أكد على دور نحاة بغداد في بناء تاريخ العلم، ولكنّا لا نتفق مع النَّتيجة الَّتي خَلَص إليها من خلال أنشطتهم؛ أي القول بأنه لم تكن هناك أية اتِّجاهات مُنفصلة على الإطلاق، فنحن نعتقد أن الدَّلائل المقدمة في الفصل الأول توضح لنا أن ثمة دليلًا كبيرًا على اختلاف الهدف والتَّفسير والمناهج والمصطلحات والمبادئ النَّظرية بين الاتِّجاهين، وليس معنى هذا القول بعدم وجود احتكاك بين ممثِّلي الاتِّجاهين، كما يمكن أن نراه في روايات عديدة في كتب المجالس؛ إذ عليهم أن يتعرفوا أفكار بعضهم البعض. ولذلك فليس مثيرًا على الرَّغم من الاختلاف في المصطلح أن يكون هناك تشابه، وفي بعض الحالات كان هناك جانب كبير من التَّداخل،

فعلى سبيل المثال وجدنا في حالة صفة/ نعت أن سيبويه أحيانًا كان يستخدم المصطلح الكوفي في كتابه، وإن لم يكن قد تكرر مثل مصطلح صفة، وهذا يعني أنه ليس بإمكاننا القول إن الاتِّجاهين مستقلّان تمامًا أحدهما عن الآخر، على الرَّغم من أنهما سارا في تطوُّر مُنْفَصِل.

ولعلَّ المَعين المعروف لكلا الاتِّجاهين يمكن أن نجده في النَّشاطات التَّفسيرية المبكِّرة، فمن الصَّحيح أن أدب الطَّبقات النَّحوية يفترض أن تطوُّر الدِّراسات النَّحوية يعود تاريخيًّا إلى المفسِّرين ويرتبط بأسماء المؤسِّسين الأسطوريين للنَّحو، ولكنا نرى في هذا جانبًا من محاولتهم إعادة تشكيل تاريخ البحث اللُّغوي. فالمصادر المتأخِّرة تَفعل ما يجب عليها من أجل قمع مساهمة القرّاء في تطوير الدِّراسات النَّحوية، ولكنها تنجز تأثيرًا مختلفًا، فعن طريق نقدها للقُرّاء لفتت انتباهنا إلى أنشطتهم، وأمدتنا بإشارة مُهمَّة إلى جملة من طُرق النَّظر إلى أصل الدِّراسات اللُّغوية، وتمكِّننا الدَّلائل الَّتي نستخدمها هنا من الحصول على صورة للمرحلة المبكِّرة من الاهتمام اللُّغوي في الإسلام.

ونتيجة تحليل هذه الدَّلائل أنه بعد وفاة النَّبي محمد (صلّى الله عليه وسلَّم) اهتمت جميع النَّشاطات العلمية بنصِّ القرآن، وفي هذه المرحلة لم تكن هناك علوم محددة تتعامل مع مظهر واحد فقط من الدِّراسات القرآنية، فالنَّصُّ لم يُدْرس أو يُفَسَّر نزولًا على مَقْصِدها الخاصّ إنما من أجل شرح معاني كلمات الله، كما لم يكن هناك فصل بين دراسة مظاهر متعدِّدة من النَّصّ.

وهكذا نجد في التَّفاسير الأولى مزيجًا من المظاهر المختلفة للعلم الإسلامي: الرِّواية التّاريخية، والنَّسب، وعلم ما قبل الإسلام، والمعاجم، والتَّطبيق الشَّرعي، وعلم التَّوحيد، والقراءة، والنَّحو، وربما يكون هناك تطبيق

فقهي مستقلّ، ولكنَّه قائم أيضًا على الفقه الشّائع وعلى تفسير القرآن.

ولقد حلَّلنا في الفصل الرّابع قليلًا من المصطلحات النَّحوية المستعمَلة في التَّفاسير، وبيَّنا هناك أن مقاربة المفسِّرين لم تقدّم من أجل اهتمام جوهري ببنية اللُّغة؛ لأنها كانت مهتمة كلية بتفسير النَّصّ. وكانت المصطلحات النَّحوية الَّتي استعملتها أدوات غير فنية بشكل أساسي تشير إلى مظاهر متنوِّعة للنَّصّ، أعني أنها كانت أساسية فيما يَخُصّ التَّفسير، وتشتمل الأمثلة النَّموذجية على مصطلحات مُقاتِل للأنواع النَّصِّية والرَّوابط الَّتي استخدمها في بناء النَّصّ مثل: أَخْبَرَ، نَعَتَ، ونجد مصطلحات محمد الكلبي تشير إلى قراءات بديلة. فالمصطلحات تشير إلى وحدات الكلام: كلمة، لغة، كلام، قول، وهناك مصطلحات عامَّة دالة على المعنى: معنى، يعني. فهذه المصطلحات وأخرى مماثلة تقيم رابطًا بين الكلمات اليومية والاصطلاح الفني اللّاحق، ولقد بيَّنا هذه الحالات الَّتي كان فيها التَّطوُّر من مصطلحات غير فنية إلى أخرى فنية واضحًا، ومثال هذا:

خبر	نعت	استثناء	جحد
ماض	مُستقبَل	اسم	حديث
نظيرٌ	كنى	استفهام	تعجب
انقطاع	استئناف	وحيد/ جماعة	وصف / صفة
صلة	معطوف	بدل	مقدّم / مؤخَّر
إضمار	جواب	نَسَق	مُبْهَم

وبعيدًا عن هذه المصطلحات وجدنا قليلًا مما يرتبط بنظام الكتابة مثل «نوَّن، مُخفَّفة، مشدَّدة»، وكذلك مصطلحات الحركات المستعمَلة لدى محمد الكلبي «رفع، خفض، نصب، جر، كسر، فتح، ضم، جزم». وبالنَّظر إلى الأخيرة خَلَصنا إلى أنها كانت مرتبطة أساسًا بنُطق الحركات، والحقيقة

الأكثر أهمية حول هذا الصِّنف من المصطلحات هي أنه في هذه المرحلة المبكِّرة كان هناك بالفعل اتِّفاق على التَّنوُّع، والتَّنوُّع ذاته وجدناه بعد ذلك عند النُّحاة الأوائل ممن حُفظت كتاباتهم. وتفترض المعطيات المأخوذة عن التَّقليد النَّحوي السُّرياني أن هذا المدى من الكلمات الفنية كان قد تطوَّر تحت تأثير تقليد القراءة السُّريانية، وربما كان سبب التَّنوُّع في الاتِّجاه العربي ناتجًا عن وقوع استقبال هذه المصطلحات في أماكن مختلفة وعبر مراحل مُتنوِّعة.

ولقد بحثنا في دراسة سابقة (Versteegh,1990) العَلاقة بين التَّفسير المبكِّر والنَّحو الكوفي، وكان السَّبب الرَّئيس وراء بحث هذه العَلاقة اكتشاف أن بعض المصطلحات النَّحوية الواقعة في تفسير مُقاتِل أصبح لها فيما بعد مصطلحات مشابهة في الاتِّجاه النَّحوي الكوفي، وهذا ينطبق على المصطلحات التّالية :

نسق	خفض	صلة	نعت
جحد	استئناف / انقطاع		كنى

ويجب أن نضيف في الحال أن بعض هذه المصطلحات لم تكن غير معروفة تمامًا في كتاب سيبويه، فكما رأينا سابقًا (الفصل الرّابع) استخدم سيبويه بعض هذه المصطلحات، وعلى الرَّغم من هذا قَدَّمها الاتِّجاه اللّاحق على أنها سمات للاتِّجاه الكوفي، ولا يمكن إنكار أنها لم تنتشر بشكل مؤكَّد في الكتابات النَّحوية البَصْرية، على الأقل داخل الكتاب.

وبالنَّظر إلى الاصطلاح الخاصّ بالنِّهايات الإعرابية وجدنا أيضًا أن التَّشابه بين النِّظام كما هو مُستعمَل لدى محمد الكلبي والنِّظام كما استعمله الفَرّاء أكبر بكثير من التَّشابه بين هذا النِّظام ونظام الكتاب، فالمصطلحات الإعرابية

عند محمد الكلبي والفَرّاء استُعملت أيضًا للحركات الواقعة في الكلمة، وبالتّالي، ففي كلا النِّظامين ليس هناك أثر لفارق تامٍّ بين النِّهايات الإعرابية وغير الإعرابية الَّتي طَبَّقها سيبويه على الحقائق اللُّغوية الخاصَّة باللُّغة العربية.

ومن وجهة نظرنا التَّفسير المعقول للتَّشابه بين المصطلح في التَّفاسير والمصطلح في الاتِّجاه الكوفي ربما يكمُن في العَلاقة القوية بين الاتِّجاه الكوفي والقراءات القرآنية، فقد رأينا سابقًا أن هذه العَلاقة لم تكن من اختراع مصادر الطَّبقات المتأخِّرة، الَّتي حاولت بشكل يمكن إثباته أن تربط بين القُرّاء والكوفة، والعكس بالعكس بين النَّحو الكوفي والاتِّجاه القرائي، فأنماط الاقتباسات من القُرّاء داخل المعاني، عندما نقارنها بمثيلاتها في الكتاب أو بأمثالها في العمل البَصْري الخاصِّ بالمعاني كعمل الأخفش، تبيِّن بوضوح أن ثَمَّة اهتمامًا كبيرًا بالقراءات داخل الكوفة لا البَصْرة، لذلك ليس من المثير أن يستعير الكوفيون بعض المصطلحات الَّتي جرى استعمالها داخل التَّفاسير.

هذا التَّوضيح مدعوم بنتيجتين إضافيتين من بحثنا، الأولى، مفادها أن الاستعمال غير المنتظم لمصطلحات بديلة داخل الكتاب، الَّتي يمكن أن ننظر إليها الآن على أنها مصطلحات كوفية تفسيرية، يمكن شرحه بسهولة إذا افترضنا أن سيبويه كان عازمًا على تقديم مجموعة جديدة من المصطلحات، ولكنه لم يخطِّط لبناء قَوام كامل لتوظيف هذا الاصطلاح الجديد داخل الكتاب، فقد حاول على سبيل المثال أن يبتعد عن المفهوم القديم للجُمَل الوصفية، وأن يقدِّم مصطلح «الصِّفة» بمعنى جديد لـ (وَصَفَ)، غير أن المفهوم القديم لـ (وَصَفَ) «نعت» قد تسلل إلى بعض الفِقرات من كتابه. وربما يكون صحيحًا - كما تخيَّل فيشر (Fischer,1989, p.138) - أن ثمة طبقات مختلفة داخل الكتاب، وأن تلك المصطلحات القديمة تنتمي إلى

مرحلة مبكِّرة من مراحل تطوُّر سيبويه كعالم لُغوى، يقول: وما زال الخِيار البديل هو أن نعدَّ هذه المصطلحات نوعًا من التَّقدير الَّذي أولاه سيبويه لأسلافه؛ إذ من المثير ألا يستعمل سيبويه المصطلحات القديمة في تقديمه للكتاب الَّذي يمكن اعتباره مُلخِّصًا لإبداعاته.

والنَّتيجة الثّانية أن السِّمة الجديدة للتَّحليل اللُّغوي عند سيبويه تبيِّن أيضًا الغموض حول معلِّمه المباشر داخل أدب الطَّبقات، وكما رأينا سابقًا (ص ٥٦١ من الكتاب [الكتاب الَّذي نترجم منه هذا الفصل])، فإنه من المحتمل أيضًا أن يكون لسيبويه واحد أو اثنان فقط من المعلِّمين الحقيقيين، في حين كان الآخرون ممن ذكرهم في مسيرته مجرد رُواة تلقّى عنهم معلومات حول حقائق مميّزة عن اللُّغة العربية. فالحقيقة أنه لم يتلَقَّ أية دروس لُغوية مُنتظِمة حتى من الخليل، فكما رأينا سابقًا أن مصطلحاته تختلف عن مثيلاتها لدى الخليل في جوانب عديدة وصولًا إلى النُّقطة الَّتي تستحيل عندها المصالحة بين هذه المصطلحات كتلك الَّتي قدمها الخوارزمي في «مفاتيح العلوم» متعاملًا مع أفكار سيبويه حول العلامات الإعرابية والعامل، ففيما يخصُّ علم الأصوات نعتقد أن شلر Schoeler كان مُحقًّا عندما توصَّل بحَدْسه إلى أن الخليل لم يَنْشُرْ أو يعلِّم أفكاره، ولذا فإن سيبويه لم يأخذ مصطلحاته الصَّوتية عنه، وربما يكون من غير الضَّروري أن يُضاف إلى هذا أن سيبويه الأعجمي الَّذي لم تكن العربية لغته الأم يجب أن يكون حسّاسًا بشكل خاصٍّ تُجاه السِّمات التَّركيبية للُّغة العربية، وأن يُعتبَر الشَّخص المثالي لتقديم مُقاربَة جديدة كلية لدراسة اللُّغة.

إن فكرة الكوفة كنموذج للاتِّجاه الأقدم تضارع بشكل جيد نظرية طلمون الَّتي تشير إلى أن ثمة اتِّجاهًا في دراسة اللُّغة سابق على الاتِّجاه الَّذي بدأه

سيبويه كان موجودًا في العراق، و وجهة نظره أن هذا الاتِّجاه العراقي جاء تحت تأثير النَّظريات المنطقية اليونانية من خلال ترجمات الكتابات اليونانية عن طريق السُّريانية أو الفارسية (انظر ملاحظات رندجرين Rundgren,1976 حول ترجمات الفرس) ، ولعل النَّموذج الوحيد المحفوظ لمثل هذه التَّرجمة في الفترة المبكِّرة هو كتاب المنطق لابن المقفع، ويحاول طلمون في أحدث أبحاثه المنشورة أن يربط بين المعطيات الخاصة بهذه الكتابات والتَّعاليم النَّحوية في النَّحو الكوفي (والبَصْري) اللّاحقين (انظر الفصل الأول ص ٢٧)، وعلى أية حال يعترف طلمون نفسه بأن هذا الرَّبط في ظل غياب دلائل كافية من هذه الفترة يبقى ضعيفًا بالتَّأكيد.

ولعل المظهر المُهمَّ لنظريات طلمون بالنِّسبة لما نرمي إليه أن الاتِّجاه الكوفي سبق في رؤيته الإبداعات الَّتي قدمها سيبويه، وهذا يتناسب مع استنتاجنا أن الرَّوابط بين الاتِّجاه التَّفسيري القديم وبين الاتِّجاه الكوفي اللّاحق الَّتي حاولت وصف لغة القرآن وتحليلها كانت أقوى مما يوجد بين الاتِّجاه التَّفسيري والتَّحليل البَصْري (السّيبويهي) التَّركيبي للُّغة، ولعل نتيجة مشابهة يمكن تطبيقها على المراكز الأخرى لدراسة اللُّغة الَّتي يُحتمَل أن توجد في أماكن أخرى مثل اتِّجاه المدينة الَّذي تم تعيينه بواسطة طلمون (Talmon,1985b) ، ولقد رأينا سابقًا أن ثمة ميلًا في أدب الطَّبقات بانحيازه للاتِّجاهات ما قبل البَصْرية للحَجْر على كل من الاتِّجاه الكوفي والاتِّجاهات الموجودة في أماكن أخرى في تفسير روابطها بالقُرّاء الضُّعفاء.

إن صورة البَصْرة كمقاربة مبتكَرة للقواعد ودراسة اللُّغة تثير السُّؤال الخاصّ بقيمة الفرضية اليونانية في إعادة بناء تطوُّر الدَّرس اللُّغوي في العالم العربي، ففي الفصول السّابقة من هذه الدِّراسة رأينا أنه في بعض الحالات

صارت الفرضيات المبكِّرة حول الأصل اليوناني لمصطلحات معينة غير مؤثِّرة على ضوء المعطيات الموجودة في التَّفاسير المبكِّرة، وهذا ينطبق بوجه خاص على أصل الاصطلاح الخاصّ بالنِّهايات الإعرابية، وكانت نتيجة هذا أن المماثلة بين «رفع/ نصب/ جر/ خفض» و«حالات الرَّفع ptosis orthe، وحالات غير الرَّفع plagiai ptosis» اليونانية بعيدة الاحتمال على ضوء استعمال هذه المصطلحات للحركات غير الإعرابية في تفسير محمد الكلبي، وكذلك أصبحت المماثلة بين «الإعراب» و«الضَّبط والصِّحَّة Hellenismos» اليونانية متكلَّفة وزائدة؛ ذلك أن المصطلح العربي يمكن توضيحه ببساطة من خلال التَّطوُّر الدَّلالي الدّاخلي للُّغة العربية، والسُّؤال الآن هو ما إذا كانت الفرضية اليونانية يجب أن يتم التَّنازل عنها كلية، أو ربما لا تزال تساعد في بيان الغموض الَّذي يكتنف أصل النَّحو العربي.

ومن وجهة نظرنا، فإن الحُجَّة القوية على الاتِّصال بين الاتِّجاه الهيليني/ اليوناني السّائد في الشَّرق الأوسط وبين الجهود المبكِّرة في وصف اللُّغة العربية هي التَّشابه في جدول التَّصريفات المستعمَلة في تصنيف الاسم والفعل في كلا الاتِّجاهين، فإذا تم قَبول هذا التَّشابه كدليل على بعض الاحتكاك، فإن موقع هذا الاحتكاك يجب أن يكون قد حدث في سوريا في القرن السّابع حيث واجه العرب اتِّجاهًا ثقافيًّا ظل لقرون عديدة ذا خبرة في وصف الحقائق اللُّغوية.

وبما أن تعريف هذا النَّوع من الاحتكاك قد جرى دون دعم من الوثائق المكتوبة فسوف يبقى دائمًا مسألة تأمُّل في الطَّريقة الَّتي تأثَّرت بها بدايات الدِّراسة اللُّغوية العربية بالنَّموذج اليوناني، ومن المُهمِّ أن نضيف هنا أنه من وجهة واحدة كان الاتِّجاه الهيليني/ اليوناني والاتِّجاه التفسيري الإسلامي،

اللَّذان درسناهما هنا، متشابهين بصورة كبيرة؛ فقد كان التَّركيز داخل النَّحو اليوناني مُنصبًّا دائمًا على المظهر الدَّلالي للتَّحليل اللُّغوي؛ إذ أكدت سلوتير (Sluiter,1990:2) في دراستها حول الفكر اللُّغوي القديم على أن «التَّفكير اللُّغوي القديم كان ذا صِبغة دَلالية بشكل جوهري، فدارسو اللُّغة القدماء نظروا إليها دائمًا على أنها وسيلة لنقل المعاني، وبالتَّأكيد كان ثمة اهتمام مورفولوجي وفونولوجي كبير أيضًا في الماضي، غير أنه بمجرد أن تم تجاوز مستوى الكلمة المفردة كان المحور هو المعنى وليس مجرد البنية. والغالب أن هذا الأمر يضع النَّحوي في مكان قريب جدًّا من موضع فيلسوف اللُّغة، ولا يعني هذا أنه لم يكن هناك نحو على الإطلاق، بل على العكس وُجِدت ملاحظات تركيبية عديدة، ولكنها كانت خادمة لغرض إقامة عَلاقات دلالية.»

قدَّمنا هذا الاقتباس الطَّويل كي نبيِّن التَّشابه بين المقارَبة العامة للتَّفكير اللُّغوي اليوناني والمقارَبة الَّتي وجدناها في اتِّجاه التَّفسير العربي بما فيه الكتابات النَّحوية الكوفية، وبالطَّبع ليس هذا التَّشابه دليلًا على أية عَلاقة تاريخية، لكنه يبيِّن اختلافات كثيرة بين الاتِّجاه الكوفي ذي الصِّبغة الدَّلالية وسابقيه من المفسِّرين من ناحية، وبين المقارَبة الشَّكلية/ البنيوية التّامَّة لدى سيبويه وأتباعه من ناحية أخرى. أما فيما يخصُّ مسألة العَلاقة التّاريخيَّة فقد نستنتج - إذا ما كانت موجودة - أنها لم ولن تؤثِّر في التَّطوير اللّاحق لنظام النَّحو العربي بما أن أثر التَّفكير النَّحوي البَصْري قد غيَّر كليةً وجهةَ نظر اللُّغويين.

وبإعادة صياغة سلوتير يمكننا القول إن ثمة ملاحظات دلالية كثيرة داخل الكتاب، إلا أنها دائمًا ما تكون خادمة لغرض إقامة عَلاقات تركيبية، ومن هذا المنظور يتشابه الوصف اللُّغوي كما هو موجود في الكتاب إلى حد كبير -

على الرَّغم من اختلافات عديدة ملاحظة – مع «كتاب الثَّمانية Aṣṭādhyāyí» لبانيني؛ «فمظاهر اللُّغة غير المذكورة في قواعده تقع، تبعًا له، خارج نطاق الوصف اللُّغوي، ومن المحتمل أن يكون معياره لاشتمال قواعده أو عدم اشتمالها على مظهر لُغويٍّ خاصّ هو انتظام بنيته الشَّكلية وعدم انتظامها، فالجنس والمعنى كأحد هذه المظاهر لم يجدا مكانًا في وصفه اللُّغوي؛ إذ اعتُبر الجنس والمعنى خصائص ملازمة للُّغة، ولكن يبدو أنه يؤكد على عدم وجود أنظمة من القوانين تستطيع أن تصف هذه الظّاهرة» (Singh, 1991, xxv) ، فسيبويه، مثل بانيني، تعامل مع المبادئ الدَّلالية الَّتي يُعزى إليها الشَّكل النَّحوي المجرد، في حين ظل الشَّكل المعجمي خارج المناقشة (قارن Itkonen, 1991: 31-34).

في الفصل الأول انطلقنا مع سؤالين؛ كيف يمكننا أن نفسِّر تطوُّر المصطلحات الفنية في كتاب سيبويه؟ وكيف يمكن أن نبيِّن التَّنوُّع الاصطلاحي بين الاتِّجاه الكوفي والبصري؟ وبالنِّسبة للسُّؤال الأول نعتقد أن المواد المقدَّمة هنا تبيِّن أن ثمة عددًا من المصطلحات الفنية تطورت عن كلمات غير فنية كانت مُستعمَلة عند المفسِّرين. وهذا التَّفسير لا يغطِّي بقية الكلمات الفنية الموجودة في الكتاب، وذكرنا في الفصل الأول عددًا من المصطلحات لم تكن مُثبَتة في التَّفاسير الأولى، والعديد من هذه المصطلحات مصدره مجال التَّركيب syntax، مثل مصطلح عمل ومتعدٍّ، ومصطلحات الموقع التَّركيبي والفئة «موضع/ منزلة/ موقع»، ومصطلحات الصَّرف. ولن يتم شرح هذه المصطلحات في إطار الدِّراسة الحالية، ربما يكون السَّبب أنه لم تقع تحت تصرُّفنا جميع التَّفاسير القرآنية الخاصَّة بصدر الإسلام، ولكن على ضوء المواد المتاحة ربما نتجرأ بالقول إنه من غير المحتمل أن تظهر هذه المصطلحات،

حتى ولو كان لدينا العديد من النُّصوص، فالتَّفاسير لم تدخل حتى في قضايا صرفية أو تركيبية، لذا نعتقد أن تقديم المصطلحات الصَّرفية والتَّركيبية جاء في مراحل لاحقة. وبما أنه ليست لدينا مصادر مُعتمَدة عن النُّحاة السّابقين على سيبويه، فقد نحكم فقط على مساهماتهم على ضوء الاقتباسات الواردة في الكتابات النَّحوية اللّاحقة، فنحن نعرف مصطلح الصَّرف والموضع والمنزلة ومصطلح العمل في صورتها لدى سيبويه من خلال وجودها لدى شارحه أبي عبيدة. هذه الاقتباسات ليست مُقْنِعة بالنَّظر إلى الاصطلاح، ذلك أنها ربما تُرْجِمت إلى مقولات مختلفة، ولكن على وجه العموم، نعتقد أنها تبيِّن أن النُّحاة ممن جاءوا بعد سيبويه مباشرة اهتمّوا بقضايا صرفية وتركيبية بدرجة أقل، فاستخدام التَّرميز الصَّرفي مع المتغيِّرات «ف/ ع/ ل» وجد في نادرة عن النَّحوي معاذ الهراء الَّذي يُنْسب إليه كما بينت بعض المصادر ابتداع التَّصريف (قارن Abbott 1972: 6; Versteegh1983 b: 153).

أما بالنِّسبة للسُّؤال الثّاني، تنوُّع الاصطلاح النَّحوي، فهناك عدة تفسيرات، فبالنِّسبة لبعض المجالات الاصطلاحية ربما يكون التَّنوُّع ناتجًا عن التَّلقّي المُنفصِل، فقد رأينا سابقًا (الفصل الأول ص ٧) أن أسماء الحركات والنِّهايات الإعرابية استُعيرت على الأرجح من الاتِّجاه السُّرياني في مراحل مُختلِفة، وفي مثل هذه الحالات يرتبط التَّنوُّع بتلقّي أشخاص ومجموعات مُختلِفة، وبالنَّظر إلى المصطلحات غير الفنية، فإن ثَمَّةَ شيئًا آخر يجب أن يحدُث، فقبل كل شيء ربما نتوقع فيما يخصُّ الكلمات غير الفنية مقدارًا لا شكَّ فيه من التَّنوُّع، بالضَّبط بسبب انتشار معاني المصطلحات المُستخدَمة، فبدون تحديد تامٍّ للمفاهيم ليس هناك ما يدعو العلماء، ناهيك عن الولع الشَّخصي، إلى أن يتعلَّقوا بمجموعة مُحدَّدة من المصطلحات.

وفي دراسة سابقة (Versteegh,1990 a) حاولنا أن نَربط تنوُّع المصطلحات النَّحوية بوجود نسخ مختلفة من تفسير ابن عباس، فكما رأينا سابقًا (ص ٩٥ من الكتاب) أحصى الاتِّجاه الإسلامي عددًا من النُّسخ المنقَّحة لما يُظَنُّ أنه تفسير ابن عباس، و وَفْقًا لجولدفيلد (Goldfeld,1981)، فمن الممكن أن يُعاد بناء هذا التَّفسير على ضوء النُّسخ الموجودة، وبما أننا غير قانعين حتى بوجود كتاب معروف كتبه ابن عباس، فإننا نقصد إلى الشَّكِّ في إمكانية إعادة بنائه على صورته الأصلية، من ناحية أخرى، يبدو من المحتمل أن تحتوي التفاسير كلها الَّتي درسناها هنا على بعض عناصر من درس ابن عباس، ففيما يخص مسألة الاشتقاقات الغريبة لبعض الكلمات القرآنية وجدنا عناصر مشتركة في جميع التَّفاسير اللّاحقة الَّتي تعود بطريقة أو بأخرى إلى ابن عباس، و وجدت هذه العناصر أيضًا في رسالة (لغات القرآن) الَّتي تُنْسَب بشكل مباشر إلى ابن عباس.

وبالنَّظر إلى السُّؤال الخاصّ بالتَّنوُّع وارتباطاته بمسألة تعليم ابن عباس هناك ملاحظات قليلة نسوقها بالتَّتابع، في المقام الأول من المتصوَّر أنه في مرحلة ما حينما كانت الكلمات لا تزال غير فنية، أو لم يُصِبْها اصطلاح وَفْق تحديد تام، استطاع العلماء استخدام كثير من المصطلحات بطريقة بدائلية دون أن تتعارض هذه المصطلحات، وربما يبيِّن هذا جانبًا من تنوُّع المواد المأخوذة عن ابن عباس، في المقام الثّاني، في هذه المرحلة المبكِّرة لم يَشْعُرِ الرُّواة بالالتزام بنقل كلمات مُعلِّميهم نقلًا حرفيًّا، واستطاعوا أن يغيِّروا الاصطلاح بشكل جيد دون أن يكونوا غير أُمناء تُجاه النَّصِّ الَّذي نقلوه (أو حتى تُجاه التَّعاليم الَّتي ينقلونها بما أن مثل هذا النَّصّ لم يكن موجودًا بعد)، وبهذا المعنى ناقشنا سابقًا إمكانية الوثوق بالنُّسخ المُنقَّحة المحفوظة حتى حينما تختلف عن بعضها البعض في الصِّياغة (قارن فيما سبق الفصل الثّاني

من الكتاب) ، ويتناسب هذا مع استنتاجات الباحثين الخاصَّة بنقل النُّصوص في المرحلة المبكِّرة من الإسلام؛ فجميع النُّسخ المُنقَّحة المُختلِفة تعكس النُّسخة الأصلية، بالرَّغم من استحالة إعادة بناء أي أصل من خلالها.

ربما كان هذا العامل الثّاني مسئولًا أيضًا عن جانب من التَّنوُّع، ففي الفترة بين ابن عباس ونهاية القرن الثّاني الهجري أصبح التَّنوُّع الموجود مرتبطًا بالاتِّجاهات المحلية، وعلى الرَّغم من معارضتنا لقَبول نظريات جولدفيلد، فإننا نرغب في أن نضيف هنا أن استنتاجنا الخاصَّ بالعَلاقة الخاصَّة بين الكوفة والاتِّجاه التَّفسيري ربما يجعلنا أقرب إلى إعادة تنظيم تنطوي على أنه إذا كان صحيحًا أن ثمة صلة بين الاتِّجاه الكوفي والتفسيري، فإن النُّسخة الكوفية من ابن عباس المرتبطة بالتَّفاسير ربما تكون قريبة من النُّسخة الأصلية. وبالنَّتيجة، فإن المقارنة بين النُّسخ الكوفية والنُّسخ الأخرى يمكن أن تحدِّد أي عناصر هذه التَّفاسير أكثر أصالة من غيرها، ونضيف في عُجالة أنه على ضوء النَّظر إلى الغموض الكامل والتّامّ الَّذي يحيط بالفترة المبكرة، فإن مثل هذه المقارنة يجب أن تتم بحرص شديد.

وربما يجب أن يضاف هنا أنه من خلال إعادة البناء الحَذِرة الخاصَّة بصحيفة علي بن أبي طلحة (الرِّجال ١٩٩١، وقارن فيما سبق الفصل الثّاني، ص ٦١ – ٦٢)، فإن ثَمَّة دليلًا بسيطًا على الاهتمام بالجانب الفني لتفسير النَّصّ، بالطَّبع هناك إمكانية كبيرة لأن تختار كل رواية موادَّها كي تكون متضمَّنة في عملية النَّقل، وألا يكون علي بن أبى طلحة مهتمًّا فقط بالجانب الفني للتَّفسير كغيره من النّاقلين، ولكن للوَهْلة الأولى يبدو أن الدَّليل يقترح أن أغلب الاصطلاحات الَّتي قمنا بدراستها في الفصل الخامس كانت ناتجة عن نشاطات جيل من المفسِّرين ممن جاءوا بعد ابن عباس. والواضح أن مقارنة

جميع النُّسخ المختلِفة لرواية ابن عباس فقط هي ما يمنحنا إجابة عن التَّساؤل الخاصّ بحصته من الكلمات/ المصطلحات، ومن خلال هذا المنظور، فإن دراسة التَّفسير الإسلامي المبكِّر تكون قد بدأت بقوة.

على أية حال، فإن المساهمة الحقيقية لابن عباس في الاصطلاح النَّحوي، وهى النَّتيجة الأساسية لهذه الدِّراسة، شيء واضح؛ إذ تأكدت رؤية طلمون لأقدمية المدرسة الكوفية من خلال الدَّلائل الَّتي تم جمعها من التَّفاسير المبكِّرة. ولعل الارتباط بين الاصطلاح التَّفسيري والاصطلاح الكوفي هو الحُجَّة المُهمَّة في هذا الرَّبط، ولكن الحُجَّة الأكبر أهمية هي الانقطاع الكامل بين الاتِّجاه القديم والمقاربة الجديدة في كتاب سيبويه، نحن نعتقد أننا نستطيع أن نلاحظ على أساس من مصادرنا فرقًا جوهريًّا بين مقارَبة كل من مُفسِّري الكوفة ونُحاتها من ناحية وبين مُقارَبة سيبويه من ناحية أخرى، وإنه لمن الصَّحيح أيضًا أننا وجدنا داخل الكتاب أيضًا عددًا كبيرًا من المقولات الَّتي ربما تعود إلى جهود سابقة مبكِّرة في التَّعامل مع نَصِّ القرآن. وبدون شك جعل سيبويه من نفسه وريثًا لتقليد قديم، وفيما وراء كل هذا، فإن كلام الله ظَلَّ النَّصَّ الرَّئيس بالنِّسبة لجميع المسلمين، وقد رأينا فيما سبق أن سيبويه رأى لغة القرآن هي العربية المثالية، ولكن المبتكَر في مقاربته للعربية يكمُن في أن هدفه لم يكن مجرد شرح للكتاب الكريم، وإنما كان هدفه تحليل الحقائق اللُّغوية وتفسيرها.

وتماشيًا مع هذا الهدف الجديد أغنى سيبويه علم اللُّغة العربية بمجموعة من المفاهيم الَّتي كانت بلا شَكٍّ ناتجة بصورة كبيرة عن تفكيره الخاصّ حول اللُّغة، ولقد قَدَّم أسلافه من أمثال ابن أبي إسحق وعيسى بن عمر مفهوم القياس في محاولة منهم لتنظيم لغة العرب. ومن الرّاجح أنهم كانوا يضعون

أساس الأدوات الاصطلاحية للمورفولوجيا والنَّحو، وقادت مقاربتهم اللُّغة العربية إلى تصحيح نَصِّ القرآن، ولما كان سيبويه لا يَقبل أي تغيير للنَّصِّ، فإن هذه الإمكانية لم تُعْرَضْ له، ولكن بقَبول لغة القرآن - ولغة القصائد الجاهلية - كشيء مُعْطًى اضْطُرَّ إلى البحث عن طرق أخرى لشرح الحقائق اللُّغوية، وكانت النَّتيجة هي المنهج النَّظري الَّذي مازَ التَّقليد اللُّغوي منذ ذلك الحين، والَّذي تَمَّ تلخيصه بصورة واضحة لدى ڤايل (Weil, 1915). فاللُّغة مجتمع وحَّدَته الكلمات الَّتي تتصرَّف تبعًا للمبادئ ذاتها الَّتي تحكم المجتمع البشرى، فالكلمات لها حقوق، وتؤدّي مَهامَّ معيَّنة، وتشكِّل بعضها البعض، ويقتضي بعضها وظائف بعض، وتعتمد على بعضها، ويحكم بعضها بعضًا، واللُّغة نظام يصاحبه تماثل كامل في الشَّكل؛ فنجد في كل مستوى البنية ذاتها، ومثل هذا التَّوازي يُبيح للنُّحاة توسيع الحُجَج عبر مستويات النَّحو، واستنتاج الحُجَج الخاصَّة بمستوًى ما كي يبيِّن شيئًا ما في مستوى آخر.

ذكرنا سابقًا (في الفصل الأول من الكتاب) أن المقاربة الموجودة داخل الكتاب بالنِّسبة إلى كارتر هي المقاربة الشَّرعية، ولقد وسَّع هذه الفرضية في المقال الَّذي ظهر عام ٣٨٩١م عَبْرَ تفسير أفكار النُّحاة بأنها محاولة لتنظيم السُّلوك اللُّغوي البشري، تمامًا كما حاول الفقهاء تنظيم السُّلوك البشري من منظورات أخرى، وما نقوله هنا إن التَّشابه بين الفقه والقواعد موجود بصورة مؤكَّدة ولكن بمفهوم مُختلِف؛ فسيبويه حاول شرح سلوك الكلمات، وربما اعتمد كي يفعل هذا على معرفته بالمسائل الفقهية الَّتي يعيها. وفي النِّهاية، على الرَّغم من جميع محاولاتنا لشرح عمله على أساس ما نعرفه عن أسلافه، فإنه يصيبنا إحساس بالدَّهشة، ولا ريب أن هذا ما عناه ڤايل عندما أطلق على الكتاب لقب «العجيب».

مراجع المؤلف

عبد المنعم راشد : الرجال، تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية، ١٩٩١.

أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، ١٩٤٥ م.

Abbott, N. 1972:
Studies In Arabic Papyri: III. **Univ. of Chicago Press.**

Bernards, M. 1993:
Establishing A Reputation: The Reception Of Kitab Sibawayh. Diss. Univ. Of Nijmegen.

Fischer, W. 1989:
Zurher kunft Des Grammatischen Terminus harf. **JSAI 12: 135 - 45.**

Goldfeld, I. 1981: ***The Tafsir Of Abdallah B. Abbas.*** **Der Islam 58: 125-35.**

Humbert,G. 1992:
Premieres Researches Sur Le Kitab Sibawayhi. **These de Doctorat, Univ. Paris VIII.**

Itkonen, E. 1991:
Universal History Of Linguistics. **Benjamins.**

Rundgren, F. 1976:
Über den griechischen Einfluss auf die arabische Nationalgrammatik. **AUU N.S. 2:5. 119-44.**

Singh, J. D. 1991:
Panini; His Description Of Sanskrit. **New Delhi.**

Sluiter, I. 1990:
Ancient Grammar In Context. **Amsterdam: V. U. Univ. Press.**

Talmon, R. 1985 a:
Who Was The First Grammarian? A New Approach To An Old Problem. **SHAG, I, 128-45.**

Talmon, R. 1985 b:
An Eighth-Century Grammatical School In Madina. **BSOAS 48:**

224-36.

Talmon, R. Forthcoming:

The Two Sifa: A Study In The Early History Of Arabic Grammar.

Owens, J. 1990 a:

***Early Arabic Grammatical Theory.* Benjamins.**

Owens, J. 1990 b:

***Themes In The Development Of Arabic Grammatical Theory.* SHAG II, 253-63.**

Versteegh, K. 1977:

***Greek Elements In Arabic Linguistics Thinking.* Leiden: E. J. Brill.**

Versteegh, K. 1983 b:

***Arabic Grammar And Corruption Of Speech.* ALC, 117-38.**

Versteegh, K. 1990:

***Borrowing And Influence: Greek Grammar As A Model.* Le Langage dans l'Antiquité, ed. By Pierre Swiggers & Alphons Wouters, 197-212. Leuven: Peeters.**

Versteegh, K. 1990 b:

***Grammar And Exegesis: The Origins Of Kufian Grammar And The Tafsir Muqatil.* Der Islam 67: 206-242.**

Weil, G. 1915:

***Zum Verständnis der Methode Der muslimischen und die Lateiner.* ZDMG 64, 349-90.**

الفصل الثامن

متى ظهرت الكلمة العربية «نحو» للمرة الأولى بمعنى «القواعد»؟[1]

مايكل كارتر

مقدِّمة التَّرجمة

فيما يلي ترجمة لمقالة المستشرق الأمريكي مايكل كارتر M. G. Carter بعنوان: «متى ظهرت الكلمة العربية «نحو» للمرة الأولى بمعنى القواعد؟ «*When did the Arabic Word Nahw First Come to Denote Grammar*? Language & Communication, 1985, 5(4): 265-72 ولعل قضية المصطلح النَّحوي والحديث عن نشأته وتطوُّره وعَلاقاته من القضايا المُهمَّة في تاريخ النَّحو العربي حيث تساعد في رسم صورة مُفصَّلة عن خطوات تطوُّر هذا العلم. ويبدو أن النَّحو العربي ومصطلحاته المختلفة تمتَّع منذ نشأته بحركية فاعلة تنسجم مع متطلَّبات المجتمع العربي في فترة طويلة امتدَّت من القرن الثّامن إلى القرن الحادي عشر الميلاديين، ولا أدلّ

---

(١) ترجمة: د. عبد المنعم السيد جدامي و د. منتصر أمين عبد الرحيم.

على أهمية البحث الَّذي نقدِّم ترجمته هنا من أنه يقدِّم لنا أسبابًا جيِّدة لرفض فرضيات الاقتراض الأجنبية المشوَّشة، ويجعل أنشطة النُّحاة بعيدة عن الاعتباطية. فهذه الدِّراسة تضيف من خلال تتبُّعها تطوُّر مصطلح «النَّحو» دليلًا على أصالة النَّحو العربي بصورة غنية بتنوُّع مميَّز من الأدلَّة.

متى ظهرت الكلمة العربية «نحو» للمرة الأولى بمعنى «القواعد»؟

ثَمَّة مجموعة قليلة ممن يجعلون لكلمة «القواعد grammar» معنًى ثابتًا خلال القرون الثَّمانية الأخيرة، ولكن قواعد عام ١٦٦٠م، على سبيل المثال، تختلف كلية عن قواعد عام ١٩١٦م أو ١٩٥٧م، فالأنحاء الثَّلاثة لا تتخذ جميعها مَقاصد جزافية من حيث الدَّلالة التّاريخية، وعليه يصبح القول إن كلمة «نحو» ما زال لها بالنِّسبة لمعظم المُستعرِبين مَعنًى واحد لم يتغيَّر خلال اثني عشر قرنًا من ظهوره تعميمًا عادلًا. وفى تتبُّع تحول مصطلح «نحو» ومصطلح «نحوي» المُشابِه له من مصطلحات غير رسمية إلى أخرى رسمية، فإن المبدأ المُهمَّ هنا في هذه المقالة أن النَّحو مثله مثل المفاهيم الرَّئيسة الأخرى في حضارة العرب (مثل مصطلح «إسلام» نفسه) يشتق معناه من السِّياق التّاريخي الَّذي نشأ فيه [٢].

من أجل هذا السَّبب، فإن النَّوادر والمرويّات الخاصَّة بأصول النَّحو العربي في قرن ونصف لا بد أن تُعالَج بقدر كبير من الحذر؛ ذلك أن جميع هذه الأدَّلة يرجع تاريخها إلى القرن التّاسع الميلادي والقرون المتأخِّرة، ذلك الوقت الَّذي بدأ العرب فيه إعادة تفسير ماضيهم بوعي بناء على رؤية إسلامية

(٢) لم يتم عزل النَّحو بعيدًا عن القضايا الإيديولوجية، وتم تطوير هذه الأفكار في Carter ١٩٨٣ ومنها جاءت محتويات هذه المقالة.

محدَّدة للتّاريخ (٣)؛ ولذا فإن المصادر تبين بصورة بارعة ما نتوقعه بأية حال من الأحوال؛ أعني الاهتمام بتوطيد النَّصّ القرآني، وبداية الاهتمام بسلامة اللُّغة والأسلوب، وأول مجموع من المواد الأدبية، ديني ودنيوي، مما سيقدِّم أساس أرشيف هائل ونهائي لما سيصبح عليه الإسلام.

إن قيمة المحاولات التُّراثية لفهم مصطلحات «نحو» و«نحوي» قليلة على أية حال؛ ليس فقط من حيث مبادئ عدم المقبولية، ولكن لأنها - علاوة على هذا - لا تحتوي تقريبًا على معلومات تستحق الاهتمام حول ما يفعله «نحويّو» هذه الفترة وعلى أية أُسس نَظرية (٤)، ففي أية قضية ثَمَّة عدم مطابقة بين الأفكار المشهورة في الضَّبط الإملائي القرآني المعترف بها وبين الشَّخصيات المشهورة في السِّير مثل النُّحاة الأوائل؛ ومن ثَمَّ، فإن أية محاولة لتحديد «النَّحو» و«النَّحوي» وتفسيرهما تبقى مجرد تأمُّل.

لم يكن متاحًا أي دليل مؤكَّد على النَّشاط النَّحوي المبكِّر حتى النِّصف الثّاني من القرن الثّامن الميلادي غير كتاب معروف بكتاب سيبويه [ت قبيل ٨٠٠ م](٥)، ولكن على الرَّغم من أن سيبويه يشير عادة بصورة واضحة إلى مُتقدِّميه (بوصفهم نحويين، جمع نحوي) ويتركنا دون شك في أنهم تلك الجماعة الَّتي اهتمت بالمشكلات اللُّغوية في مستوًى واضح تمامًا(٦)، فإنه لم يستخدم كلمة «نحو» داخل أي سياق يمكن أن يسمح بصورة معقولة بتعادله مع «القواعد». من ناحية أخرى يقع مصطلح «نحو» مئات المرات - إن لم

(٣) انظر بالنسبة لعملية «الأسلمة» الَّتي تم توريثها Schacht, 1959:283f، والتطبيق الأقرب لهذه الفكرة في المراحل الأولى من النَّحو يتمثل في Talmon ١٩٨٥.

(٤) قارن Carter ١٩٧٢ والرؤية المخالفة لهذا Versteegh ١٩٧٧.

(5) Carter 1973 .

(6) Talmon 1982.

يكن آلاف المرات – داخل الكتاب تَكرارًا لمجموعة من المترادفات «طريق» و«سبيل» وجميعها يُستعمل بصورة مجازية لـ«طريقة التَّحدُّث» [٧]، فإذا كان النَّحو لا يعني القواعد هنا، فإن المُشتقّ «نحويين» لا يعني «القواعديين»، ولا يبدو هذا معقولًا لاستنتاج أن المفهوم الأساسي للنَّحو حتى قبل سيبويه هو «طريقة التَّحدُّث»، ومن ثَمَّ، فإن مصطلح «النَّحويين» خلال هذه الفترة يعني ببساطة «أولئك الَّذين يهتمون بالطَّريقة الَّتي يتحدث بها النّاس». إن أي افتراض يقول إن مصطلح النَّحويين في هذه الفترة لا بد أن يعني «القواعديين» سوف ينسحب أيضًا على الحقيقة الغريبة الَّتي مَفادها أن كتاب سيبويه هو بالتَّأكيد العمل الوحيد من حيث الحجم (أكثر من ٩٠٠ صفحة في النُّسخة المصرية) من بقية الأدبيات الَّتي لم تذكر «القواعد» ولو مرة واحدة.

والنَّتيجة الَّتي يمكن الوصول إليها من هذا أن سيبويه لم يُشِرْ إلى القواعد؛ لأنها ببساطة لم تكن موجودة، وأنها في الحقيقة سوف تبدأ في الظُّهور مع الكتاب نفسه، ونحن نعرف من إشارات سيبويه عن النَّحويين أن الفكر اللُّغوي قبله كان محددًا بنمط قياسي صارم من التَّفكير لم يَقُدِ اتِّفاقًا إلى نتائج غير مقبولة فقط، بل يفترض أنه ليس ثمة خبرة نظامية وراء الاحتكام إلى مجرد التَّشابهات الشَّكلية بين الظَّواهر. مثل هذه المنهجية المقيَّدة لا تستطيع أن تتطوَّر إلى النَّوع النِّظامي الموجود في الكتاب الَّذي عَزَل بطريقة فاعلة النَّحويين السّابقين على سيبويه بعيدًا عن أية مشاركة أيضًا في تاريخ النَّحو عدا

---

(٧) نحو ١٠١٨ مرة معًا بمعان متداخلة متنوعة وفقًا لما أحصاه تروبو، انظر« Nahw» في Troupeau ١٩٧٦، حيث استخلص عددًا كبيرًا يصل إلى ٩٨٣، ولكن لم يكن ثمة تباعد عميق بين «مثل» و« على طريقة...» وبين استخدام سيبويه لمعنى قطعي للنحو، على سبيل المثال «هذه هي الطريقة» «النَّحو» الَّتي يتحدث بها الغراب» (الكتاب ٢/ ٥٣، و Carter ١٩٧٣: ١٤٧. n.١٠) يؤكد على الأقل كيف فهم هو هذه المصطلحات.

آرائهم التَّقليدية، وحتى الآن، فإن أهميتهم تقل من خلال إغفالهم كلية (مع استثناء موضع خلاف)[٨]، والغياب التّام لأي دعم تاريخي.

ونعود الآن إلى كلمة «نحو» والتَّحوُّل الحاسم في معناها الَّذي حدث بالضَّرورة قُبيل وفاة سيبويه ولم يتأخر تمامًا عن السَّنوات الأُوَل من القرن التّاسع، وهذا اندماج مفهوم مُطْلَق وغير مناسب للنَّحو في عبارة «أهل النَّحو» الَّتي استخدمها الأخفش الأوسط [ت ٨٣٠ م][٩]، ومن بعده المُبرِّد [ت ٨٩٨ م][١٠]، والَّتي يمكن مقارنتها بصِيَغ مماثلة مثل: «أهل العلم»[١١]، و«أهل العربية»، و«أهل التَّأويل»[١٢]، و«أهل التَّفسير»، و«أهل الدّين»[١٣]، وغيرها مما يقع في المصادر نفسها. وثَمَّةَ مشكلتان للتَّفسير ظاهرتان بوضوح؛ الأولى ماهية المعنى الجديد للنَّحو هنا، والأخرى أنه بما أن النَّحويّين ما زالوا حَلْقة مستمرة خلال هذه الفترة، فما العَلاقة بين «النَّحويّين» والتَّعبير المستحدَث «أهل النَّحو» ؟

إن ظهور معنى جديد للنَّحو يمكن شرحه بوصفه انعكاسًا لتغيُّر نوعي في المقاربة (الَّتي قدم دليلها المبكِّر الفَرّاء ت ٨٢٢ والأخفش) أعني تحوير طريقة سيبويه الوصفية إلى أغراض قياسية وتعليمية، حيث إن ترجمة «النَّحو» - بناءً على هذا - كما هي مُستعمَلة في الكتاب ستكون «الطَّريقة الفعلية الَّتي يتكلَّم بها النّاس»، أما في زمن الفَرّاء، فإن هذا المصطلح اكتسب بصورة

(8) Talmon1982, 28.

(٩) الأخفش ص ٣٣٥.
(١٠) المبرد ١٩٦٣ ج ٤ ص ١٩٩.
(١١) على سبيل المثال الأخفش ص ١٥٢، ٣١٨، ٣٦٧، ٤٦٧.
(١٢) الأخفش ص ٦٣، ١٤٨، ١٧٢.
(١٣) الفَرّاء ١٩٥٥، ج ٢ ص ٢٦٦.

مؤكَّدة معنى «الطَّريقة الَّتي يجب أن يتكلَّم بها النّاس»؛ مشيرًا بهذا إلى اختلاف جوهري في التَّوجُّه. وظَلَّ النَّحو مستعملًا بهذا المنظور، أي المعنى التَّعليمي، خلال القرن التّاسع وما بعده ولم يَفْقده، وفي بداية القرن العاشر الميلادي كانت ثمة إشارة إلى أن النَّحو تجمد حتى في مضمونه أيضًا، فالكتاب المُهمّ الَّذي قَدَّمه لغدة [ت ٩٢٤م] يحتوي على فصل عنوانه «باب من النَّحو» [١٤]، وهو داخل كتاب خُصِّص بأكمله بصورة واضحة لمتطلَّبات النَّحو الَّتي يجب أن تؤخذ في الحسبان. وبما أن هذا الفصل موضع الاعتبار يتعامل مع موضوع ظهر في البداية في «الكتاب» مثل الخلاف بين سيبويه والنَّحويين [١٥]، فإن استخدام لغدة غير اللّائق لـ «النَّحو» هنا يمكن رؤيته على أنه يعني أن ثمة نشاطًا تقليديًّا ومميزًا الآن يُدْعى «نحو»، وهو ما يمكن أن نفسِّره بأنه «السِّمات الفنية للطَّريقة الَّتي يجب أن يتحدَّث بها النّاس».

على ضوء هذا يمكن للتَّعبير «أهل النَّحو» أن يعني «قُضاة الطَّريقة الَّتي يجب أن يتحدَّث بها النّاس» كي نميز بينهم على الأقل من حيث الاسم وبين «النَّحويين» القدماء «الَّذين اهتموا بالطَّريقة الَّتي يجب أن يتحدَّث بها النّاس»، وليس ثَمَّة تفريق آخر بين المجموعتين يُعَدُّ ممكنًا في الوقت الحالي. إن تعبير «أهل النَّحو» يمكن أن يفسَّر بصورة مؤقَّتة كدليل على وعي العلماء الذّاتي المتنامي باللُّغة (وهو وعي يمكن ملاحظته في الوقت نفسه داخل علوم أخرى)، ولكن هذا لم يستمرَّ ومن الصَّعب أن يعود مرة أخرى بعد القرن التّاسع الميلادي. إن سيادة مصطلح «النَّحويين» تعود بلا شَكٍّ إلى افتراضات مألوفة، بل غير صحيحة من الوِجْهة التّاريخية بأن نَحْوِيّي القرن

(١٤) لغدة ١٩٧٤، ص ٢٣٥.

(١٥) سيبويه ١٨٩٨ – ١٩٠٠، ١/ ١٦٧– ١٦٨.

الثّامن والقرون السّابقة انشغلوا بالنَّشاط نفسه كنَحْويّي القرن التّاسع، وبمعنى آخر، إن النَّحو الَّذي تضمَّن نوعًا ما من العلم اللُّغوي في القرن التّاسع (وليس قبل هذا القرن من وجهة نظرنا) كان هو الجِذْر الاشتقاقي لمصطلح «نحويين» في القرن الثّامن، ولعل أسباب هذه المفارقة التّاريخية يمكن الكشف عنها من خلال التَّغيُّرات الَّتي أَثَّرت في الإسلام بالكلية في هذا الوقت، فقد بدأت العلوم الإسلامية – ومن بينها النَّحو – في القرن التّاسع بكتابة تاريخها الخاصّ [١٦]، وبدا ملاحظًا أن النَّحو أصبح يُنظر إليه على أنه علم تمارسه سلسلة مُتَّصلة من النَّحويين تمتد إلى الماضي لتعود إلى مؤسِّسها الأسطوري أبي الأسود الدُّؤلي [ت ٦٨٨].

على أية حال ليس هناك خلاف على أن النَّحو قد اكتسب حالة من الحِرفية الأكاديمية في القرن التّاسع، ولو أن هذا لا يُخَوِّلنا للمساواة بصورة تلقائية بين النَّحو والقواعد، ولكي نتأكد من هذا، فإن النَّحو في هذه الفترة تَمَّت الإشارة إليه على أنه «علم النَّحو» [١٧]، ولعل الأعمال الباقية تؤكد مباشرة على أن النَّحو أصبح علمًا بصورة حقيقية. إننا نعلم أيضًا بصورة عَفْوية من خلال ابن سحنون [ت ٨٧٠م] أن النَّحو كان مستقلًّا بقدر كافٍ ليشكل جزءًا منفصلًا عن المُلَخَّصات (الفهارس) التَّعليمية وأنه أخذ يفرز كتبه ومقدِّماته الخاصَّة[١٨]. والشَّيء المُهمّ هنا هو تزايد استعمال عبارة مثل «هذا

---

(١٦) انظر Sizgin 1984: 11ff and 13 حيث نُسِب أول عمل ببليوجرافي إلى محمد بن سلام الجمحي المتوفى ٨٤٥ م.

(١٧) الجاحظ (ت ٨٦٨م) تم اقتباسه في Rundgren ١٩٧٠–٧١: ١١٦.

(١٨) انظر Lecompte,1953:103 والملاحظة ٩١ وما بعدها حيث وضعت قائمة بخلاصة واقعية اشتملت على جميع النَّحو.

ما يسمّيه النَّحويون...»[١٩]، وهو ما يقدم بعض حرفية الوعي الذّاتي الجديدة بصورة تقنية وعرضية واضحة. وربما كان نشوء نحو رسمي يُعزى أيضًا إلى شيوع العبارة غير المعتادة «صاحب نحو» داخل المصادر الببليوجرافية المعاصرة[٢٠] مطبقة على الأشكال الأولى، وربما كانت تعني مثل هؤلاء ممن لهم نبوغ فطري أو غير وافٍ بالنَّحو الَّذي هو الآن مفهوم محدد بصورة جيدة.

على أية حال، فإن تسوية النَّحو بالقواعد في هذه المرحلة ستكون سابقة لأوانها، فنحو القرن التّاسع يختلف عن نحو القرن الثّامن (لا سيما عند سيبويه) في نقطتين أساسيتين: الأولى أن ثمة اقتراضات من المصادر الأجنبية (بصورة أساسية اليونان)[٢١]، هذه الاقتراضات يمكن تمييزها، ولكنها هامشية.

والنُّقطة الأخرى أن نظام الوصف المستخدَم في الكتاب تم تحويله بشكل كامل إلى نظام توجيهي تعليمي، ولكن بصورة مختلفة بقي مفهوم سيبويه الجوهري عن اللُّغة بوصفها طريقة للسُّلوك سليمًا تمامًا، والحقيقة أن استعارية كلمة «طريقة» لم تختفِ أبدًا من غالبية الأعمال المتأثِّرة بالهيلينية، ومن ثَمَّ استمرت بوصفها سِمَة نوعية للنَّحو العربي مانعة له من التَّأثُّر الخارجي.

والحقيقة أنه من الواضح أن هذه الاستعارية نمت بشكل واضح مع مرور الزَّمن؛ فبالإضافة إلى مجموع المُترادِفات الموجودة في الكتاب مثل: (طريقة، سبيل، وجه، مجرى، مذهب، سنة، شرع)، فإننا نصادف كلمات مثل (مخرج، ومنهاج، ومجاز) لطريقة التَّحدُّث في أعمال القرن التّاسع وما بعده بالطَّبع. وهذا متوقَّع، فالصّورة أن الشّائع والقديم في اللُّغة العربية ومجاوزة النَّحو من

(١٩) على سبيل المثال سيبويه ١/ ٣١٥، المبرد ١/ ٢٥٤، ٣/ ٨٩ وغيرها.

(٢٠) على سبيل المثال اليزيدي ١٩٧٤، ص١٤٠، ١٤٢، ١٤٤.

(٢١) وهذه – أصبحت واضحة جدًّا – وصفها Versteegh ١٩٧٧ خاصة في الفصل الثالث.

«الطَّريقة» إلى «القواعد» في نهاية الأمر إنما هو انعكاس بسيط لمرور (السُنَّة) بمعناها الضَّيِّق من طريقة الدُّنيا إلى طريقة اعتناق الإسلام المعبّر عنها بكلمة (سُنَّة) بمعناها البعيد[٢٢].

وفي القرن العاشر تم تقديم عنصر جديد داخل الحياة الفكرية للعرب سيكون له في مساره المباشر تأثير على النَّحو، فللمرة الأولى تم الاهتمام بصورة جِدِّية بأعمال أرسطو الخطابية، وتمت مراجعة ترجمات أعماله المنطقية والدُّخول فيما اصْطُلح عليه - بصورة ملائمة - بالسّكولاستيكة (الفلسفة النَّصرانية) [٢٣]، وجرى هذا في المناظرة العلنية - ربما القاسية - بين النَّحويين ذوي النَّزعة المعارضة والفلاسفة والمناطقة، ولعل الظّاهرتين متَّصلتان، فالفلسفة النَّصرانية تتطلب تمييز الحدود الدَّقيقة بين العلوم، والنَّحويون الَّذين أدركوا تَبعات هذا على قُوَّتهم وتأثيرهم أُجبروا على الدُّخول في موقف دفاعي ضِدَّ التَّعريف الفلسفي للنَّحو الَّذي تَمَّ استنباطه عن عَمْد من أجل تقليص سلطتهم ومكانتهم[٢٤].

وعند هذه النُّقطة يمكن أن نأخذ في اعتبارنا أنه ربما يكون هناك نوع من التَّكافؤ بين النَّحو وفن القواعد على الرَّغم من تحفُّظين مُهمَّين: أولهما أن من المحتمل ألّا يكون هناك شك في أية اقتراضات ذات شأن داخل النَّحو من أي نظام قواعدي مختلف، أدناها القواعد التّخنية لليونان، إن ما تشرَّبه النَّحويون من المصادر الأجنبية هو المواد المنطقية فقط على الرَّغم من أن

(٢٢) قارن Schacht ١٩٥٩: ٥٨.

(٢٣) انظر Peters ١٩٦٨: ٧٩.

(٢٤) المثال الجيد لهذا موجود عند Enderb ١٩٧٨، وانظر Sizgin ١٩٨٤: 228f و Elamrani-Jmal ١٩٨٣.

المسار المحدد ودرجة الوعي بهذه الاقتراضات لن يكونا معروفين أبدًا.

والتَّحفُّظ الآخر أن النَّحو الَّذي تم الدِّفاع عنه ضد اعتداءات الفلاسفة كان ما زال هو نحو القرن الثّامن والتّاسع، فهناك مئات السِّنين قبل أن يَستقبل النَّحو طابعه اليوناني المحدَّد. هناك فقط ممن يعرف الهيلينية مثل قدامة [ت ٩٣٨ هـ] من يستطيع الحديث عن «صناعتي النَّحو والمنطق»، كما لو أنهما عِلْمان في مكانة متساوية، فكلاهما صناعة بالمفهوم اليوناني وعلى الطِّراز اليوناني[٢٥]. وفي القرن العاشر لم يُذْعِن النَّحويون إلى هذا، فالتَّقسيم المعاصر للعلوم الَّذي قدَّمه الخُوارَزْمي يَفْصِل بدقَّة بين النَّحو التَّقليدي بكلماته الفنِّية الفطرية وبين بعض المفاهيم اللُّغوية اليونانية الَّتي كان المؤلِّف يعيها[٢٦]، ولعل عدم القدرة على تشرُّب الأفكار الأجنبية في هذه المرحلة سوف يتبين من خلال المحاولة غير النّاجحة للفَرّاء [ت ٩٥٠ م] في إعادة تقديمها باللُّغة العربية والَّتي قَدَّمها بعزيمة صادقة ولكن دونما تأثير يُذْكَر في النَّحو[٢٧].

ويمكن أن نتوقف هنا وننظر إلى الموقف من جانب آخر من جوانب المواجهة كي نرى أن انعكاس النَّحو على السِّياق الفلسفي يمكن أن يكون مفاجأة، على سبيل المثال تعلم أن القواعد اليونانية تمت ترجمتها بأشكال متنوِّعة على أنها نحو، بلاغة، فصاحة، كتابة، صناعة علم اللِّسان[٢٨]، وربما

(٢٥) قدامة بن جعفر ١٩٥٦، ص ٩٥.

(٢٦) الخوارزمي ١٩٨٥، ص ٤٦.

(٢٧) على سبيل المثال اقتباس orthos و mustaqim ومعناهما مستقيم. انظر Versteegh ١٩٧٧: ٦٨، ولكن النُّحاة التقليديين لم يستخدموا «مستقيم» لـ«الطريق المستقيم»، بل على العكس طبقت على صحة المنطوق بكامل عناصره (قارن Carter ١٩٧٣: ١٤٧) بمعنى أن هذا المصطلح قديم قدم اللَّفظة القرآنية «مستقيم» كالمسار الصَّحيح والطَّريق المستقيم.

(٢٨) بالنسبة للأربعة الأوائل انظر Georr ١٩٤٨: ٢٠٩ ، ولاحظ مصطلح بلاغة، وبالنسبة للأخير انظر الفارابي ١٩٥٣، ص ٩ وما بعدها. ويؤكد هذا الغموض أن العرب كانت لديهم فكرة بسيطة=

كانت الكتابة من بين هذه التَّرجمات أدَّق حرفيًّا، على الرَّغم من أن النَّحو هو الَّذي يمكن أن نعتبره صحيحًا من الوِجْهة الثَّقافية، وهذا يؤكِّد على ما نعرفه من أنه كانت هناك أمور مشتركة قليلة جدًّا بين النَّحو بوصفه علمًا قديمًا نسبيًّا وبين علم المنطق الحديث لدى العرب. وعلى نحو دقيق دخلت استعارية النَّحو بشكل مميز داخل لغة التَّرجمات الفلسفية: فمعظم التَّعبيرات الحالية عن «الطَّريقة» قُدِّمت من خلال المترادفات (نحو/ طريقة/ مجرى/ وجه/ سبيل) وجميعها بمعنى الطَّريقة ومتشابهة داخل السِّياقات النَّحوية بداية من سيبويه وما بعده.

وكما أن تقدُّم النَّحو في القرن العاشر أعطى الإشارة الأولى على أنه قد أصبح صناعة، فإن محتوى هذا النَّحو ما زال في حاجة تقريبًا إلى الأشكال القديمة كلية، إن التَّجديد الأساسي لهذه الفترة هو الاقتراض الواضح من (المداخل العلمية Isagoge)، بمعنى التَّدريب على تقديم الأعمال القواعدية مع تعريف النَّحو والتَّصريح بأغراضه وأهميته[٢٩]. فإذا كانت السِّير غير المدعومة بالنُّصوص الباقية يمكن الوثوق بها، فإن هذا التَّغيُّر يمكن أن يأخذ مكانه في البدايات الأولى من القرن. فسلمة بن عاصم [ت ٤٥٨] يُنْسَب

= جدًّا عن قواعد اليونان، وأنها بالأحرى كانت معرفة غير مباشرة على الإطلاق قبل القرن العاشر الميلادي وحتى لو وُجدت، فإنها ستكون من طريق الوسطاء ثنائي اللُّغة؛ لأن النَّحو اليوناني له تاريخ لم يتأثروا به على الإطلَاق، ولما وُجد الدَّليل الضَّروري على هذه المعرفة قبلهم، فإن قواعدهم الفطرية كانت ناجمة عن الإدراك الذّاتي المتَضمَّن في التُّراث الدّيني غير الدُّنيوي، وربما يكون قد جذبهم النِّظام اللُّغوي الخارجي، وحتى التَّفسير الأسطوري لأصل النَّحو العربي (لحماية اللُّغة من الفساد الَّذي نجم عن مخالطتهم الشُّعوب غير العربية) هو نوع من الأسلمة المذكورة سابقًا وهي حالة من الإجلال للماضي ورؤية جعلت الموقف الحالي من الصَّعب تجنبه، قارن Carter 1983: 70 f.

(٢٩) بشكل غير رسمي لأول مرة في الزَّجّاجي ١٩٦٩، ص ١٦٦ وبصورة أكثر وضوحًا عند الفارسي في مقدمته لكتابه الإيضاح.

إليه كتاب عنوانه «السُّلوك في النَّحو»[٣٠]، وهو يعكس تمامًا خصائص نحو القرن التّاسع، وكان ابنه المفضَّل [ت ٣٠٩] هو مؤلِّف كتاب «مدخل إلى علم النَّحو»[٣١]، وهو نسخ مسموح به لـ (المدخل العلمي) تمت ترجمته حديثًا بواسطة الدمشقي [ت ٩٠٠ تقريبًا][٣٢] وليتنا نمتلك نسخًا من أعمال الأب أو الابن.

إن الحديث عن (المدخل العلمي) ينبهنا إلى أنه يجب ألا نغفل عن تأثير نظام التعليم الإسلامي في تحديد الشَّكل الأخير للنَّحو، فإذا كان التَّعليم أصبح يمارس بصورة أكثر مؤسساتية، فإن النَّحو قد تكيَّف بصورة أكبر مع متطلَّبات تعليمية. وفي القرون الأولى من الإسلام انعكس أسلوب المجالس غير الرَّسمية التَّعليمي بشكل دقيق على الأعمال التَّعليمية غير المنظمة لسيبويه وتابعيه في القرن التّاسع والعاشر، وعلى أية حال، فإننا نعرف من خلال ابن سحنون [ت ٨٧٠] أن التَّعليم في عصره تقدَّم إلى النُّقطة الَّتي تأسَّست عندها المناهج التَّعليمية بصورة صحيحة، وأن الكتب الخاصَّة بموضوعات مُتنوِّعة أصبحت مُتداوَلة[٣٣]، ومثالان من هذه الحقبة أحدهما أَلَّفه لغدة [ت ٩٢٤] والآخر لابن كيسان [ت ٩١٢ أو ٩٣٢] يبينان الاستجابة إلى الطَّلب المتزايد على مثل هذه الكتب؛ فهي كتب بسيطة وكتيبات أساسية لا تصنع شيئًا سوى إعادة تقديم النَّحو الأساسي الَّذي قدَّمه سيبويه مع إعادة تنظيم داخلية اتفاقية واضحة. وبينما كان المدخل العلمي يُقَدَّم في الوقت المناسب على أساس

(٣٠) أورد Sizgin ١٩٨٤ : ١٣٦ هذا العمل تحت عناوين عديدة والواضح أن بعضها خطأ.

(31) Sizgin 1984:139.

(٣٢) انظر «فرفريوس» في موسوعة الإسلام الإصدار الثاني.

(٣٣) مرجع سابق رقم ١٨، الإحجام عن بيع أو استئجار الكتب أو القصائد أو النَّحو (السابق ١٠٣) يقترح احترافية مؤسسة بشكل جيد لا تتمنى أن تدع سلطتها تمتد إلى جرد البضائع.

تراث تعليمي ناجح، فإن الإشارات الأولى الواضحة كانت مميَّزة في عمل الزَّجّاجي [ت ٩٤٩م]، وإذا أسقطنا المدخل المفقود المنسوب إلى المفضَّل ابن سلامة فسينجم عن هذا إعادة بناء كاملة لمحتويات المقدِّمات التَّعليمية.

ولأن من المتصوَّر أن يقدِّم المدخل العلمي هيكل البنية الفكرية للإسلام من القرن العاشر وما بعده، فإن «المدرسة» الَّتي تم تدشينها في نهاية هذا القرن يمكن اعتبارها مساوية لهذا المدخل العلمي في صورة مبنًى؛ إذ كانت المدرسة هي المؤسَّسة الأكاديمية المصرَّح بها في الإسلام الَّتي مَثَّلت من خلال مجال تأثيرها قمة التِّقنية الإسلامية التَّعليمية. وبناءً على هذا، فإن الشَّيء المُهِمَّ بصورة خاصة أن قانون المدرسة الأكثر شهرة على الإطلاق (والَّذي وُجد سنة ١٠٧٠م) - وهي المدرسة النِّظامية في بغداد- يشترط وجود مدرس للُّغة العربية بين مجموعة العلماء الدّائمين في المدرسة[٣٤] .

لقد وصلت المرحلة الآن حيث يمكن الجمع بين العناصر الثَّلاثة لتقديم الصّورة النِّهائية للنَّحو: التُّراث الأصلي «للطَّريقة» الَّتي وصلت إلى المثالية والكمال بفضل سيبويه، والمنهجية العلمية الَّتي تم افتراضها ويمثِّلها المدخل العلمي وأدبياته الملحقة، والنِّظام التَّعليمي المتمثِّل في المدرسة. ولعل أحد الأعمال المبكِّرة إن لم تكن الأولى في عرض الاندماج الكامل بين هذه العناصر الثَّلاثة هو مقدِّمة ابن بابشاذ [ت ١٠٧٧م][٣٥]، وفيها أصبحت استعارية النَّحو ذات رؤية بارزة تتكامل مع مجالها الخاصِّ من المرادفات (طريقة، سبيل، مجرى، وهكذا). إن بنية الكتاب تعليمية بصورة تامة، فهي تبدأ بمقدِّمة توضح أسباب تأليفها، وتنطلق في تعريفات موضوعها وأهدافها

(٣٤) المقدسي ١٩٦١، ص ٣٧، ١٩٨١، ص ٣٠٢.
(٣٥) راجع تاريخ إنشاء المدرسة النظامية المذكورة سابقًا.

وسبل إنجازها[٣٦]، وهي تحدد جميع المصطلحات الفنية كلما وردت فيها [٣٧]، وتطبق تقسيمًا ثنائيًّا بطريقة صارمة[٣٨]، كما تحصي الحد الأعلى لمجموع الوحدات والعناصر [٣٩]، وتدخل في حوار لا ينقطع تارة بين الأستاذ ومخالف له غير معروف، وتارة أخرى بين الأستاذ وتلميذه[٤٠].

علاوة على هذا، فإن المقدِّمة بأكملها تعليق على أعمال مُختصَرة للمؤلِّف نفسه، وجملة القول أن المقدمة تتداخل بصورة كاملة مع أسلوب المدخل العلمي، فهي تعليمية بصورة واضحة، وغالبًا ثَمّة اهتمام واضح بأن يُفْهِم الطُّلّاب كل نقطة يَعْرضها[٤١]، وحتى هذه النهاية، فإن محتويات النَّحو التَّقليدي أعيد توزيعها بصورة كاملة بداعي التَّبسيط، ولم تعد الموضوعات مرتَّبة بطريقة متتابعة تبعًا لمعيار لغوي داخلي كما في كتاب سيبويه، وبصورة أقل أو أكثر عشوائية كما عند ابن كيسان وغيره. وبدلًا من هذا، فإن حقائق اللُّغة تم تجميعها – على الطَّريقة الَّتي أملتها بصورة كاملة الملاءمة التَّعليمية، كما في حالة ابن بابشاذ – في عشر مقولات اعتباطية للاسم، والفعل، والأداة، والحالات الأربع، والعملية النَّحوية، وتوافُق الأصوات، والإملاء.

بعد عمل مثل المقدِّمة، فإن احتمالات وجود تطوُّر إضافي مقيَّدة إلى حد ما، ذلك أن سلطة اللُّغة الكلاسيكية الَّتي تم الاحتفاظ بها على نحو متكلَّف (إذ صُنِّفت عمليًّا بوصفها مبدأ/ قاعدة في النِّصف الأول من القرن

(٣٦) ابن بابشاذ ١٩٧٦ – ١٩٧٩، ص ٨٧ وما بعدها.
(٣٧) ابن بابشاذ ١٩٧٦ – ١٩٧٩، ص ٩٤، ١٠٠ وغيرها.
(٣٨) ابن بابشاذ ١٩٧٦ – ١٩٧٩، ص ٩٤، ١٠٩، ١٩٤، ٢١٦، وغيرها.
(٣٩) ابن بابشاذ ١٩٧٦ – ١٩٧٩، ص ٩٩، ١٥٥، ٢٩٠، وغيرها.
(٤٠) ابن بابشاذ ١٩٧٦ – ١٩٧٩، ص ١٢٣ – ١٢٧، ١٧٢، ٢٨٧، ٣٤٧ وغيرها.
(٤١) ابن بابشاذ ١٩٧٦ – ١٩٧٩ ص ١٠٩، ١١٠، ٢٠٠، ٤٠٧، ٤٣٣ وغيرها.

الحادي عشر بواسطة تعاليم إعجاز القرآن) لم تترك خيارات لتغيير محتوى النَّحو، وقدَّمت النَّظرية بطريقة مماثلة فرصًا قليلة جدًّا للقدرة على الإبداع: فالخلافات والمناقشات يمكن إعادتها بصورة تضاهي الصّورة القديمة، وعادة ما تمت في صورة جدل طقسي بين المدرسة البَصْرية والكوفية بعد أن تم تأسيس المدارس المتعارضة داخل المدن. وما يمكن عمله، على أية حال، هو إعادة تنظيم المواد، ولعل هذه البداية تم استثمارها بإبداع واجتهاد غير محدود، فالتَّعريفات تم تجميعها، وتزايدت البيانات التَّفسيرية بصورة طويلة مُملَّة أو قصيرة غير مفهومة، وبدأ إنتاج التَّعليقات، ومنها التَّعليقات العسيرة، والتَّفسيرات الخاطئة المتكلَّفة، حتى المنظومات تم إنتاجها بوصفها وسيلة تعليمية، مع بعض النَّجاح الضَّخْم، ولكن على الرَّغم من أن بعض الإبداعات لا تزال لم تظهر بعد، فإن الانشغال الأساسي بالنِّسبة للنُّحاة بعد ابن بابشاذ لم يجد بَعْدُ طُرَقًا جديدة للحديث عن الشَّيء نفسه.

والمُلاحَظة غير المستبعَدة أنه ليس هناك أية محاولة لتحديد ما يمكن فهمه بالقواعد، فالتَّعريف المقدَّم الآن هو أن القواعد هي «فرع من التَّعليم يصف اللُّغة ويبني الصُّوَر ويعلِّم القواعد الخاصَّة باستخدامها الصَّحيح طبقًا لمبادئ علمية تجعله نظاميًّا ومنفصلًا عن العلوم الأخرى تمارسه فئة خبيرة ذات صلة اجتماعية مميزة»، وهذا يبدو بشكل مُحتَّم مثل نبوءة وعي ذاتي على ضوء ما حدث سابقًا وتمت دراسته بعناية تامة، والَّذي يجب أن يثبت نجاحه الآن.

إن هذه المقالة هي تدريب على أركيولوجية الفكرة، بمعنى إعادة هيكلة الماضي من خلال كلماته الفنية، وفي حالة اللُّغة العربية يتم هذا بصعوبة غريبة من خلال الثَّبات المعروف للُّغة الأدبية الَّذي يمنعنا من ربط تغيُّرات المعنى بتغيُّرات الشَّكل: بدأنا مع النَّحو في القرن الثّامن وما زال لدينا «نحو» في القرن

العشرين.

إن موقفنا هنا أشبه شيء بموقف الأركيولوجي الَّذي يستمر في حفر شيء له شكل ثابت داخل مستويات أركيولوجية مُختلِفة يستطيع تحديده فقط من خلال ربط ما يعرفه عن أصوله بأشياء أخرى من الطَّبقة ذاتها، والنَّتيجة عبارة عن سلسلة من التَّعريفات التَّراكمية المرتبطة بالزَّمن، وهذا هو الإجراء المتَّبع ضمنًا في هذه المقالة. فعندما يتوقف مفهوم ما عن التَّطوُّر بشكل نهائي، فإن التَّعريفات النّاجحة سوف تميز هذا الوضع بكونها مجرد إعادة، ومع النَّحو، فإن هذه النَّقطة قد تَمَّ الوصول إليها في القرن الحادي عشر، ومن هنا فقط، فإن النَّحو في حالة مناسبة من الصِّحَّة كي يكافئ بشكل مؤكَّد القواعد كما تم تحديدها سابقًا.

لعل هذه المقارَبة مؤطَّرة على نحو لا يمكن إنكاره، ولكنها ذات خواصَّ محدَّدة؛ فهي تبيِّن حركية النَّحو كما لو كان يتناسب دائمًا مع حاجات المجتمع الإسلامي المتغيِّرة، فهي توضِّح حياة مجاز «النَّحو» وبقاءه = «طريقة»، وتقدِّم لنا أسبابًا جيِّدة لرفض فرضيات الاقتراض الأجنبية المشوَّشة، وتجعل أنشطة النَّحوي تبدو أقل اعتباطية وانغماسًا في الأهواء، ولو أن القارئ كان قد عرف كل هذا مُصادفةً وقَبِل مع ذلك أن يعني النَّحو القواعد دائمًا، ولكن القواعد نفسها تعني أشياء مختلفة في أوقات مختلفة، فإن هذه المقالة سوف تستمر في تحقيق غرضها بصورة متناقضة.

مراجع المؤلف

Akhfash, Al-Akhfash al-Awsat: In Faris, F. (ed.), *Ma'ani L-Qur'an, Kuwait.*

Carter, M. G. : *Les Origines de la Grammaire Arabe.* Revue des Études Islamiques 40, 69 - 97.

Carter, M. G. 1972:
***An Arab Grammarian Of The Eighth Century A. D.; A Contribution To The History Of Linguistics.* Journal of the American Oriental Society 93, 146 - 57.**

Carter, M. G. 1983:
***Language Control As People Control In Medieval Islam: The Aims Of The Grammarians In Their Cultural Context.* Al-Abhath 31, 65 - 84.**

Elamrani-Jamal, A. 1983:
***Logique Artistotelicienne Et Grammaire Arabe; Études Et Documents.* (Études Musulmanes XXVI), Paris.**

Endreb, G. 1978:
***Maqalat Yahya Ibn 'Adi Fi Tabyin Al-Fasl Bayna Sina'atayi l-Mantiq wa-l-Nahw al-'Arabi.* Journal for the History of Arabic Science 2, 38 - 50.**

Farabi 1953 Abu Nasr al-Farabi:
In Palencia, A. G. (ed.) *Ihsa' Al-'Ulum,* 2nd ed. Mardid/Granda.

Farisi 1969 Abu 'Ali al-Farisi:
In Farhoud, H. S. (ed.) *Kitab Al-Idah.* Cairo.

Farra' 1955 - 72 Abu Zakariyya al-Farra:
In Najati, A. Y. and al Najjar, M. A. (eds.) *Ma'ani L-Qur'an,* 3 vols. Cairo.

Georr, K. 1948:
***Les Catégories d'Aristote Dans Leurs Versions Syro-Arabes,* Beirut.**

Gibb, H. A. R. (ed.) 1960:
Encylopaedia Of Islam, **2nd ed. Leiden.**
Ibn Babshadh 1976 - 77:
Al-Muqaddima l-Muhsiba, ed. 'Abd al-Karim. (ed.) Kuwait.
Khwarizmi 1895 Abu 'Abdullah Muhammad ibn Ahmad al-Khwarizmi: In Vloten, G. van (ed.) ***Miftah Al-'Ulum,*** **Leiden.**
Lecompte G. 1953:
Le Livre des Règles de Conduite des Maîtres d'École Par Ibn Sahnun. **Revue des Études Islamiques 21, 77 - 105.**
Lughda 1974:
Kitab Al-Mukhtasar (Fil-Nahw), **al-Fatli, A. and Shilash, H. T. (eds.) Mawrid 4, 221 - 246 .**
Makdisi, G. 1961:
Muslim Institutions Of Learning In Eleventh Century Baghdad. **Bulletin of the School of Oriental and African Studies 24, 156-.**
Makdisi, G. 1961:
The Rise Of Colleges, **Edinburgh.**
Mubarrid Abu l-Abbas al-Mubarrid 1963 - 69: In 'Udayma, M. A. K. (ed.), ***Al-Muqtadab,*** **4 vols. Cairo.**
Peters, F. E. 1968:
Aristotle And The Arabs. **New York/ London.**
Quedama Ibn Ja'far 1956:
Naqd Al-Shi'r, **Bonebakker, S. A. (ed.). Leiden.**
Rundgren, R. 1970 - 71:
Arabische Literature Und Orientalische Antik. **Orientalia Suecana 19 - 20, 81 - 124.**
Schacht, J. 1959:
The Origins Of Muhammadan Jurisprudence, **3rd imp. Oxford.**
Sezgin, F.:
Geschichte Des Arabischen Schrifttums, **vol IX, Grammatik bis ca 439 H, Leiden.**
Sibawayhi 1898 - 1900:

Kitab Sibawayhi, 2 vols. Bulaq, reprinted, Baghdad (1965).

Talmon, R. 1982:

Nahwiyyun In Sibawayhi's Kitab. Zeitschrift fur Arabische Linguistik 8, 12 - 38.

Talmon, R. 1985:

Who Was The First Arab Grammarian? A New Approach To An Old Problem. Zeitschrift fur Arabische Linguistik 15, 128 - 45.

Troupeau, G. 1976:

Lexique-Index Du Kitab De Sibawayhi, Paris.

Versteegh, C. H. M. 1977:

Greek Elements In Arabic Linguistic Thinking, Leiden.

Yazidi 1974 Ahmad ibn Muhammad ibn Shayban al-Yazidi: *Makhtut Farid Nafis ʿan Maratib Al-Nahwiyyin.* Al-Ta''an, H. (ed.) Mawrid 3, 137 - 44.

Zajjaji 1969 Abu l-Qasim al-Zajjaji: In Mubarak, M. (ed.), *Kitab Al-Lamat.* Damascus.

المحتويات